

البفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف

أ. أحمد عبد الرزاق صريوس



التعريف بالمؤلف /

المحامي / احمد عبد الرزاق مريوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا
بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديره ذى سفال ثم
بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام (مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية
الشريعة والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعة وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعة اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب*

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من بُعث بالوحي هادياً ومبشراً، وعلى آله وصحبه الذين استلهموا من آيات القرآن منهاجاً للحياة وبناءً للحضارة.. وبعد: فإن هذا الكتاب،** "المفاهيم القرآنية من سورة الروم"**, ليس مجرد إضافة إلى المكتبة القرآنية، بل هو محاولة جادة لإعادة قراءة النص القرآني بمنظار "المفاهيم" التي تبني الإنسان وتصيغ العقل والوجدان.

أولاً : جوهر ومحتوى الكتاب والفكرة الرئيسة**

يدور جوهر الكتاب حول فكرة مركزية وهي أن القرآن الكريم خريطة طريق متكاملة، وليس مجرد كلمات تتلى. ويتخذ من سورة الروم نموذجاً تطبيقياً لكيفية تشكيل الوحي للعقلية القوية والنفسية المستقرة، خاصة في أوقات الاستضعاف والهزيمة. يتحدث الكتاب عن صراع القوى العالمية (الروم و الفرس (ليس كحدث تاريخي مضى، بل كسنة إلهية مستمرة في التدافع والمدولة.

ثانياً: أغراض وأهداف المؤلف**

يهدف المؤلف من خلال هذا العمل إلى:

* تحويل المسلم من مجرد "مراقب" للأحداث إلى "فاعل واع" ومحلل ذكي لها.

* غرس "الأمل الاستراتيجي" في النفوس، وتحريرها من الهزيمة النفسية.

* تأصيل فقه "التحالفات الدولية" وبناء الوعي العابر للحدود لدى القارئ المسلم.

ثالثاً : أسلوب الكاتب وطريقة العرض ومنهجه البياني**

يمتاز الأسلوب بالجمع بين** التحليل النصي البليغ** و**الاسقاط العملي المعاصر**، يعتمد الكاتب منهجاً "بيانياً استنطاقياً"، حيث لا يكتفي بشرح المعنى اللغوي، بل يستنبط "الأبعاد التربوية والنفسية والسياسية" لكل آية. كما يستخدم لغة خطابية تخاطب العقل والوجدان (معا) مثل: "تخيل معي أيها القارئ"، "دعنا نبحر معاً" (لكسر الجمود بين النص والقارئ).

رابعاً : بما يمتاز به هذا الكتاب عن بقية التفاسير**

خلافاً لتفاسير التقليدية التي تسرد الأقوال، ينفرد هذا الكتاب بـ:

** 1. التركيز على "المفاهيم"**: استخراج القوانين الكونية (السنن) التي تحكم حركة الحياة.

** 2. الربط المنهجي** : كما في ربط سورة الروم بسورة العنكبوت) علاقة التأصيل بالتفعيل).

** 3. الاستدلال العلمي الحديث** : كما في ربط مصطلح "أدنى الأرض" بأخفض بقعة جغرافية مكتشفة.

خامساً : هيكل المفاهيم**

ينتظم الكتاب حول هيكل من المفاهيم المركزية، أهمها:

** مفهوم المدولة** : أن الحال لا يدوم وقوة الحق ستظهر يوماً.

** مفهوم السنن الكونية** : أن النتائج مرهونة بالأسباب والوقت.

** مفهوم الوعي المعلوماتي** : أهمية دقة المعلومات في اتخاذ القرار.

** مفهوم الانحياز القيمي** : الفرغ لانتصار الأقرب للحق والعدل.

سادساً : المنهج المعتمد**

اعتمد المؤلف منهجاً تكاملياً يقوم على:

** التأصيل بالمأثور** : الرجوع لأمهات الكتب مثل تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي.

** التحليل الفكري** : استنباط الأبعاد التنموية والحضارية من الآيات.

** المنهج العملي** : تحويل كل مبحث إلى "وقفات عملية" وتطبيقات حياتية يومية.

سابعاً : الجمهور المستهدف**

الكتاب موجه لكل باحث عن "البصيرة" في زمن الفتن، وبالتخصيص:

** الباحثون والقانونيون** : لتعلم المرونة الدبلوماسية والبحث عن المشتركات.

** القادة والمربيون** : لغرس الأمل وإدارة التوقعات الجماعية.

** عامة المؤمنين** : الراغبين في بناء شخصية إسلامية ناضجة وقوية.

ثامناً : لماذا يجب أن تقرأ هذا الكتاب؟**

لأنه يجيب على تساؤلات الواقع المأزوم؛ فإذا كنت تشعر بضغط النتائج المادية أو تخشى من غلبة الباطل، فإن هذا الكتاب يقدم لك "بلسماً للقلوب المنكسرة" ويمنحك السكينة من خلال مفهوم "لله الأمر من قبل ومن بعد".

تاسعاً : ثمار قراءة هذا الكتاب**

سيخرج القارئ بـ:

** 1. صلابة نفسية** : عدم الانكسار أمام الأزمات الشخصية أو المهنية.

** 2. عقلية تحليلية** : القدرة على رصد الأحداث بعيداً عن العاطفة العمياء.

** 3. يقين فاعل** : دافع للعمل والاستعداد للمستقبل بدلاً من التواكل.

الخاتمة**

إننا ونحن نضع هذا الجهد بين يديك، نسأل الله أن يجعل هذه الآيات نورا على دروبنا، وبوصلة ترشدنا في خضم الأحداث العالمية المتسارعة، لتكون رحلتنا مع سورة الروم رحلة من "الهزيمة النفسية" إلى "التمكين واليقين".

كما أود في هذا المقام أن أشكر الاستاذ الفاضل القدير منير عبده عثمان الصلوى على ما بذل من جهد في إخراج هذا الكتاب بهذا الشكل حيث قام بالمراجعته والتدقيق لمحتوى هذا الكتاب لغويا ولفظيا وموضوعيا وفنيا أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا وحسناته
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء : نداء القواسم المشتركة**

إلى ورثة الأنبياء، وحملة مشاعل الهداية.. إلى علمائنا الأجلاء ودعاة أمتنا المباركة..
أهدي إليكم هذا العمل، مستلهماً من سورة "الروم" درساً في **"التحالفات الروحية" وفقه
"المساحات المشتركة". فإذا كان القرآن الكريم قد صاغ وجدان الرعيل الأول ليرقوا لحال "أهل
الكتاب" وينحازوا إليهم قيمياً في مواجهة الوثنية-تثبنتاً للقواسم الإيمانية الكبرى- فأحرى بنا نحن
أبناء القبلة الواحدة أن نمدّ جسور المحبة والائتلاف فيما بيننا.

إيكم، يا من تملكون زمام الكلمة.. إن سورة الروم تعلمنا أن صراع القيم يتطلب صفاً مرصوفاً، وأن ا
لاختلاف في الفروع والمذاهب لا ينبغي أن يهدم "أصل الإيمان" الذي يجمعنا.

هذا الكتاب نداءً لتفعيل "القواسم المشتركة" بين جماعات العمل الإسلامي والمذاهب المختلفة؛
لتحويل طاقاتنا من "الاستنزاف في الخلاف" إلى "البناء على المشترك"، إعلاءً لكلمة الله، وتحقيقاً
لوعده الحق في النصر والتمكين، الذي لا يأتي إلا لقلوب تألفت بنور الوحي، واستوعبت أن "لله الأمر
من قبل ومن بعد".

**أهدي إليكم هذا الجهد.. لعلنا نصنع به "رومنا" الخاصة، ونبني به جبهة داخلية تعيد للأمة هيبته

بروح الفطرة وجمال الائتلاف.**

المحامي احمد عبد الرزاق مربوش

بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة تعريفية: سورة الروم

1. **عدد آيات السورة**

60** (آية) **في العد الكوفي)، وهي متفق عليها في أغلب المصاحف.

2. **مكان نزولها**

** مكة في الفترة التي كان فيها المسلمون في مكة يعانون من الاضطهاد والمواجهة مع المشركين.

3. **ترتيب السورة**

** في المصحف الشريف: **السورة رقم** (30)** ، تقع في الجزء الحادي والعشرين.

** من حيث النزول: **نزلت بعد سورة "الانشقاق" وقبل سورة "العنكبوت" على المشهور في ترتيب النزول، وإن كانت تليها في ترتيب المصحف).

4. **أغراض ومقاصد السورة**

** الغاية الكبرى: **إثبات أن "الأمر لله وحده" في البدء والمنتهى، وترسيخ اليقين بنصر الله ووعده الصادق.

** التوعية الاستراتيجية: **ربط الواقع الأرضي) صراع الروم والفرس (بالسنن الإلهية الكونية.

** التوحيد والاستدلال: **لفت الأنظار إلى آيات الله في الأفاق وفي النفس البشرية.

5. **الأجواء التي نزلت فيها السورة**

* نزلت في وقت عصيب على المسلمين في مكة، حيث انتصر الفرس) مشركو أهل الكتاب آنذاك في نظر العرب (على الروم) أهل الكتاب. (فرح مشركو مكة بهذا الانتصار واعتبروه فألاً حسناً لا نتصارهم على النبي ﷺ، فنزلت السورة لتبشر بانتصار الروم وتكسر هذه الروح الانهزامية.

6. **علاقة السورة بما قبلها) سورة العنكبوت**

** علاقة التأصيل بالتطبيق: **ختمت العنكبوت بالجهاد والصبر) والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)، وبدأت الروم ببيان ثمره هذا الصبر واليقين في الواقع الدولي.

** علاقة الحوار بالانحياز: **وجهت العنكبوت إلى كيفية مجادلة أهل الكتاب) بالتي هي أحسن)، وجاءت الروم لتبين "التحيز القيمي" للمسلمين تجاه أهل الكتاب في صراعهم ضد المشركين الوثنيين.

7. **التناسب بين مقدمة السورة وخاتمتها**

** المقدمة: **بدأت بالوعد الصادق بنصر الله) في بضع سنين.. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله).
** الخاتمة: **انتهت بالأمر بالصبر لأن وعد الله حق) فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين

لا يوقنون).

** الربط: **المقدمة تعطي "البشرى"، والخاتمة تعطي "المنهج" للانتظار الواعي لتلك البشرى.

8. **أسماء السورة وسبب التسمية**

** سورة الروم: **وهو اسمها الوحيد التوقيفي، وسُميت بذلك لذكرها الصراع التاريخي بين إمبراطوريتي الروم والفرس في مطلعها، وهي السورة الوحيدة التي سُميت باسم أمة أعجمية معاصرة للتنزيل.

9. **خصائص السورة وفضائلها**

** تثبيت القلوب: **تعد من أقوى السور في بعث الأمل وقت الاستضعاف.

** الإعجاز الغيبي: **تضمنت نبوءة مستقبلية تحققت بحذافيرها خلال سنوات قليلة، مما يعد دليلاً قاطعاً على نبوءة محمد ﷺ.

** آيات الفطرة: **تمتاز بكثرة تكرار لفظ) وَمِنْ آيَاتِهِ (التي تربط الإنسان بالكون.

10. **ما انفردت به السورة**

* انفردت بذكر" آية الفطرة") **فطرت الله التي فطر الناس عليها (كأصل للدين.

* انفردت بالتنبؤ بحدث سياسي عالمي يقع خارج الجزيرة العربية وربطه بفرح المؤمنين.

* الوحيدة التي فصلت في آيات الله الكونية عبر نسق تكراري فريد) ومن آياته.. ومن آياته..).

11. **أهم المواضيع والقضايا**

** الوعد والوعيد: **حتمية وقوع وعد الله بالبشرى أو العقاب.

** السنن الكونية والاجتماعية: **قوانين النهوض والسقوط للأمم.

** التفكير في الكون: **خلق السماوات، الأرض، اختلاف الألسنة والألوان، النوم، والبرق.

** القضايا الاقتصادية: **التحذير من الربا والدعوة لإيتاء ذا القربى حقه.

** الرؤية النفسية: **تشخيص حال الناس عند النعمة وعند الضراء.

12. **مقاصد السورة) موجز**

1. عقيدة: **إثبات البعث والنشور والوحدانية.

2. تربوية: **بناء الشخصية المسلمة التي لا تستخفها الأزمات ولا يزعزعها اليقين.

3. حضارية: **لفت الانتباه إلى أن عمارة الأرض مرتبطة باتباع منهج الله وفطرته.

المقطع الاول

المقدمة العلاقة بين سورة الروم وسورة العنكبوت

تعد العلاقة بين سورة "الروم" وسورة "العنكبوت" علاقة وثيقة ومنهجية، حيث تمهد سورة العنكبوت (التي تسبق الروم في ترتيب المصحف) للموقف العقدي والسياسي من "الأخر"، بينما تأتي سورة الروم لتطبق هذه المفاهيم في واقع عملي وصراع دولي.

إليك تحليل لهذه العلاقة من منظور** القواسم المشتركة** و**بناء الشخصية المسلمة**:

1. التمهيد المنهجي في سورة العنكبوت**

في سورة العنكبوت، نجد توجيهاً مباشراً وصريحاً في قوله تعالى: (ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم.... والها والهمك واحد...الخ

> ** القاسم المشترك: **وضعت العنكبوت قاعدة ذهبية وهي "وحدة المصدر" و"وحدة الإله" و"أدب الحوار".

** الوظيفة: **تهيئة النفس المسلمة لعدم النظر لأهل الكتاب ككتلة واحدة مع المشركين، بل كطرف يجمعنا بهم "أصل إيماني".

2. التطبيق العملي في سورة الروم) التحيز القيمي**

عندما بدأت سورة الروم بالإخبار عن هزيمة الروم وحزن المسلمين لذلك، كان هذا الحزن تطبيقاً عملياً لما ورد في العنكبوت:

** لماذا الروم؟ **سُميت السورة بهذا الاسم لترسيخ فكرة أن المسلم ينحاز "قيماً". فرغم أن الروم لم يكونوا مسلمين، إلا أنهم "أهل كتاب" يؤمنون بالوحي والآخرة، مما يجعلهم أقرب للمؤمنين من (الفرس) المشركين/المجوس).

** مراعاة المشترك: **تسمية السورة باسم "طرف خارجي" هو اعتراف بوجود نقاط تقاطع حضارية ودينية تستوجب الاهتمام والمتابعة والدعم المعنوي.

3. علاقة الافتتاحية بمفهوم "الفتنة" في العنكبوت**

* سورة العنكبوت بدأت بـ { أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ }.

** الرابط: **هزيمة الروم) الطرف الأقرب للمسلمين (كانت "فتنة" واختباراً ليقين الصحابة في مكة، حيث سخر المشركون منهم قائلين: "غلبت إخواننا من الفرس إخوانكم من الروم".

* جاءت افتتاحية سورة الروم لتثبت المؤمنين في هذه الفتنة، وتخبرهم أن الموازين ستقلب، مما يعزز الثقة بأن** القواسم المشتركة مع أهل الكتاب لها ثمرة وقيمة واقعية**.

4. الدروس والرسائل في حياتنا العملية**

عند الربط بين السورتين، نستخرج توجيهات لبناء شخصية مسلمة فاعلة:

** البحث عن المشتركات) المرونة الدبلوماسية: **في مهنتك كباحث أو قانوني، تعلمك الآيات أن تبحث عن "نقاط التقاطع" مع الآخرين لتحقيق العدالة، بدلاً من الصدام المطلق.

** الوعي بالدوائر الحضارية: **المسلم لا يعيش في عزلة؛ فكما اهتم الصحابة بالروم، يجب أن نفهم أن تحسن أحوال "الأطراف الأقرب للحق والعدل" عالمياً يصب في مصلحة الاستقرار الإسلامي.

** أدب الاختلاف: **سورة العنكبوت علمتنا "التي هي أحسن"، وسورة الروم علمتنا "مشاركة الهموم"، وكلاهما يبني ثقافة إسلامية ناضجة تحسن التعامل مع الآخر دون ذوبان في هويته.

خلاصة الرابط**

*العنكبوت دورها التأصيل (النظرية) وضع القواعد الأخلاقية والاعتقادية للتعامل مع أهل الكتاب

* الروم دورها التفعيل (**التطبيق)إظهار التفاعل الوجداني والسياسي مع قضاياهم بناءً على تلك القواعد

إن تسمية السورة بـ** "الروم" **وافتحايتها بـ** "بشرى نصرهم" **هي أعظم تطبيق لآية العنكبوت { وَإِلَهُنَّ وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ }؛ فهي تعلن أن معركة الحق والباطل واحدة، وأن المؤمن يفرح لانتصار "أهل

الوحي" أينما كانوا

المبحث الأول

الآيات 1-5

المقدمة: حين ينزل الوحي ليشكل العقل والوجدان

تخيل معي، أيها القارئ الكريم، أنك في مكة، والمسلمون مستضعفون محاصرون، وفجأة تنزل هذه الآيات: {الم } ١ غَلَبَتِ الرُّومُ ١ في أدنى الأرض وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ٢ في بضع سنين لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ٣. إنها ليست مجرد كلمات تتلى، بل هي خريطة طريق متكاملة لبناء الإنسان، ومنهج حياة متكامل، ووعد إلهي يزرع في قلب المؤمن قوة لا تتزعزع. هذه الافتتاحية، بأحرفها الثلاثة "الم"، تفتح أمامك أبواباً من الفهم العميق للكون والحياة، وتغرس في نفسك قيماً ومبادئ تجعلك فاعلاً واعياً، لا مجرد متفرج على الأحداث. فكيف يحدث ذلك؟ دعنا نحبر معاً في أعماق هذه الآيات، لنستلهم منها ما يشكل عقولنا ووجداننا، ويبني حاضرنا ومستقبلنا.

الامر الاول : "الم" مفتاح اليقين وتمهيد الوحي

أولاً: دلالة الابتداء بـ "الم" وعلاقتها بالتنبيه إلى أن ما يليها وحي إلهي

عندما تبدأ سورة بهذه الحروف المقطعة "الم"، فاعلم أنك أمام خطاب استثنائي من الله عز وجل. إنها ليست مجرد حروف أبجدية، بل هي نداء للعقل وإيقاظ للوجدان. العرب الذين سمعوا هذا القرآن، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، كانوا يعرفون جيداً أن هذا الكلام ليس من كلام البشر. "الم" مكونة من هذه الحروف العربية نفسها التي يتحدثون بها، لكنهم مع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل هذا القرآن، أو حتى بسورة من مثله. فالله تعالى يتحدى بهم: إن كنتم تظنون أن هذا القرآن من صنع محمد، فما هي الحروف بين أيديكم، فأتوا بمثله.

وهذا الابتداء ليس مجرد تحدي، بل هو تمهيد إلهي لما سيأتي بعدها من أخبار. إنه يقول لك: "انتبه، فما بعد هذه الحروف ليس كلاماً عادياً، بل هو وحي حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه". فإذا كان البشر عاجزين عن الإتيان بمثل هذا النظم القرآني المعجز، فكيف سيكون حالهم مع تكذيب النبأ الغيبي الذي سيرد بعدها؟ إن إعجازهم عن محاكاة الأسلوب هو دليل قاطع على أن ما سيرد من أخبار عن غيب سيتحقق حتماً.

انظر كيف أن الله تعالى قدّم هذا التحدي في بدايات السور، ليكون بمثابة الأساس الذي يبنى عليه الإيمان بأن كل كلمة بعدها هي من عنده وحده. وعندما تسمع بعدها: {غَلَبَتِ الرُّومُ}، فاعلم أن من أخبرك بهزيمة الروم هو نفسه من تحدى البشر بهذه الحروف، وهو القادر على أن يجعل خبره واقعاً لا محالة.

ثانياً: كيف يورث الابتداء بـ "الم" الثقة في قلوب المؤمنين؟

في خضم الهزيمة، عندما يشعر المؤمن أن الأرض ضاقت عليه بما رحبت، تأتي هذه الفاتحة "الم" لتذكرك بأن الكون كله بيد الله وحده. إنها تزرع في القلب طمأنينة عجيبة، وتقول له: "لا تحزن ولا تيأس، فربك الذي أنزل هذه الحروف هو ربك القادر على كل شيء". المؤمن عندما يري أن الله يفتتح كتابه بهذه الأحرف المقطعة، يشعر بعظمة منزل الكلام، فيطمئن قلبه أن ما وعد الله به في هذه السورة من نصر بعد هزيمة، ومن فرج بعد شدة، هو وعد حق لا يتخلف. فالوعد بالنصر ليس مجرد أمنية، بل هو قضاء إلهي محتوم، طالما أن المسلمين قد أخذوا بالأسباب وصدقوا الله في الجهاد والصبر.

ثالثاً: ما علاقة "الم" بسياق الحديث عن الروم والفرس وعلاقته بسورة العنكبوت؟

مجيء الحروف المقطعة في سياق الحديث عن الروم والفرس يحمل رسالة عميقة: إن أحداث الكون وصراعات القوى العظمى كلها تحت علم الله وإرادته، وليست مجرد صدف أو تقلبات سياسية. "الم" هنا إشارة إلى أن الله هو المحيط علماً بكل شيء، وهو الذي يدبر الأمور من السماء إلى الأرض. وما الصراع بين الروم (أهل الكتاب) والفرس (المجوس) إلا جزء من تدبيره الكوني، وسنته في الخلق والمداولة بين الناس.

وهذا يقودنا إلى العلاقة العجيبة بين سورة الروم وسورة العنكبوت التي قبلها. ففي سورة العنكبوت، نجد توجيهاً إلهياً للمسلمين ألا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، وأن يؤمنوا بالذي أنزل إليهم وما أنزل إلى أهل الكتاب، فالقواسم المشتركة بيننا وبينهم كثيرة. بينما المشركون الوثنيون، الذين لا كتاب لهم ولا وحي، كانوا على النقيض تماماً. فالروم، رغم ما في معتقداتهم من تحريف، إلا أنهم أقرب للمسلمين من الفرس الوثنيين الذين يعبدون النار. ولهذا فرح المسلمون بانتصار الروم، لأنهم أهل كتاب، ولأن هذا الانتصار هو انتصار للقيم الإلهية المشتركة على الوثنية والإلحاد.

وبناءً على ذلك، فإن ابتداء السورة بـ "الم" هو بيان لقدرة الله وتدبيره، وأن الصراع بين القوى العظمى ليس عشوائياً، بل هو سنة من سنن الله في التدافع، ليمنع طغيان قوة واحدة على العالم، وتلتظهر التحالفات التي تحمي مصالح الضعفاء والمستضعفين. فإذا تجبرت قوة عالمية اليوم، فإن سنة الله تقتضي أن يبرز لها من ينازعها ويحد من طغيانها، وهذا من حكمة الله في خلقه.

رابعاً: لماذا اهتم المسلمون بانتصار الروم؟

الجواب واضح: لأن الروم كانوا أهل كتاب، بينما الفرس كانوا وثنيين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآ خر. هذا الاهتمام ليس تحيزاً أعمى، بل هو انحياز للحق والعدل. المسلمون يفرحون بانتصار من هو أقرب إلى القيم الإلهية والإنسانية، حتى لو لم يكونوا على دينهم تماماً. وهذه قاعدة عظيمة في فقه التحالفات والمواقف الدولية، حيث يُنظر إلى المصالح المشتركة والقيم الجامعة، لا إلى مجرد العصبية

العمياء. وهذا هو المبدأ الذي يجب أن نتبعه اليوم في علاقاتنا الدولية؛ فالتحالف مع من يجمعنا بهم قواسم إنسانية ودينية ضد الظلم والطغيان هو من صميم السياسة الإسلامية الرشيدة.

وهنا تظهر لمسة بيانية رائعة، وهي استخدام الفعل المبني للمجهول {غَلَبَتْ} بدلا من "غَلَبَتْ". ف الفعل المبني للمجهول يوجه الأنظار إلى الحدث نفسه (الهزيمة) دون ذكر الفاعل (الفرس) في البداية، مما يعطي إيحاءً بأن الهزيمة حالة عارضة طارئة، بينما الأهم هو من سينتصر في النهاية، وهو الروم. وهذا الأسلوب يزرع في النفس فكرة أن الغلبة ليست نهاية المطاف.

الامر الثاني: دلالة "غَلَبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بضع سنين" - روائع الإعجاز

أولاً: الإعجاز الغيبي التاريخي

هذه الآية تحمل في طياتها معجزة نبوية باهرة. ففي الوقت الذي هُزمت فيه الروم أمام الفرس هزيمة نكراء، وأصبح من المستحيل في عرف السياسة والحرب أن تقوم للروم قائمة مرة أخرى، نزل القرآن ليخبر بخبرين غيبين قاطعين: الأول أن الروم ستنتصر في النهاية، والثاني أن هذا النصر سيحدث في "بضع سنين". وكلمة "بضع" في اللغة العربية تعني ما بين الثلاث إلى العشر سنوات. وقد تحقق هذا الوعد الإلهي بالفعل، حيث انتصر الروم على الفرس بعد تسع سنوات من نزول هذه الآيات، وكان ذلك في العام الذي انتصر فيه المسلمون في غزوة بدر الكبرى. ففرح المؤمنون بنصر الله لهم في بدر، وبنصر الروم أهل الكتاب على الفرس المجوس. إنه وعد الله الذي لا يتخلف، وحجة دامغة على أن هذا القرآن من عند الله.

ثانياً: الإعجاز العلمي في "أدنى الأرض"

ولم يتوقف الإعجاز عند الإخبار بالغيب، بل تجاوزه إلى حقيقة علمية لم تكتشف إلا في العصر الحديث. قال تعالى: {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} أي في أقرب أرض من أرض العرب، وهي منطقة البحر الميت وما حولها بين الشام وفلسطين. والمذهل أن الدراسات الجغرافية الحديثة أثبتت أن منطقة البحر الميت هي أخفض بقعة على وجه الأرض، حيث تنخفض عن سطح البحر بأكثر من 400 متر. فوصفها القرآن بأنها "أدنى الأرض" هو وصف معجز، لأنه يجمع بين المعنى المكاني (أقرب أرض) والمعنى الطبوغرافي (أخفض أرض)، في إيجاز بلاغي لا مثيل له. فهل كان لمحمد ﷺ، النبي الأمي، أن يعرف هذه الحقيقة لولا أن الله أوحى بها إليه؟!

هذه الدقة العلمية في التعبير القرآني تدعونا اليوم إلى أن نكون دقيقين في أبحاثنا ودراساتنا، وألا نقول إلا ما هو حق وصدق. فالقرآن يعلمنا أن العلم والدين متلازمان، وأن آيات الله في الكون وآياته في الكتاب كلها تشهد بوحدانيته وعظمته.

الامر الثالث: كيف تصوغ هذه الافتتاحية عقلية قوية ونفسية مستقرة؟

إن الهدف الأسمى لهذه الافتتاحية ليس مجرد سرد خبر تاريخي، بل هو غرس مجموعة من القيم و المبادئ التي تحول المسلم من مجرد مراقب للأحداث إلى فاعل واعٍ فيها، ومن شخص منفعل إلى محلل ذكي. هذه القيم هي التي تصنع الإنسان القوي الذي لا تزلزله العواصف.

١. قيمة الأمل الاستراتيجي والثقة في العواقب

عندما ننظر إلى الواقع فترى الهزيمة والانكسار، تأتي الآية لتقول لك بصوت الحق: {وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}. إنها تفرس في أعماقك الأمل الاستراتيجي، وهو ليس مجرد تمنٍّ أو حلم يقظة، بل هو يقين راسخ بأن الهزيمة حالة عارضة والنصر آتٍ لا محالة متى توفرت أسبابه. هذه الآية تقول لك: "لا يوجد حال يدوم، فالانكسار اليوم هو مقدمة الانتصار غداً إذا فهمت أسباب النصر وعملت لها".

ما أعظم الأثر النفسي لهذه القيمة! إنها تحرك من الهزيمة النفسية التي هي أشد فتكاً من الهزيمة العسكرية أو المادية. فكم من أمة انهزمت في معركة فظلت أسيرة الهزيمة النفسية لعقود، وكم من إنسان فشل في تجارة أو مشروع فظل حبيس اليأس! لكن المؤمن الحق يسمع قول ربه: {سَيَغْلِبُونَ} فيشعر أن روحاً جديدة تسري في أوصاله، فيقوم من كبوته ويواصل المسير.

٢. قيمة الواقعية والصدق مع الذات

لاحظ معي كيف أن القرآن لم يتجاهل هزيمة الروم أو يهون منها، بل أثبتها بكل وضوح: {غَلِبَتْ الرُّومُ}. هذه هي الواقعية التي يريد الله أن يربي عباده عليها. إنه يعلمنا مبدأً عظيمًا: الاعتراف بالواقع كما هو، لا كما نحب أن يكون. فالاعتراف بالمشكلة هو أول خطوة نحو حلها. التشخيص الصحيح للداء هو بداية العلاج الناجح.

فيا أيها المسلم، لا تعش في الأوهام والأمان الكاذبة. كن شجاعًا، واجه الحقائق مهما كانت مرة، واعترف بالضعف والهزيمة إذا وقعت، ليس لتتعد وتيأس، بل لتنطلق من أرض الواقع الصلبة إلى آفاق المستقبل الواعدة. إن تربية المسلم على الصدق مع نفسه ومع واقعه تجعله قويًا لا تخدعه السراب، وتؤهله لأن يكون قائدًا مبصرًا لا قائدًا أعمى.

٣. مبدأ السننية: ربط النتائج بالأسباب

الآية تشير إلى المكان (أدنى الأرض) والزمان (في بضع سنين)، وهذا يعطينا مبدأً كونيًا عظيمًا: الكون يسير وفق قوانين وسنن ثابتة لا تحابي أحدًا. النصر ليس ضربة حظ، بل هو نتيجة لاستحقاقات ومقدمات وأسباب. التمكين له زمن محدد، لا يتقدم عنه ولا يتأخر.

ما الأثر التربوي لهذه القيمة؟ إنها تعلمنا تقدير قيمة الوقت، وألا نستعجل النتائج قبل أوانها. كما تعلمنا احترام التخصص، فلا يتناول الإنسان في أمر لا يفهمه ولا يملك أدواته. بل يجب أن يتعلم أو لا، ثم يعمل. هذه الآية تربي فينا أن نبذل الجهد، ونتقن العمل، ونتخذ الأسباب، ثم ننتظر وعد الله، فهو لا يخلف الميعاد. إنها تحارب العقلية الاتكالية التي تنتظر المعجزات دون عمل.

٤. قيمة العالمية والوعي العابر للحدود

انظر كيف ربطت الآية مشاعر المسلمين بصراع يدور بين قوتين عالميتين (الروم والفرس) في بقعة بعيدة نسبيًا عن الجزيرة العربية. هذا الارتباط يعلمنا أن المسلم جزء من هذا العالم، يتأثر به ويؤثر فيه. إنه الوعي العالمي الذي يحول المسلم من كائن محلي محدود الأفق إلى شخصية مثقفة واسعة الأفق، تدرك ما يدور حولها من متغيرات دولية وتفهم موازين القوى العالمية.

في عصرنا الحالي، نحن أحوج ما نكون إلى هذا المبدأ. فالعالم أصبح قرية صغيرة، وما يحدث في أقصى الشرق يؤثر في أقصى الغرب. المسلم الواعي هو من يتابع الأحداث العالمية، ويفهم تقاطعات المصالح، ويدرك من هم حلفاؤه ومن هم أعداؤه، لا بعاطفة عمياء، بل بعقل رشيد وفقه سياسي مستنير.

٥. مبدأ التوحيد في التدبير: "لله الأمر من قبل ومن بعد"

ما أروع هذه العبارة القرآنية! {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ}. إنها تزرع في قلب المؤمن يقينًا راسخًا بأن التدبير البشري محاط بالتدبير الإلهي من كل جانب. القوة المادية ليست مطلقة، فمهما بلغت جيوش الفرس من العتاد والعدد، فإن الأمر كله بيد الله. هو الذي أذن بهزيمة الروم أولاً، وهو الذي أذن بنصرهم أخيرًا.

ما الأثر النفسي لهذا المبدأ؟ إنه السكينة والطمأنينة عند اتخاذ القرارات الصعبة. عندما تعلم أن الأمر كله لله، تتحرر من الخوف من القوى الظالمة مهما بلغت، وتتحرر من القلق على المستقبل. أنت مطالب بالسعي والأخذ بالأسباب، أما النتائج النهائية فهي بيد العزيز الحكيم. هذه العقيدة تمنحك هدوءًا نفسيًا يمنع الاحتراق الوظيفي والتوتر الدائم، لأنك تعلم أنك قمت بدورك، والتدبير الأعلى ليس بيدك.

٦. قيمة العدالة والانحياز للحق

فرح المسلمون بنصر الروم لأنهم كانوا أقرب إلى الحق من المشركين الفرس. هذا يعلمنا مبدأً أخلاقيًا وسياسيًا رفيقًا: الانحياز دائمًا للطرف الأعدل، أو الأقرب للقيم الإنسانية والإلهية. هذه هي البوصلة الأخلاقية التي يجب أن توجه مواقفنا في الصراعات العالمية.

الأثر الاجتماعي لهذا المبدأ هو بناء مجتمع يملك ضميرًا حيًا، يفرح لانتصار العدل في أي مكان في الأرض، ويتألم لهزيمته. مجتمع لا تنحصر اهتماماته في قضاياها المحلية الضيقة، بل تمتد إلى نصرة المستضعفين في كل مكان. وهذا هو ما ينبغي أن نكون عليه اليوم، خاصة في ظل ما نراه من ظلم وعدوان على المستضعفين في العالم.

هذه القيم الست هي التي تفتح الباب لبناء شخصية فاعلة، لا تقف عند حدود المشكلة، بل تبحث عن الحل، وتنتظر الفرج بيقين، وتعمل للغد بعقلية القائد المستبصر.

الامر الرابع : هذه الفواتح - خارطة طريق شاملة لبناء الإنسان والمجتمع

إن فواتح سورة الروم لم تنزل لمجرد الإخبار عن حدث تاريخي مضى وانقضى، بل هي منهج متكامل لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة. إنها تمثل خارطة طريق واضحة المعالم، تتجاوز التقرير الإخباري لتضع أبعادًا عميقة تشكل عقلية المسلم في مختلف جوانب حياته. وإليك تفصيل هذه الأبعاد:

١. البعد العقدي: الإيمان بالهيمنة الإلهية

الآية ترسخ أصلًا عقديًا عظيمًا: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ}. القوة الحقيقية ليست في عتاد الفرس و لا في صواريخ الروم، بل هي في إرادة الله ومشيئته. هذا البعد العقدي يعزز اليقين بالوحي. فالقرآن يخبرنا بأمور مستقبلية تتحقق بدقة متناهية، وهذا دليل قاطع على أنه من عند خالق لا يحده الزمان ولا المكان، يعلم الغيب والشهادة.

عندما يترسخ هذا اليقين في قلب المؤمن، يصبح تصديقه للقرآن مطلقًا، وثقته بوعده الله لا تتزعزع. إنها عقيدة تجعله ينام قرير العين، وهو يعلم أن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه.

٢. البعد الفكري والعقلي: بناء عقلية التحليل والاستشراف

هذه الآيات لا تريد منك أن تكون مجرد متلقٍ سلبي للأحداث. بل تدعوك إلى تحليل الواقع واستشراف المستقبل. إنها تسألك: لماذا غلبت الروم؟ وكيف ستغلبون؟ هذا يدفعك إلى التفكير الاستراتيجي، والبحث عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة.

كما أن الإشارة إلى "أدنى الأرض" هي دعوة عقلية صريحة إلى البحث والتحري العلمي، وربط الحقائق الدينية بالحقائق الكونية. فالمسلم ليس مجرد عابد في محرابه، بل هو باحث في الكون، مندهش من بدیع صنع الله، متأمل في آياته. هذه الدقة العلمية التي يشير إليها القرآن تدفع المسلم اليوم لأن يكون دقيقًا في أبحاثه وتقاريره، لا يتحدث بالعموميات، بل يشخص مواضع الخلل بدقة متناهية.

٣. البعد النفسي: الصلابة والالتزان

في زمن كثر فيه الأمراض النفسية، تقدم لنا هذه الآية علاجًا نفسيًا وقائيًا ضد اليأس والإحباط. عبارة {سَيَغْلِبُونَ} هي بلمس للقلوب المنكسرة، تقول لها: "إن السقوط الحالي ليس نهاية العالم". وعبارة {لِلَّهِ الْأَمْرُ} تمنح الإنسان طمأنينة تريحه من ضغوط النتائج المادية التي قد تتأخر. فأنت تعمل وتجتهد ، ثم تكل النتائج إلى الله، وهذا هو غاية الاتزان النفسي.

هذه الصلابة النفسية هي التي تصنع رجالاً لا تزيدهم الشدائد إلا قوة، ولا تزيدهم الهزائم إلا إصرارًا. إنها شخصية المؤمن الذي قال عنه النبي ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير... إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له".

٤. البعد التربوي: بناء القيم والسنن

الآية تربي في الفرد والمجتمع قيمًا عظيمة:

. تربية الأمل: ليكون الفرد صانع تفاؤل في بيئته، مبشرًا بالخير والنجاح حتى في أحلك الظروف.
. فقه الواقع والوقت: التربية على الصبر الجميل، فالتغيير الحقيقي في "بضع سنين" يحتاج إلى زمن وتراكم جهود التربية المستعجلة التي تريد قطف الثمار قبل نضجها لا تصنع نصرًا ولا تحقق نهضة .
هذا درس عظيم للمربين والقادة.

٥. البعد السياسي: فهم موازين القوى وفقه التحالفات

الآية تعلم المسلم أن يكون واعيًا سياسيًا، يفهم ما يدور حوله من صراعات دولية، ويدرك موازين القوى. الوعي الدولي ليس ترفًا فكريًا، بل هو ضرورة لبناء أمة قوية. السياسة الإسلامية تقوم على مراقبة الأحداث العالمية وفهم تقاطعات المصالح.

كما تقدم لنا الآية فقه التحالفات الروحية. فحزن المسلمين لهزيمة الروم وفرحهم بنصرهم يدل على بوصلة سياسية رشيدة، تفرق بين العدو المباشر والطرف الأقرب للحق. هذا الفقه هو عنوان هذه السورة. فروحك ومشاعرك يجب أن تكون مع الأقرب إليك في القيم والمبادئ، وإن كان بينك وبينه عداوة. لا ينبغي أبداً أن تنماهى مع العدو المباشر الحقيقي، فهذه مصيبة تقتل الروح دون أن تشعر. ولنا في واقعنا المعاصر عبرة، حيث نرى من يفرح بضرب عدو لمسلم، متناسياً أن العدو الأول هو الظلم والظغيان.

٦. البعد الاجتماعي: وحدة المشاعر والهدف

فرح المؤمنين بنصر الروم يربط بين انتصار الحق في أي مكان وبين مشاعر الجماعة المسلمة. هذا يبني مجتمعاً يهتم بقضايا العدالة العالمية، ولا ينغلق على ذاته. الأمل الجماعي عندما يشع في المجتمع تزداد الإنتاجية ويقل الإحباط الاجتماعي الذي يؤدي عادة إلى الجريمة والتفكك.

٧. البعد التنموي: البناء والنهضة

الإيمان بالنهوض القادم {سَيَعْلُونَ} هو المحرك الأساسي لأي عملية تنموية، فلا تنمية مع اليأس. والاعتراف بالواقع {عَلَيْتَ} هو أول خطوة في تحسين الجودة والنهضة التربوية. فالآية تدعو المخطط التنموي إلى تقدير المدد الزمنية (بضع سنين)، والاعتراف بالخسارة كخطوة أولى للإصلاح. مفهوم {لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ} يجعل التنمية عملية مستدامة، لا تتوقف عند جيل واحد أو حدث واحد، بل هي بناء ممتد يبتغي الإصلاح المستمر في الأرض.

الأمر الخامس: دور هذه المفاهيم في مختلف مستويات البناء

إن المفاهيم التي تستخلصها من هذه الآيات الكريمة لا تقف عند حد التنظير، بل تمتد لتشكّل أدواراً عملية في بناء شخصيتك، ومجتمعك، وحضارتك.

١. بناء الشخصية المسلمة الفاعلة والقوية

- الصلابة النفسية: تزرع فيك الآية عدم الانكسار أمام الأزمات الشخصية. أنت تدرك أن الغلبة حالة متغيرة، فتملك مرونة عالية في مواجهة الفشل المهني أو الشخصي. أنت تسقط ثم تنهض، لأنك تعلم أن {سَيَعْلُونَ}.
- العقلية التحليلية: تربيك الآية على رصد الأحداث: أين وكيف وقعت الهزيمة؟ هذا يحولك من شخص عاطفي ينفعل بالأحداث إلى محلل ذكي يبحث عن الأسباب والنتائج.
- اليقين الفاعل: ليس يقيناً توكلياً يدفعك للعودة، بل هو يقين يدفعك للعمل. فالعلم بأن النصر قادم يحفزك على الاستعداد له، لتكون جزءاً منه لا أن تفاجأ به.

٢. بناء المجتمع المسلم

- التكافل الوجداني: حزن الصحابة لهزيمة الروم وفرحهم بنصرهم يعزز في المجتمع مفهوم الجسد الواحد، الذي يهتم بقضايا الحق والعدل العالميين، مما يخرج المجتمع من القوقعة المحلية إلى الأفق الإنساني.
- إدارة التوقعات الجماعية: تمنح الآية المجتمع "صبراً استراتيجياً" في "بضع سنين". المجتمع المسلم لا يستعجل النتائج بطريقة عشوائية، بل يعمل بنظام الجماعة الواعية بمرور الزمن وتراكم الجهود.

٣. بناء الحضارة الإسلامية

- الارتباط بالواقع العلمي: الإشارة إلى "أدنى الأرض" تؤسس لمنهج حضاري يقوم على الدقة العلمية والاستكشاف. الحضارة الإسلامية بنيت على الجمع بين الوحي والبحث في أسرار الكون.
- عالمية الرؤية: متابعة الصراع بين القوى العظمى الروم والفرس (تدل على أن الفكر الحضاري المسلم يراقب موازين القوى العالمية، ليتفاعل معها ويحجز مكانه كقوة مؤثرة لا كمجرد هامش).

٤. بناء الثقافة الإسلامية

- ثقافة الأمل الواقعي: ترسخ الآية ثقافة تتجاوز اليأس. ففي عز المحنة، يقرر القرآن حتمية التغيير. هذه الثقافة هي التي جعلت المسلمين يبدعون في أحلك الظروف، كالنهوض بعد نكبة التتار.

· مفهوم "الأمر لله": تأصيل ثقافة التوحيد في النتائج يجعل الثقافة الإسلامية ثقافة متزنة، لا تطغى عند النصر) لأنه من الله، ولا تقنط عند الهزيمة) لأن الأمر بيد الله.

٥. البناء التنموي

· التخطيط القائم على السنن: التنمية ليست صدفة، بل هي سنة تخضع للوقت والجهد. الآية تدعو المخطط التنموي لتقدير المدد الزمنية) بضع سنين، والاعتراف بالخسارة كخطوة أولى للإصلاح.
· التنمية المستدامة برؤية إيمانية: مفهوم {لله الأمر من قبل ومن بعد} يجعل التنمية عملية مستمرة لا تتوقف عند جيل واحد أو حدث واحد، بل هي بناء ممتد يبتغي الإصلاح المستمر في الأرض.
الأمر السادس: مفاهيم مركزية في حياتنا العملية - كيف نعيش الآية؟

لنحول هذه المعاني الجليلة إلى واقع عملي في حياتنا اليومية، فما الفائدة من معرفة نظرية لا تغير من واقعنا شيئاً؟

١. مفهوم المداولة والديناميكية

الحياة ليست ثابتة على حال، فالقوي قد يضعف، والمغلوب قد ينتصر. في حياتك العملية، هذا المفهوم يمنعك من الغرور عند النجاح، ومن اليأس عند الإخفاق. أنت تعلم أن الأمور في تقلب دائم، فتلزم التواضع في الرخاء، والصبر في الشدة. كل شيء في هذه الدنيا متغير، فلا تفرح كثيراً بنجاح زائل، ولا تحزن كثيراً على فشل عابر.

٢. مفهوم السنن الكونية والقوانين

النصر والهزيمة ليسا ضربة حظ، بل هما نتيجة مقدمات وأسباب. الآية تشير إلى أن هناك مساراً زمنياً وأسباباً أدت لتغيير النتيجة من غلبة إلى "سيغلبون". في عملك، إذا أردت النجاح، فلا تنتظر المعجزات، بل ادرس الأسباب التي تؤدي إليه، واعمل على تحقيقها. الفشل ليس قدرًا محتومًا، بل هو فرصة لمراجعة الأسباب وتصحيح المسار.

٣. مفهوم الوعي المعلوماتي

القرآن رصد حدثاً عالمياً بدقة المكان والنتيجة. هذا يرسخ مفهوم أهمية المعلومات في اتخاذ القرار. قبل أن تقدم على أي مشروع أو تتخذ أي موقف، عليك أن تجمع المعلومات الكافية، وتحلل البيئة المحيطة بك بدقة. لا تتخذ قراراتك بناءً على عواطف أو شائعات. كن دقيقاً في معلوماتك، محققاً في مصادرها، محايداً في تحليلك.

الأمر السابع: وقفات عملية لتطبيقات في الحياة اليومية

وإليك بعض الوقفات العملية السريعة التي يمكنك استحضارها في حياتك اليومية، لتتحول الآية من مجرد نص مقروء إلى طاقة محرركة للعمل:

· وقفة مع "أدنى الأرض" الدقة والبحث: إذا كنت تعد بحثاً أو تقريراً أو مشروعاً، فلنكن دقتك العلمية متناهية. لا تتحدث بالعموميات، بل كن دقيقاً في تشخيص مواضع الخلل في عملك. ابحث عن "أدنى" نقطة ضعف لديك أو في مشروعك، وركز عليها لمعالجتها.
· وقفة مع "من بعد غلبهم سيغلبون" الإدارة بالتفاؤل: إذا كنت تدير فريقاً أو مشروعاً واجتازتم مرحلة صعبة، فدورك كقائد هو غرس يقين العودة والانتصار. القائد الناجح هو من يرى الغلبة القادمة وسط الهزيمة الراهنة، ويقنع بها من حوله. كن أنت مصدر الأمل لفريقك.
· وقفة مع "لله الأمر من قبل ومن بعد" التحرر من ضغط النتائج: أنت مأمور بالسعي وبذل الجهد واأخذ بالأسباب، لكن النتيجة النهائية بيد الله. هذه الوقفة تمنحك هدوءاً نفسياً يمنع الاحتراق الوظيفي أو التوتر الدائم، لأنك تعلم أنك قمت بدورك، والتدبير الأعلى ليس بيدك. فأرح بالك، وواصل سعيك بقلب مطمئن.
· وقفة مع "ويومئذ يفرح المؤمنون" الذكاء العاطفي والاجتماعي: اجعل فرحك مرتبطاً بالإنجازات الحقيقية والقيمية، وليس فقط بالمكاسب المادية العابرة. افرح لانتصار الحق والعدل أينما كان، وتضامن مع المظلومين في كل مكان. هذا يوسع أفقك الإنساني ويرتقي بمشاعرك.
خاتمة: دعوة للعيش مع الآية

وهكذا، ترى أن هذه الآيات الأربع من فاتحة سورة الروم ليست مجرد خبر عن حدث مضى، بل هي

مدرسة متكاملة لبناء الإنسان القوي، والمجتمع المتماسك، والحضارة الرائدة. إنها تنتقل بك من حال الهزيمة {غَلِيَتْ} إلى حال النصر {سَيَقْلِبُونَ}، ليس فقط في القصص، بل في منهجية حياة كاملة. إنها تدعوك لتكون:

- مبصرًا بالواقع: تعرف من غلب، وأين، ولماذا غلب.
- موقنًا بالمستقبل: تعلم أن الحال سيتبدل بإذن الله.
- عاملاً بالسنن: تدرك أن لكل شيء وقتًا (بضع سنين)، وأن النصر له أسباب.
- مسلمًا للخالق بالنتائج: توفن بأن الأمر كله لله من قبل ومن بعد.

فيا أيها المؤمن، ويا أيها المؤمنة، اجعلوا هذه الآيات نورًا على دروبكم، وسلاحًا في مواجهة اليأس، وبوصلة في خضم الأحداث. عيشوا معانيها بقلوبكم وعقولكم، فتشعروا بطمأنينة لا توصف، وقوة لا تقهر، وأمل لا ينقطع. ثقوا بوعد الله، وادرسوا الواقع بدقة، واعملوا بالأسباب، ثم فوضوا الأمر لله، وانتظروا النصر والفرج، فإن وعد الله حق، وهو أصدق القائلين.

المبحث الثاني

سنواصل رحلتنا معًا في رحاب سورة الروم، لنعيش مع الآيتين الخامسة والسادسة، اللتين تأتيان كتبويج للنصر ووعد الحق الذي لا يتخلف. بنفس الأسلوب الذي يخاطب عقلك ووجدانك، لنجعل من هذه الآيات نورًا نهدي به في حياتنا.

جوهره الوعد: تفسير الآيتين (5) - (6)

قال الله تعالى:

{وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ \ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ \ *وَعَدَ اللَّهُ لَأُخْلِفَ اللَّهُ
وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} {الروم: 4-6}

بعد أن أخبرنا الله تعالى بهزيمة الروم ثم بشارة نصرهم في بضع سنين، تأتي هذه الآيات لترسم مشهد الفرح وتكشف عن قوانين النصر والهزيمة في هذا الكون. إنها تنتقل من الخبر إلى العبرة، ومن الحدث التاريخي إلى المبادئ الخالدة.

أولًا: مشهد الفرح الإيماني { وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ \ *بِنَصْرِ اللَّهِ

تحليل النص وبلاغته

{ وَيَوْمَئِذٍ: هذا التعبير الزمني المحدد يربط الحدث مباشرة بالوعد السابق "في بضع سنين". إنه يقول لك: في ذلك اليوم الموعود، الذي حددناه من قبل، سيحدث هذا الفرح العظيم. إنه ليس فرحًا عائمًا، بل هو ثمرة يقين بوعد الله، ونتيجة لصبر وترقب. وهذا يعزز الثقة بأن لأيام الله مواعيدها الدقيقة التي لا تتأخر ولا تتأخر.

{ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ: ما أروع هذا الوصف! الفرح الحقيقي، الفرح الذي يسكن القلب ويملأ الجوارح، هو من نصيب المؤمنين. لماذا؟ لأنهم يرون في هذا الحدث العالمي نصرًا للقيم الإلهية على الوثنية، وتصديقًا لوعد الله، وعلامة على أن الأمر كله بيده. إنه فرح بأن الله حقق وعده، وليس مجرد فرح بغلبة طرف على آخر. وقد تحقق هذا الفرح بالفعل عندما وافق نصر الروم على الفرس يوم بدر، فاجتمع للمؤمنين فرحان: فرح بنصرهم هم، وفرح بنصر أهل الكتاب. هذا هو الفرق بين فرح المؤمن وشماتة غيره؛ فالأول قيمى ومبدئى، والثاني قد يكون أعمى.

{ بِنَصْرِ اللَّهِ: واللمسة البيانية هنا عظيمة؛ فالباء في "بنصر" هي باء السببية. فلم يقل "يفرحون بنصر الروم" بل قال { بِنَصْرِ اللَّهِ }. إنها تنقل الحدث من مستواه الأرضي إلى مستواه السماوي، لتقول لك: لا تنظر إلى قيصر وكسرى، بل انظر إلى يد الله التي تدبر كل شيء. إنه توجيه إلهي بأن تفرح بنصر الله كيفما جاء، وليس بنصر قبيلتك أو حزبك أو دولتك. المصدر الحقيقي للفرح هو رؤية وعد الله يتحقق، لا الأحداث المادية في ذاتها.

*دروس وعبر: كيف نعيش هذا المشهد؟

- الدقة الزمنية: التعبير بـ "يومئذ" يذكرنا بأن لكل شيء أجلًا محددًا في علم الله، مما يعلمنا الصبر والتخطيط الاستراتيجي طويل المدى، وعدم استعجال النتائج.
- فرح القيم لا الأشخاص: أن تفرح بانتصار العدل والحق، وتتألم لهزيمتهما. هذا يبني فيك بوصلة أخلاقية، ويجعلك شخصًا مبدئيًا في مواقفك.

. رد النصر لله: مهما كنت سببًا في نجاح أو نصر، فرد الفضل لله. هذا التواضع يحميك من الغرور، ويبيحك متصلاً بالمصدر الحقيقي للقوة.

*ثانيًا: قانون النصر الإلهي { يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }
تحليل النص وبلاغته

بعد أن أسند النصر إليه في قوله "بنصر الله"، يأتي بهذا القانون المحكم: {يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ}. هذه الجملة بمثابة تذييل وتفصيل لقانون عام بعد ذكر واقعة خاصة. إنها تقول: ما حدث للروم ليس استثناءً، بل هو تطبيق لسنة الله الدائمة.

{يَنْصُرُ}: استخدام الفعل المضارع هنا يدل على التجدد والاستمرار. فالله لا يزال ولا يزال ينصر من يشاء، في كل زمان ومكان. إنها سنة ماضية إلى يوم القيامة، مما يفتح للمؤمن باب الأمل على مصراعيه.

{مَنْ يَشَاءُ}: وهذا هو المفتاح. المشيئة هنا ليست عبثية، بل هي محفوفة بالحكمة الإلهية. هو ينصر من تتوفر فيهم شروط النصر الإيمانية والعملية، من يشاء أن ينصره لأنه أهل لذلك.
{وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}: هذا هو الختام المذهل! لقد جمع الله بين هذين الاسمين الجليلين "العزیز" و "الرحيم" في موضع بديع. لاحظ معي التناسق العجيب: ففي الهزيمة الأولى للروم، تجلت عزة الله وقهره، حيث أدال للفرس عليهم. وفي النصر اللاحق للروم، تجلت رحمته، حيث أعاد لهم الكرة وأدال لهم على عدوهم. فالقبتان كلتاها من الله، الأولى بعزته، والثانية برحمته. إن هذا الجمع بين الصفتين يمنح المؤمن طمأنينة عجيبة؛ فهو يعلم أن الله قوي قادر على نصرته (العزیز)، وهو في الوقت نفسه رحيم به يريد له الخير (الرحيم).

دروس وعبر: كيف نعيش هذا القانون؟

. اليقين بالسنن الإلهية: كن على يقين بأن النصر والهزيمة ليسا صدفة، بل يجريان وفق سنن الله . فابحث عن هذه السنن والتزم بها.
. التأهل للنصر: اسأل نفسك: هل أنا من "من يشاء" الله نصرهم؟ اعمل على أن تكون من أهله، بالإيمان الصادق والعمل الصالح والأخذ بالأسباب.
. الطمأنينة: الخوف من المستقبل يزول عندما تعلم أن الذي بيده الأمر هو "العزیز الرحيم". عزيز لا يغلبه شيء، ورحيم لا يريد بك إلا الخير. فتوكل عليه بصدق.

ثالثًا: وعد لا يتخلف { وَعَدَ اللَّهُ لَأِخْلَفَنَّ اللَّهُ وَعَدَهُ }
تحليل النص وبلاغته

هذه الآية هي بمثابة الختم والتأكيد على كل ما سبق. إنها تؤكد أن كل ما قيل هو "وعد الله"، والله لا يخلف وعده.

{ وَعَدَ اللَّهُ } : نصب لفظ الجلالة "وعد" على أنه مصدر مؤكد لفعل محذوف تقديره "وَعَدَ اللَّهُ ذَلِكَ وَعَدًا"، أو على أنه مفعول مطلق لفعل مضمَر. هذا الأسلوب البلاغي يضيف على الجملة قوة وتأكيدياً، وكأنه يقول: "هذا هو وعد الله القاطع، فاحفظوه واعلموا أنه واقع لا محالة".
{لَأِخْلَفَنَّ اللَّهُ وَعَدَهُ}: إن تكرار لفظ الجلالة "الله" مرتين في الآية) وعد الله لا يخلف الله وعده (له) وقع عظيم. إنه يملأ القلب هبة وإجلالا . فهو "وعد الله"، وهو الذي "لا يخلف وعده". هذا التكرار يقطع الطريق على أي شك أو تردد. وقرن نفي الإخلاف بوعد دليل على أن الوعد منه يستلزم الوفاء بحكم كماله المطلق وغناه المطلق.

{وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}: هذه الجملة هي تشخيص دقيق للمشكلة. لماذا يتعجب الكفار من هذا الوعد أو يكذبون به؟ لأنهم {لأنهم لا يعلمون أن هذا وعد الله، ولا يعلمون أن الله لا يخلف وعده، ولا يعلمون أن للكون إلهًا قادرًا يدبره. جهلهم هو سبب جحودهم. هذا الأسلوب يحرك العقل، ويدفعك للتساؤل: هل أنا من الذين يعلمون أم من الذين لا يعلمون؟ إنها دعوة للعلم والمعرفة التي هي أساس الإيمان الصحيح. وقد بينت الآية التي بعدها أن علمهم محدود بظواهر الدنيا، بينما هم غافلون عن الآخرة وحقيقة تدبير الله للكون.

*دروس وعبر: كيف نعيش هذا الوعد؟

. الثقة المطلقة بوعد الله: مهما طال الزمن، ومهما بدت الظروف مستحيلة، فوعد الله حق. هذا هو وقود الأمل الذي يجب ألا ينطفئ في قلبك.

· التمييز بين وعد الله ووعد البشر: البشر يعدون وقد يخلفون، أما الله فلا يخلف الميعاد. ابن حياتك وتوقعاتك على وعود الله الثابتة، لا على وعود الناس المتقلبة.
· طلب العلم الشرعي: العلم هو السلاح الذي يحصنك من الشكوك. كلما تعلمت عن الله وأسمائه وصفاته وسننه في الكون، زاد يقينك وثقتك بوعده، وصرت من "الذين يعلمون".

*نحو القمة: بناء الإنسان والمجتمع من خلال هذه القيم

الآن، دعنا نلخص كيف تبني هذه الآيات القيم التي تحدثنا عنها سابقًا، لنتنقل من التنظير إلى التطبيق العملي:

· الأمل الاستراتيجي) الثقة بالعواقب(عبارة): وَعَدَ اللهُ لَّا يُخْلِفُ اللهُ وَعَدَهُ (هي صك الأمل الاستراتيجي الذي يملكه المؤمن حتى لو رأيت الهزيمة بعينك "غلبت الروم"، فأنت تعلم أن النصر آت سيغلبون" لأن هذا وعد الله. هذا يحركك من الهزيمة النفسية.
· الواقعية والصدق مع الذات: الآيات لا تلغي الواقع، بل تنطلق منه. فالوعد بالنصر يأتي بعد الاعتراف بالهزيمة "غلبت". هذه هي الواقعية القرآنية: الاعتراف بالمشكلة هو أول خطوة نحو حلها. كن صادقًا مع نفسك في تقييم واقفك.
· مبدأ السننية) ربط النتائج بالأسباب(: وعد الله بالنصر لا يعني التواكل. بل يعني أن هناك أسبابًا ونتائج. الله ينصر "من يشاء" ممن أخذوا بالأسباب. فأنت مطالب بالسعي والعمل، ثم تنتظر وعد الله.
· العالمية والوعي العابر للحدود: فرح المؤمنين بنصر الروم، وهو صراع خارج الجزيرة العربية، يفرس فيك وعيًا عالميًا. أنت جزء من أمة كبيرة، يؤثر فيها ويتأثر بها ما يحدث في العالم. كن متابعًا، محللًا، ومدركًا لموازين القوى.
· التوحيد في التدبير) لله الأمر(قانون) يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ (وقانون "العزیز الرحيم" يؤكدان أن كل الأحداث بيد الله وحده. هذا يمنحك سكينه وثباتًا في خضم الأزمات. لا تخف من قوة طاغية، فالأمر كله لله.
· العدالة والانحياز للحق: فرح المؤمنين بنصر الروم "أهل الكتاب" هو انحياز للطرف الأقرب إلى القيم الإلهية والإنسانية. هذا يبني ضميرًا أخلاقيًا لديك، ويجعلك تنحاز للحق والعدل أينما كان.
*في الختام: الدرس الأكبر

هاتان الآيتان الكريمتان ليستا مجرد خاتمة لقصة تاريخية، بل هما إعلان عن قانون إلهي ثابت: الفرغ مع الكرب، وأن النصر مع الصبر. إنهما تزرعان في قلبك بذرة الأمل التي لا تموت، وتمنحان عقلك بوصلة الحق التي لا تضل، وتهبان نفسك طمأنينة العزيز الرحيم.

فيا أيها المؤمن، عش بهذا الوعد. ثق به في أزماتك الشخصية، وفي هموم أمتك. اعمل بالأسباب، وانتظر الفرغ، واعلم أن الله لا يخلف الميعاد. إنه وعد من عزيز رحيم، ووعد الحق، وقوله الفصل. فلتكن هذه الآيات زادك في طريقك، ونورك في ظلمات الشدائد، وبشراك بيوم الفرغ الموعود.

المبحث الثالث

يا من تبحث عن كنوز اليقين في كتاب رب العالمين، ها نحن نصل إلى آية هي بمثابة المرأة التي تكشف لك حقيقة علم البشر وحقيقة جهلهم. إنها الآية التي تفسر لك لماذا يضطرب "أكثر الناس" أمام الأحداث، ولماذا ييأسون عند الشدة ويبطرون عند النعمة، بينما يثبت المؤمن كالجبل الراسخ.

تعالَ نفوس معًا في أعماق قوله تعالى:

{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} (الروم:7)

هذه الآية هي التشخيص الإلهي الدقيق لمرض حضاري خطير يصيب الأمم والأفراد. إنها تضع يدك على مكنم الداء لتصف لك الدواء. فبعد أن أخبرنا الله في الآية السابقة أن سبب تكذيب الكفار بوعد الله هو أنهم {لَّا يَعْلَمُونَ}، جاءت هذه الآية لتفصل لنا طبيعة هذا الجهل الذي يعانون منه. إنه ليس جهلًا مطلقًا بالقراءة والكتابة، بل هو جهل مركب، إنه العلم القاصر الذي يتوقف عند القشرة ويغفل عن اللب، عند الجسد وينسى الروح.

أولًا: تشريح النص - بلاغة تحيي القلوب

{اقوله تعالى:} {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}

انظر إلى دقة التعبير القرآني المعجز. لم يقل: "يعلمون الحياة الدنيا"، بل قال: {ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ

الدنيا}. إنه يصف علمهم بأنه مجرد قشرة رقيقة، أو واجهة براقية، أو سطحًا خارجيًا. إنهم يبصرون أشكال الأشياء، لكنهم لا يدركون حقائقها. يرون الشجرة تزهر فيعلمون أنها ستعطي ثمرًا، هذا هو الظاهر. لكنهم لا يتجاوزون هذا الظاهر ليعلموا أن الله هو الذي أنبتها، وأنها آية على البعث والنشور.

. اللمة البيانية: استخدام كلمة "ظاهرًا" النكرة هنا للتقليل والتحقير. فمهما بلغ علمهم في الهندسة و الطب والفلك، فإنه يظل محصورًا في ظاهر هذه الدنيا الفانية، ما لم يقترن بنور الإيمان الذي يخبرهم بما وراء هذا الظاهر. إنهم كمن يقرأ غلاف الكتاب ويتقنه حفظًا، لكنه لا يفتحه أبدًا ليعرف محتواه العميق.

{قوله تعالى:} وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}

وهنا يضع الله يده على أصل البلاء. إنه ليس مجرد "جهل" بالآخرة، بل هو غفلة. والغفلة في اللغة هي: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره. إنها حالة ذهنية وقلبية أعمق من الجهل.

. اللمة البيانية: لاحظ تكرار الضمير "هم" مرتين! قال: { وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ }. (هذه الجملة تحتل معنيين بديعين:

1. القصر والتوكيد: أي أنهم هم وحدهم الغافلون حقًا، أما المؤمنون فهم متبهون مستيقظون . فكأنه يقول: "الغفلة الحقيقية مقصورة عليهم".

2. الفصل والتأكيد: فالجملة بدون التكرار تكون: "وهم عن الآخرة غافلون". ولكن إقحام الضمير "هم" بين الجار والمجرور "عن الآخرة" والخبر "غافلون" يعطي معنى: أن غفلتهم عن الآخرة شديدة جدًا، وكأنها جزء لا يتجزأ من كيانهم. إنها ليست مجرد حالة عارضة، بل صفة ملازمة لهم.

المفهوم المركزي: "ظاهر الحياة الدنيا" - الفخ الذي يسقط فيه أكثر الناس

هذه الآية ترسم لك خريطة للعقل البشري. هناك عقلاان:

. العقل السطحي (عقل الغافلين): هو عقل يسبح في ظاهر الحياة الدنيا. يعرف أسعار الأسهم، وأسماء اللاعبين، وأحدث التقنيات، لكنه غافل عن مصيره بعد الموت. يبني ناطحات السحاب، ويغزو الفضاء، ويشق الأنهار، لكنه لا يعلم لماذا خلق. إنه عقل ذكي جدًا في فك شفرات المادة، وغبي جدًا في فك شفرات الوجود. هذا العقل يرى هزيمة الروم في أدنى الأرض، فيحكم بأن الفرس هم سادة العالم الأبديون، لأنه لا يرى إلا ظاهر القوة. إنه لا يملك أداة استشراق المستقبل، لأن المستقبل مرتبط بالغيب والآخرة، وهو غافل عنهما.

. العقل العميق (عقل المؤمنين): هو عقل يرى ظاهر الحياة الدنيا، ثم يخترقه إلى باطن الحكمة الإلهية. هو يرى هزيمة الروم، لكنه يعلم أن وعد الله بنصرهم آتٍ. يرى ضعف المسلمين، لكنه يعلم أنه تمحيص قبل التمكين. إنه عقل يعيش في الدنيا بجسده، لكن روحه متعلقة بالآخرة. ولذلك فهو العقل الوحيد القادر على قراءة الأحداث بعمق، وعلى التخطيط الاستراتيجي طويل المدى، لأنه ينظر إلى ما بعد الموت، وما بعد الأفق الزمني الضيق.

*البعد الفكري: الإسلام وتعليم العلم العميق

لقد سعى الإسلام إلى تربية المسلم على العلم العميق الذي يتجاوز السطح إلى اللب، لا على العلم السطحي الذي لا يتعدى ما يرونه في الحياة الدنيا. الفرق بين العلمين هو الفرق بين من يبني على الرمل ومن يبني على الصخر.

. العلم السطحي: يمنحك معلومات عن "كيف" تعمل الأشياء. كيف يعمل الهاتف؟ كيف يحدث الكسوف؟ هذا علم ضروري، لكنه قاصر إن توقف عنده.

. العلم العميق: يضيف إلى "كيف" سؤال "لماذا؟" و"ماذا بعد؟". لماذا خلق الله هذا الهاتف وهذا العقل؟ كيف استخدمه فيما يرضيه؟ ماذا بعد هذا الاختراع من موت وحساب؟ هذا العلم هو الذي يمنحك الحكمة. الحكمة هي وضع الشيء في موضعه الصحيح.

كيف نطبق ذلك عمليًا؟

. عند متابعة الأخبار: لا تكن مجرد متفرج يصفق لهذا ويصفر لذاك. اسأل نفسك: ما هي سنة الله التي تتجلى هنا؟ أين الحق وأين الباطل في هذا الصراع؟ كيف أستفيد من هذا الحدث في تقوية إيماني أو في تغيير واقعي؟

. في الدراسة والعمل: لا تدرس الهندسة لتكون مجرد مهندس يبني الجسور بل كن مهندساً يبني الجسور للتقرب إلى الله، ويرى في صلابتها آية من آيات الله، ويعلم أن جسر الآخرة يحتاج إلى عمل صالح لعبوره. هذا هو الفرق بين العلم للدنيا والعلم لله.
**الدور التربوي: كيف ننقذ أبناءنا من فخ "ظاهر الحياة الدنيا"؟

إن أخطر ما يواجه أبناءنا اليوم هو الفرق في ظاهر الحياة الدنيا. شاشات الهواتف، والألعاب الإلكترونية، ومنصات التواصل، كلها تقدم لهم ظاهراً براقاً من الحياة، وتجعلهم في غفلة عن الآخرة، وعن حقيقة أنفسهم. فكيف نربيهم على هذه الآية؟

1. التعليم (التألمي) التدبير: عندما تخرج مع ابنك في نزهة، لا تقل له فقط: "انظر إلى البحر ما أجمله!". هذا هو الظاهر بل أضف إلى ذلك: "انظر إلى هذا البحر العظيم من الذي خلقه؟ إنه الله. أتعلم أن الله وعدنا بأنهار من عسل وماء في الجنة؟ هذا الجمال هو ظاهر، وجمال الجنة هو الباطن الحقيقي الذي ينتظر المؤمنين". بهذا تنقله من سطح الظاهر إلى عمق الحقيقة.
2. الربط الدائم بالآخرة: عند كل نجاح أو فشل، اربطه بالآخرة. إذا نجح في امتحان، قل له: "الحمد لله، هذا نجاح في ظاهر الحياة الدنيا. لكن النجاح الحقيقي الأكبر هو النجاح في امتحان الآخرة يوم القيامة". إذا رأى مشهداً لظلم في الأخبار، قل له: "هؤلاء الظلمة قد ينتصرون في ظاهر الحياة الدنيا، لكنهم في الآخرة سيخسرون خساراً مبيئاً. لا تحزن، فالآخرة هي دار العدل الحقيقي".
3. نموذج القدوة: أنت أيها الأب، وأنت أيتها الأم، القدوة الأولى. هل يراك ابنك غارقاً في متابعة أخبار الدنيا وزخارفها، أم يراك تفكر في الآخرة وتستعد لها؟ هل حديثك كله عن الأسعار والسياسة و الرياضة، أم أن لذكر الله والموت والجنة والنار نصيباً من حديثك؟
**أبعاد الآية في البناء والتنمية الحضارية

هذه الآية ليست فقط لتربية الفرد، بل هي دستور لبناء الحضارة. الحضارة التي تقوم فقط على "ظاهر الحياة الدنيا" هي حضارة هشة، تنهار من الداخل مهما بلغت قوتها المادية، لأنها تخلو من الروح والأخلاق والغاية. إنها كالجسد القوي الذي لا عقل له.

. بناء حضارة روحية ومادية معاً: الحضارة الإسلامية قامت على أساس "اعمل لدياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً". هذا التوازن هو نتيجة طبيعية لفهم هذه الآية. إننا نتعامل مع ظاهر الحياة الدنيا بالعلم والعمل والإتقان، لكننا لا نغفل عن الآخرة التي هي غايتنا.
. تنمية العقل الإنساني: الآية تدعو إلى تنمية العقل البشري ليتجاوز مرحلة "الظاهر". إنها تحفزه على السؤال والبحث والتنقيب عن "الباطن"، عن "الغيب"، عن "السنن". هذا النوع من التفكير هو الذي أنتج حضارة علمية فريدة في التاريخ الإسلامي، جمعت بين الطب والهندسة والفلك، وبين الإيمان بالله و اليوم الآخر.

. مواجهة الانهيار الأخلاقي: المجتمعات التي تعيش فقط من أجل ظاهر الحياة الدنيا تتحول إلى غابة يأكل فيها القوي الضعيف. لماذا؟ لأنه لا يوجد عندهم رادع أخروي. إنهم "هم عن الآخرة هم غافلون"، فلا وزن عندهم للعدل أو الرحمة إلا ما تفرضه القوة. أما الإيمان بالآخرة فيجعل الإنسان يراقب الله في كل تصرفاته، فيسود العدل والأمان.

*وقفات عملية: كيف أطبق الآية في حياتي اليومية؟

دعنا نأخذ هذه الآية ونجعلها برنامجاً عملياً لتغيير حياتنا:

. وقفة مع استهلاك الإعلام: قل لنفسك عندما تتصفح الأخبار: "هذا هو ظاهر الحياة الدنيا. أحداث تنغير، وأقوام تغلب وأقوام تغلب. لكن الآخرة هي الحقيقة الباقية. هل متابعتي لهذه الأخبار تزيد من إيماني أو تنفعني في آخرتي؟ أم أنها مجرد غفلة؟". هذا السؤال سيجعلك انتقائياً في متابعتك، ولن تكون مستهلكاً سلبياً.

. وقفة مع الطموحات المادية: كلنا نطمح لبيت جميل، وسيارة فاخرة، ومركز مرموق. هذا من ظاهر الحياة الدنيا وهو حلال. لكن الآية تحذرننا: لا تجعل هذا الظاهر هو كل همك، ولا تكن غافلاً عن بيتك في الجنة وسيارتك إلى المسجد. ليكن سعيك للدنيا بقلب متعلق بالآخرة.

. وقفة مع العلاقات الاجتماعية: كثير من الناس يعرفون ظاهر أصدقائهم: أسماءهم، وظائفهم، بيوتهم. لكنهم غافلون عن حقيقة قلوبهم وحاجتهم إلى النصيحة أو الكلمة الطيبة. كن من الذين يعلمون باطن الأمور، تبحث عن الجوهر في الناس، وتكون عوفاً لهم في أمر دينهم قبل دنياهم.

. وقفة في أوقات الفراغ: الفراغ هو باب الغفلة الأوسع. عندما تجلس بلا عمل، أسأل نفسك: "هل أنا لأن في غفلة عن الآخرة؟". املأ فراغك بما يذكرك بالله: تلاوة، ذكر، تفكير في خلق الله، خدمة لأهلك

، زيارة لمريض. بهذا تحول أوقات الغفلة إلى أوقات عبادة ووعي.

الخاتمة: صحة من الغفلة

يا أيها الإنسان، يا من تغوص في تفاصيل الحياة الدنيا حتى تكاد تنسى نفسك، هذه الآية هي بمثابة المنبه الذي يوقظك من غفلتك. إنها تقول لك: "لا ترضى أن تكون حياتك كلها ظاهراً. لا تجعل علمك كله مقتصرًا على سطح الأشياء. ابحث عن العمق، ابحث عن الحقيقة، ابحث عن الآخرة التي هي دار القرار".

تذكر دائماً أن "أكثر الناس" يعيشون هذه الغفلة. وأنت، وأنت تقرأ هذه السطور، مدعو لتكون من القلة المستنيرة، من الذين يعلمون أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن ظاهر الحياة الدنيا هو جسر تعبره ولا تستقر فيه. فكن يقظاً، وكن بصيراً، ولا تكن من الغافلين.

"يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ"

اجعلها شعاراً لك كلما رأيت بريق الدنيا يخطف بصرك. انظر إلى ما وراء البريق، فإن وراء آخرة إما نعيم مقيم وإما عذاب أليم. اختر لنفسك، فأنت على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يؤتى الإسلام من قبلك غفلتك

المبحث الرابع

يا من تفتش في آيات الله عن قواعد راسخة تبني عليها حياتك، تعال لنتنقل معاً من رحاب الوعد الإلهي بالنصر والفرح، ومن تشخيص داء الغفلة الذي يعاني منه أكثر الناس، لنقف اليوم عند آية تهز الوجدان هزاً، وتفتح للعقل آفاقاً لا حدود لها. إنها الآية التي تأخذ بيدك من ظاهر الحياة الدنيا إلى باطن ملكوت السماوات والأرض. إنها الآية التي تجعلك تعيد اكتشاف نفسك، وتعيد تعريف وجودك في هذا الكون الفسيح.

تعال معي، نعيش بكل جوارحنا مع قول الحق تبارك وتعالى:

{أُولَٰئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} (الروم: 8)

إنها نقلة نوعية في مسار السورة الكريمة. بعد أن رأيت تدبير الله في أحداث الأمم وصراعات القوى (الروم والفرس)، وبعد أن أدركت أن وعد الله لا يخلف، يأتي النداء الإلهي ليصحو بك من غفلتك، وليفتح لك كتاب الكون المنظور. إنه يخاطب أعز ما فيك: عقلك، ويدعوك إلى أعلى ما تملك: التفكير. أولاً: بلاغة الاستفهام - طرق على أبواب العقل والقلب

قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ}

انظر إلى صدر الآية، كيف يستقبلك بهمة الاستفهام، وواو العطف، ولم الجازمة. إنه أسلوب بلاغي يزلزل القلوب!

· الهمزة {أ}: هي همزة استفهام، لكنها ليست استفهاماً عن شيء مجهول، بل هو استفهام إنكاري وتوبيخي. إنه كمن يقول لك: "أبعد كل هذه الآيات والدلائل، لم تتفكروا بعد؟". إنه عتاب لطيف من الرحمن لعباده الغافلين، يريد لهم أن يستيقظوا من سباتهم.

· الواو {و}: هي واو العطف. وهي هنا تعطف هذه الآية على ما قبلها من الآيات التي ذكرت وعد الله بالنصر. وكأنه يقول: "ألم تعدكم بالنصر؟ ألم تروا أن وعدي لا يخلف؟ أبعده كل هذا لا تتفكرون في أنفسكم وفي هذا الكون الذي يدبره الله؟". إنها تربط بين التفكير في الوعد الإلهي والتفكير في الخلق الكوني، فكلاهما دليل على قدرة الله وحكمته.

· {لَمْ يَتَفَكَّرُوا}: الفعل هنا ماضٍ منفي بـ "لم". و"لم" تفيد نفي الفعل في الماضي. والمعنى: "أو لم يقع منهم التفكير بعد؟". إنه يحمل معنى استغراق الزمن الماضي في الغفلة، فكأن حالهم منذ زمن طويل هو عدم التفكير، وهذا تقريع لهم على إعراضهم الطويل.

· {فِي أَنفُسِهِمْ}: هذا هو بيت القصيد. إنه يأمرهم بالتفكير في أقرب شيء إليهم، في أنفسهم التي بين جنبيهم. إنه يقول: "أنتم تبحثون عن الأدلة البعيدة، وتغوصون في ظاهر الحياة الدنيا، وأكبر دليل بين أيديكم، بل في أعماقكم!". ألا ينظر أحدهم إلى نفسه، كيف كان نطفة ثم صار علقة ثم مضغة، ثم صار إنساناً سمياً بصيراً؟ هذا التفكير في الأنفس هو المختبر القريب الذي لا يحتاج إلى مختبرات أو تلسكوبات.

ثانيًا: قانون الخلق الأعظم - الحق والأجل المسمى

قوله تعالى: {مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى}

هذه الجملة هي جواب الاستفهام. وهي تمثل الدستور الكوني الذي يجب أن يؤمن به كل عاقل.

. {مَا خَلَقَ ... إِلَّا}: أسلوب الحصر والقصر البلاغي. إنه يؤكد أن الخلق محصور في هذين الأمرين: الحق والأجل المسمى. ولا يمكن أن يكون للخلق أي سبب آخر كالعبث أو اللهو أو الباطل.

. {بِالْحَقِّ}: الباء هنا للملابسة، أي: خلقهن ملابسات للحق.

. ما هو الحق؟ الحق هو نقيض الباطل واللعب. إنه يعني أن خلق هذا الكون لم يكن عبثًا، بل كان لحكمة بالغة، وغاية جليلة. ومن أعظم هذه الحكمة أن يكون الكون دليلًا على الخالق، وأن تكون الحياة الدنيا مزرعة للأخرة، وأن يُبتلى الناس أيهم أحسن عملاً.

. اللمة الإيمانية: عندما تنظر إلى السماء، فاعلم أنها لم تخلق بالباطل. عندما ترى الجبال، فاعلم أنها أوتاد لتثبيت الأرض لحكمة. هذا المعنى يملأ قلبك بالطمأنينة، فأنت لست ابن صدفة، بل ابن حكمة إلهية بالغة.

. {وَأَجَلٍ مُّسَمًّى}: وهذا هو المكمل للحق.

. الأجل المسمى يعني: وقتًا محددًا معينًا في علم الله لانتهاه هذه الدنيا وفنائها. فالكون كله، و السماوات والأرض، لهما أجل تنتهي عنده. إنهما ليسا أبديين.

. العلاقة مع {بِالْحَقِّ}: خلق الله الكون بالحق، وجعل له أجلاً مسمى. هذا يعني أن الكون مؤقت لغاية محددة. إنه كالمسرحية العظيمة، لها بداية ولها نهاية، ولها مؤلف حكيم (هو الله)، ولها هدف سام (هو الحق). وأنت يا إنسان، لست مجرد متفرج، بل أنت ممثل رئيسي في هذه المسرحية، وستسأل عن دورك.

. الربط بالآيات السابقة: هذا المفهوم (الأجل المسمى) هو الذي يعطي معنى لقوله: {فِي بضع سنين}. فما انتصار الروم بعد هزيمتهم إلا حدث ضمن أجل مسمى. وما حياتك أنت أيها الإنسان إلا أجل مسمى. فهل أعددت لما بعد هذا الأجل؟

ثالثًا: المعضلة الكبرى - الكفر باللقاء

قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ}

بعد أن أثبت الله بالدليل العقلي والكوني حقيقة الخلق بالحق والأجل المسمى، ينتقل إلى النتيجة المنطقية لهذه المقدمة. ما دام للكون نهاية محتومة "أجل مسمى"، وما دام خلق بالحق لحكمة إلهية، فإن اللقاء بالله بعد هذا الأجل هو أمر حتمي وضروري. فمن كفر بهذا اللقاء، فقد خالف العقل والمنطق.

. {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ}: هذه الكلمة تكررت في الآية السابقة {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}. وهنا تتكرر {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ}. هذا التكرار ليس صدفة. إنه يربط بين سبب المرض (الجهل وعدم العلم) وبين أعراض المرض (الكفر بلقاء الله). فالذي لا يتفكر في الأنفس والآفاق، سيبقى أسير علم ظاهر الحياة الدنيا، وسيغفل عن الآخرة، وسيكفر بلقاء ربه.

. {بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ}: تقديم الجار والمجرور "بلقاء" على الفعل "كافرون" يفيد التخصيص والاهتمام. فكفرهم ليس مطلقًا، بل هو كفر بهذا الأمر العظيم تحديدًا، وهو لقاء الله.

. {لَكَافِرُونَ}: دخول لام التوكيد "لكافرون" على الخبر يؤكد أن كفرهم هذا ثابت ومستقر، وليس مجرد شك عابر. إنه حالة متأصلة فيهم نتيجة لتعطيلهم أداة التفكير.

المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

هذه الآية ليست مجرد نص للتأمل الفلسفي، بل هي برنامج عملي لتغيير الذهن والسلوك.

١. مفهوم "التفكير" - أداة يقاظ العقل

التفكير ليس مجرد خواطر عابرة. إنه عملية ذهنية وقلبية منظمة، وهي: انتقال العقل من المعلوم إلى المجهول للوصول إلى حقيقة.

. كيف تطبقه؟

. اجعل لك وقتًا يوميًا، ولو دقائق، تخلو فيه بنفسك. أغمض عينيك وتأمل في خلق الله. تأمل في

يدك، كيف تعمل؟ في قلبك، كيف ينبض بلا توقف؟ في عقلك، كيف يخزن الذكريات؟ هذا التفكير يفقدك حتماً إلى الله.
عندما تواجه مشكلة، لا تكن انفعاليًا. تفكر في أسباب المشكلة، وفي سنن الله في حلها. هذا التفكير يمنحك حكمة واتزانًا.

٢. مفهوم "الحق" - غاية الوجود ومعنى الحياة

إذا كان الله خلق الكون بالحق، فأنت مخلوق بالحق، ولست صدفة. هذا المفهوم يملأ حياتك معنى. أنت لست مجرد رقم في سجل المواليد. لك رسالة ودور في هذه الحياة.

كيف تطبقه؟
اسأل نفسك كل صباح: "ما هو الحق الذي خلقتني الله من أجله اليوم؟ كيف يمكنني أن أعمّر هذه الأرض وأقوم بدوري كخليفة لله؟"
في عملك، لا تقل: "هذا مجرد وظيفة أكسب منها رزقي". بل قل: "هذا ميدان لخدمة الحق، وتطبيق العدل، وإتقان العمل الذي يرضي الله".

٣. مفهوم "الأجل المسمى" - إدارة الوقت واستثمار العمر

كل شيء في حياتك له أجل مسمى: عمرك، مشروعك، قوتك، صحتك. الوعي بهذا المفهوم يمنحك نظامًا دقيقًا لإدارة حياتك.

كيف تطبقه؟
ضع أهدافًا محددة بزمن. لا تقل: "سأحفظ القرآن يوميًا ما". بل قل: "سأحفظ جزءًا في شهر، مستغلاً وقتي المسمى".
لا تحزن على فوات فرصة، فلها أجل مسمى. ولا تفرح بنجاح عابر، فله أجل مسمى. الثابت الوحيد هو العمل للآخرة التي لا أجل لانقضائها
*الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على "التفكير"؟

أخطر ما يواجه أبناءنا هو قتل ملكة التفكير بسبب الإغراق في وسائل الترفيه السريعة التي لا تعطي العقل فرصة للتأمل. فكيف نحيي هذه الملكة فيهم؟

1. التفكير في الأنفس) المنهج العلمي الإيماني: لا تعط ابنك معلومة جافة عن جسم الإنسان. بل اجعله يتفكر. قل له: "ضع يدك على صدرك. هل تشعر بالقلب ينبض؟ من الذي يحركه؟ إنه الله. ماذا لو توقف هذا القلب؟ من سيعيده للحياة يوم القيامة؟". هذا الأسلوب يربط العلم بالإيمان، ويخلق عقلية متأملية.
2. التفكير في الآفاق) الخروج من القوقعة: خذ ابنك إلى الطبيعة. إلى البحر، إلى الجبل، إلى الصحراء. لا تقل له: "انظر كم هذا المنظر جميل". بل قل: "من خلق هذا الجبل العظيم؟ لماذا خلقه الله هكذا؟ أتعلم أنه يقول في القرآن: (وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السحاب)؟ إن كل شيء في الكون يسبح بحمد الله".
3. ربط الأحداث بالحق والأجل: عندما يموت أحد أقاربه، هذه لحظة فارقة. لا تقل فقط: "البقاء لله". بل أضف: "انظر يا بني، هذا هو الأجل المسمى. جدك أكمل أجله ورحل للقاء ربه. ونحن كلنا لنا أجل مسمى. ماذا أعدنا للقاء الله؟". هذا يزرع فيه الوعي بالآخرة.
*أبعاد الآية في البناء والتنمية الحضارية

هذه الآية هي ميثاق العمل لأي نهضة حضارية حقيقية. إنها تقدم لنا الأبعاد التالية:

البعد العلمي والمعرفي: الآية تدعو صراحة إلى التفكير، وهو أساس كل بحث علمي. الحضارة الإسلامية قامت على هذا الأمر. العلماء المسلمون الأوائل (في الطب والهندسة والفلك) كانوا يتفكرون في خلق الله، فينطلقون لاكتشاف سننه. هذا البعد يوجهنا اليوم لبناء تعليم قائم على التفكير الناقد والتأمل لا على الحفظ والتلقين.

البعد الأخلاقي والقيمي: إذا كان الخلق قائمًا على الحق، فإن أي بناء حضاري يجب أن يقوم على الحق والعدل والصدق. لا يمكن أن تقوم حضارة على الظلم والغش والكذب، لأن هذا يناقض جوهر الخلق الإلهي. حضارتنا اليوم في أمس الحاجة إلى هذا المبدأ.

البعد النفسي والتوازن: الإيمان ب- الأجل المسمى يمنح الفرد والمجتمع توازنًا نفسيًا عظيمًا. فالناس لا يفزعون من الكوارث فزعًا يؤدي إلى الانهيار، لأنهم يعلمون أن كل شيء بأجل مسمى. ولا يغترون بـ

القوة والنعمة اغترارًا يؤدي إلى البطر، لأنهم يعلمون أنها إلى زوال.
· البعد الاستراتيجي والتخطيط: الوعي بالأجل المسمى يدفع إلى التخطيط الاستراتيجي الدقيق. ف المجتمع الذي يعلم أن عمره محدود، سيسارع إلى استثمار كل لحظة في البناء والعطاء، ولن يضيع وقته في الصراعات الجانبية والخلافات العقيمة.

**وقفات عملية: خلوة تفكر مع النفس

دعنا نختم هذه الرحلة بوقفات عملية تجعل من هذه الآية برنامجًا يوميًا لحياتك:

· وقفة الصباح: قبل أن تمسك هاتفك، تفكر في نعمة استيقاظك من النوم. هذه هي آية من الأنفس. كيف رد الله روحك إليك بعد موتة النوم الصغرى؟ احمد الله، واسأله أن يبارك لك في "أجلك المسمى" لهذا اليوم.
· وقفة مع مشكلة: إذا واجهتك مشكلة عويصة في العمل أو البيت، تذكر: {مَا خَلَقَ اللَّهُ ... إِلَّا بِالْحَقِّ}. هذه المشكلة ليست عبثًا. تفكر في وجه الحق فيها. ماذا يريد الله أن يعلمك من خلالها؟ صبرًا؟ حكمة؟ قوة؟ هذا التفكير يحول المشكلة من نقمة إلى نعمة.
· وقفة مع الكون: في الليل، اخرج إلى الشرفة وانظر إلى السماء. هذه هي الآفاق. تأمل في نجم بعيد، ضوؤه يسافر ملايين السنين ليصل إليك. سبحان من خلق هذا كله بالحق. تذكر أن خالق هذا الكون العظيم قريب منك، ويحب أن تتفكر في خلقه.
· وقفة قبل النوم: حاسب نفسك: "ماذا قدمت اليوم ليوم لقاء الله؟ هل استثمرت عمري المسمى فيما يرضيه؟". هذه المحاسبة تجعلك تنام بقلب مطمئن، لأنك صالحت نفسك وتبت إلى ربك.
** الخاتمة: دعوة لاستعادة الإنسانية بالتفكير

يا من تسمع هذا النداء، إن هذه الآية هي بوابة العودة إلى الله. إنها تصرخ في وجه الغفلة التي تطحن إنسانيتنا. إنها تعيد إلينا جوهر وجودنا: التفكير.

لقد شرفك الله بالعقل لتتفكر، وسخر لك السماوات والأرض لتري آياته، وأعطاك نفسًا لتري فيها بديع صنعه. فلا تكن من {كثيرًا مَنَ النَّاسِ} الذين يعطلون هذه النعمة، فيعيشون في سطح الحياة الدنيا، ويكفرون بلقاء ربهم. كن من القلة المؤمنة، التي تفكرت فعلمت أن للكون ربًا حكيمًا، وأن للحياة غاية سامية، وأن للموت لقاءً عظيمًا.

{أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى}

فليكن شعارك في الحياة: "أتفكر، فأنا حيٌ حقًا". ومن تفكر، عرف ربه، فأحبه، فأطاعه، فسعد في دنياه وأخراه. جعلنا الله وإياكم من أولي الألباب الذين يذكرون الله قيامًا وقيودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض. آمين

المبحث الخامس..

أيها القارئ الحصيف، يا من تبحث عن سنن الله في الكون لتكون على بصيرة من أمرك، فإننا اليوم على موعد مع آيتين كريمتين تفتحان لنا مدرسة التاريخ التي لا تغلق أبوابها أبدًا. بعد أن دعانا الله في الآية السابقة إلى التفكير في الأنفس، ها هو يدعونا الآن إلى السير في الآفاق، والنظر في أحوال الأمم السابقة. إنها نقلة من التأمل الذاتي الداخلي إلى الاستقراء التاريخي الخارجي. إنه منهج علمي متكامل: تفكر في نفسك، وسير في الأرض لتتعلم من تاريخ غيرك.
فلنعش معًا قوله تعالى:

{أُولَئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۗ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} {الروم: 9}

{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاءُوا السُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} {الروم: 10}
أولًا: نداء السير والنظر - مختبر التاريخ المفتوح

قوله تعالى: {أُولَئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}

إن هذا الاستفهام الإنكاري يعيد عليك نفس الرنة الإيمانية التي سمعتها في الآية السابقة: {أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُونَ}. وهنا {أُولَئِكَ يَسِيرُونَ}. إنه عتاب لطيف من الله، وتوبيخ للغافلين الذين يعيشون في قوقعتهم الضيقة، لا يتعظون بما حولهم.

{ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ: } الأمر هنا ليس مجرد سباحة وترفيه. إنه سير للعبرة والاتعاظ. "في الأرض" تعني أي بقعة من بقاع الأرض فيها آثار الأمم السابقة. إنها دعوة إلى السباحة الإيمانية التي تزيد من يقينك، لا إلى السباحة التي تقتل وقتك وتلهيك.

{ فَيَنْظُرُوا: } لم يقل "فيمشوا" أو "فيقفوا". بل قال { فَيَنْظُرُوا } لأن السير وسيلة، أما النظر بمعنى التأمل والاعتبار فهو الغاية. وهذا هو الفرق بين النظرة العابرة) نظر العين (والنظرة الفاحصة) نظر البصيرة. كثير من الناس يسيرون في الأرض، لكن قليلا منهم هم الذين ينظرون.

{ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: } كلمة "عاقبة" هي المفتاح. إنها تعني النهاية والمصير. الله لا يدعوك لتنظر إلى قصورهم وبنيتهم فقط لتنبهر، بل لتنظر كيف كانت نهايتهم بعد كل هذه القوة. إنه سؤال يهز الوجدان: "أين هم الآن؟ أين جبروتهم؟ أين حضارتهم؟".
ثانياً: تشريح القوة المادية - ثلاثية الدمار

قوله تعالى: { كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا }

هنا يرسم لنا القرآن صورة تفصيلية لأسباب الاغترار المادي الذي أصاب الأمم السابقة. إنها ثلاثية القوة التي يظن بها الإنسان أنه خالد في الأرض:

1. { كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً: } هذه هي القوة البدنية والعسكرية. كانوا أقوى أجساماً، وأكثر عدداً وعدة . كانوا جبابرة يحفرون الجبال بيوتاً، ويبنون الحصون المنيعه.

2. { وَأَثَارُوا الْأَرْضَ: } وهذه هي القوة التقنية والزراعية. كلمة "أثاروا" من الإثارة، وهي قلب التراب وتهيته للزراعة. وهذا يشمل كل أنواع استخراج خيرات الأرض، من حرث للزراعة، إلى حفر للمعادن، إلى شق للأنهار. إنهم وصلوا إلى قمة التقدم التقني في زمانهم.

3. { وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا: } وهذه هي القوة العمرانية والحضارية. لقد بنوا مدناً وحضارات أعظم وأضخم مما بناه كفار مكة. عمروها بالبنين الشاهق، والأسواق العامرة، والقصور الفخمة.

. اللمسة البيانية: لاحظ المقارنة الضمنية بينهم وبين كفار مكة. إن الله يقول لكفار مكة: "أنتم تفنخون بقوتكم وتجارتكم وبيوتكم؟! انظروا إلى من قبلكم! لقد كانوا أشد منكم قوة، وأكثر منكم زراعة، وأعظم منكم عمراً! فهل أنفذتهم قوتهم من عذاب الله؟!". هذا الأسلوب يحطم أسطورة القوة المادية، ويثبت أنها لا تغني شيئاً أمام سنة الله في إهلاك الظالمين.
ثالثاً: العدل الإلهي ونفي الظلم

قوله تعالى: { وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۗ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }

بعد أن أثبت قوتهم المادية، ينتقل إلى إقامة الحجة عليهم. لم يهلكهم الله ظلماً وهم غافلون.

{ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ: } أي بالآيات الواضحات والدلائل القاطعات. لقد أرسل الله إليهم الرسل ليهدوهم سواء السبيل، فلم يتركهم هملاً . هنا تتجلى رحمة الله قبل عقابه. فهو لا يعذب أمة حتى يبعث إليها رسولاً مبيناً.

{ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ: } هذا نفي قاطع ومؤكد. إن إهلاكهم لم يكن ظلماً من الله، بل كان عدلاً محضاً. الله تعالى أعدل العادلين، وهو الغني عن خلقه، فلا يحتاج أن يظلمهم.

{ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ: } هذا هو التشخيص النهائي. إنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الرسل، والإعراض عن الحق، والفساد في الأرض. وهذه الآية تعطيك قاعدة ذهبية في الحياة: "كل هزيمة أو عقوبة تصيب الإنسان هي بسبب ظلمه لنفسه أولاً". فلا ترم اللوم على الظروف أو على الآخرين، بل راجع نفسك أولاً .

رابعاً: النهاية المأساوية - السوأى والاستهزاء

قوله تعالى: { ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ }

هذه الآية تضع الخاتمة على كل ما سبق. بعد كل تلك القوة والعمران، وبعد مجيء الرسل بالبينات، ماذا كانت العاقبة؟

{ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ: } "السوأى" هي العقوبة الأسوأ، والدار الآخرة هي السوأى للكافرين، أو هي النهاية السيئة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. إنها الخاتمة التي لا أسوأ منها.

{ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ: } هذا هو تفسير الإساءة المذكورة. إن إساءتهم الكبرى لم

تكن مجرد معصية، بل كانت التّكذيب ثم الاستهزاء. لاحظ التدرج الخطير:

1. التّكذيب: وهو رفض الحق بعد معرفته.
2. الاستهزاء: وهو السخرية من الحق ومن أهله، وهو أشد وأخطر من مجرد التّكذيب. فالذي يكذب قد يظل صامتاً، أما المستهزئ فهو يحارب الحق ويؤذي أهله. إن الاستهزاء بالدين وأهله هو إعلان حرب على الله، وهو من أكبر الكبائر.

المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيتين في حياتنا العملية؟

هاتان الآيتان ليستا مجرد قصص تاريخية، بل هما دروس منهجية لصناعة الحياة.

١. مفهوم "التاريخ المكرر" - سنة الله في الظالمين

{كيف كان عاقبة الذين من قبلهم} {يعلمنا أن التاريخ يعيد نفسه. من يسلك طريق الظلم والاستكبار، فنهايته محسومة، مهما طال الزمن.

. كيف تطبقه؟

. لا تنخدع بصعود الظالمين وقوتهم المؤقتة. فالعاقبة معروفة. ثق بأن "العاقبة للمتقين" هي سنة لا تتخلف. هذا المفهوم يمنحك صبراً استراتيجياً وثباتاً نفسياً.

٢. مفهوم "القوة المادية ليست كل شيء"

{كانوا أشدّ منهم قوّة} {... يحطم الوهم القائل بأن النصر مرهون بالقوة المادية فقط. القوة نعمة، لكنها نقمة إن لم يقترن بها إيمان وحق وعدل.

. كيف تطبقه؟

. اعمل على بناء قوتك في كل المجالات (العلم، الاقتصاد، الرياضة)، لكن لا تغتر بها. ليكن عملك لله، وثق أن القوة الحقيقية تستمد من الإيمان والتقوى. لا تقارن نفسك بمن هو أقوى منك مادياً فتحبط، فالعاقبة ليست لهم بالضرورة.

٣. مفهوم "ظلم النفس" - أصل كل مصيبة

{ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}. {هذه قاعدة في تفسير المصائب. عندما يقع البلاء، لا تقل: "لماذا فعل الله بي هذا؟". بل قل: "ما الذي جنته يداي؟". هذا هو عين الصدق مع النفس.

. كيف تطبقه؟

. في كل محنة تمر بك (مرض، فشل مالي، مشكلة عائلية)، قم بـ محاسبة النفس قبل لوم الآخريين. اسأل نفسك: "هل أنا مذنب في شيء؟ هل قصرت في حق الله؟ هل ظلمت أحداً؟". هذا الاعتراف هو أول طريق التوبة والفرج.

٤. مفهوم "الاستهزاء بالحق" - الخط الأحمر

الآية تربط أعظم عقوبة بأعظم جريمة: {أن كذبوا آيات الله وكانوا بها يستهزئون}. الاستهزاء بالدين وأهله ليس مجرد خطأ، بل هو مهلكة روحية وأخلاقية.

. كيف تطبقه؟

. احذر كل الحذر من السخرية بأي شعيرة دينية، أو من الاستهزاء بأي شخص بسبب تدينه. لا تشارك في نكتة تمس الدين، ولا تجلس في مجلس يسخر فيه من آيات الله. وربّ أبناءك على توقيير شعائر الله وعدم الاستهزاء بها.

**الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على قراءة التاريخ والعبرة؟

أبناءنا اليوم يعيشون في عالم يموج بالأحداث، فكيف نربيهم على هذه الآيات ليكونوا أصحاب بصيرة؟

1. رحلات التأمل التاريخي: إذا سافرت مع ابنك إلى بلد آخر، لا تجعل الرحلة مجرد ترفيه. مر على آثار القديمة، واذكر له قصص الأقباط السابقة. قل له: "انظر يا بني، هذه آثار قوم كانوا أشد قوة منا،

فأين هم الآن؟ إن الله لا يظلم أحداً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون". هذا يبني فيه وعياً تاريخياً.
 2. قاعدة ظلم النفس في البيت: عندما يخطئ ابنك وتؤدبه، لا تقل له فقط: "لماذا فعلت هذا؟". بل أضف: "أنت لم تعصني فقط، بل ظلمت نفسك. لأن كل معصية هي ظلم للنفس. الله لا يريد أن يظلمك، ولكنك تظلم نفسك". هذا يعمق عنده الإحساس بالمسؤولية الفردية.
 3. تحصينهم ضد الاستهزاء: قد يتعرض ابنك في المدرسة لموقف فيه استهزاء بالدين. علمه أن هذا هو خط أحمر. قل له: "إذا سخر أحد من آيات الله أو من صلاتك، فلا تضحك معهم ولا تسكت. قل لهم: هذا ديني وأنا أحبه. ولا تجالسهم إن استمروا". هذه تربية على الاعتزاز بالهوية.
 *أبعاد الآيتين في البناء والتنمية الحضارية

هاتان الآيتان تقدمان رؤية حضارية متكاملة للعودة والهبوط في مسيرة الأمم:

. البعد العلمي والاستكشافي: الأمر بـ السير في الأرض هو أمر بالبحث العلمي الميداني. علم الآثار و التاريخ والجغرافيا كله يدخل في هذا الأمر. الحضارة التي لا تدرس تاريخ غيرها وتتعظ به محكوم عليها بالفشل. علينا أن ننشئ مراكز بحثية تدرس أسباب انهيار الحضارات السابقة للاستفادة منها.
 . البعد الأخلاقي والتقويمي: الآية تؤكد أن سبب سقوط الحضارات ليس ضعفها المادي، بل انحرافها لأخلاقياً. {أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ}. أي حضارة تستهين بالقيم والأخلاق والدين، فهي تسير بخطى حثيثة نحو السقوط، ولو بعد حين. هذا تحذير عظيم لحضارتنا المعاصرة.
 . البعد الاستراتيجي والوقائي: {فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ} تعني أن العقوبات الإلهية لها نظام وقائي. الله لا يفاجئ الناس بالعذاب، بل يرسل الرسل وينزل الآيات ويبتليهم ولهم يرجعون. هذه الاستراتيجية الربانية في التعامل مع الأمم تعلمنا الصبر والحكمة في الإصلاح والتغيير، وعدم استعجال النتائج أو تمني الهالك للآخرين.
 *وقفات عملية: سير في الأرض بالنظر لا بالبصر

لنجعل هاتين الآيتين وقوداً لرحلتنا اليومية في هذه الحياة:

. وقفة مع الأخبار: عندما ترى تقارير عن حضارة اندثرت أو إمبراطورية سقطت، لا تمر عليها مرور الكرام. تذكر هذه الآية. اسأل نفسك: "ما هو ظلم النفس الذي فعلوه فأهلكهم الله؟". هذا يجعلك تقرأ الأخبار بعين المحلل المستبصر لا بعين المتفرج المنبهر.
 . وقفة مع النجاح الشخصي: إذا نجحت في أمر ما، في الدراسة أو العمل، إياك أن تقول: "بقوتي وبذكائي". تذكر قوله: {كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ... وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ}. قل: "هذا من فضل ربي". هذا التواضع يحميك من ظلم النفس بالاعتزاز.
 . وقفة مع الإخفاق الشخصي: إذا فشلت أو أصابتك مصيبة، لا تقل: "يا لسوء حظي!". بل تذكر: {وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}. ابحث عن الخلل في داخلك، في نيتك، في عملك، في علاقتك مع الله. هذا هو طريق الإصلاح الحقيقي.
 . وقفة مع الاستهزاء الخفي: أحياناً قد نستهزئ بشخص بسبب التزامه الظاهر، أو نسخر من رأي ديني في حديث عابر. انتبه! تذكر أن {السُّوْأَى} كانت عقوبة المستهزئين. طهر لسانك وقلبك من هذه الافة المدمرة.
 *الخاتمة: رحلة النور في طريق التاريخ

يا أيها السائر في دروب الحياة، إن هاتين الآيتين الكريمتين هما بمثابة بوصلة أمان في رحلة العمر. إنهما تذكراك دائماً أنك لست وحدك في هذا الطريق. لقد سار قبلك أمم، منهم من وصل إلى بر الأمان بإيمانه وتقواه، ومنهم من غرق في بحر الهلاك بكبره وهواه.

فاختر لنفسك أي الطريقين شئت. ولكن كن على يقين أن {عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى}، وأن {اللَّهُ لَا يُظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.

اجعل سيرك في الأرض سيرةً للعبرة، ونظرك في الآثار نظراً للعة. لا تغتر بقوة مادية زائلة، ولا تستهين بأية من آيات الله. واعلم أنك مسؤول عن نفسك أولاً وأخيراً. فكن من الذين ساروا في الأرض فأبصروا، وتفكروا فاعتبروا، وعملوا للأخرة ففازوا ونجوا.

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

فليكن سيرك في هذه الدنيا سير الأبرار الأتقياء، الذين يمشون على الأرض هوثاً، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ويعلمون أن وعد الله حق، وأن لقاءه أت لا ريب فيه. جعلنا الله وإياكم من أولي الأبصار، الذين يبصرون الحق فيتبعونه، والباطل فيجتنبونه. آمين.

المبحث السادس

لقد وصلنا في رحلتنا مع سورة الروم إلى جوهر العقيدة، إلى الحقيقة الكبرى التي تمنح الحياة معناها، وتجعل للموت هدفاً، وللابتلاء غاية. بعد أن دعانا الله إلى التفكير في الأنفس، والسير في الآفاق للنظر في عواقب الأمم، ها هو ينتقل بنا إلى لب العقيدة وذرورة سنام الإيمان، ألا وهو الإيمان بالبعث واليوم الآخر.

إنها الآيات التي إذا استقرت في قلبك، تغيرت نظرتك لكل شيء. يصبح الصبر محتملاً، والمصيبة خفيفة، والعمل الدؤوب ذا قيمة، لأنك تعلم أن ثمة لقاءً وحساباً وجزاءً. تعال نعيش معاً هذه المعاني الجليلة في قوله تعالى:

{اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} {الروم: 11}
{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} {الروم: 12}
{وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} {الروم: 13}
أولاً: لمسة البداية والنهاية - قانون الخلق والإعادة

قوله تعالى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}

تأمل معي هذه الآية القصيرة في مبنى ألفاظها، العظيمة في معانيها. إنها تلخص لك قصة الوجود كاملة في ثلاث جمل متناسقة.

· {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ}: هذا هو الفصل الأول. إنه تقرير لحقيقة الخلق الأول. أنت لم تأت من عدم، ولم تخلق نفسك، ولم تخلق الطبيعة الصماء. الله وحده هو الذي بدأ هذا الخلق العظيم من العدم. انظر إلى نفسك، إلى السماء، إلى الأرض، كلها بدأت بأمره: "كن فيكون". هذه الجملة البسيطة تحطم كل فلسفات الإلحاد والصدفة. إنها تقول لك: "لك رب خالق، فاعرفه".

· {ثُمَّ يُعِيدُهُ}: وهذا هو الفصل الثاني. بعد أن بدأ الخلق، وبعد أن تنتهي حياة الدنيا، يعيده مرة أخرى. إنها حقيقة البعث. و"ثم" هنا تفيد التراخي الزمني بين البداية والإعادة آجالاً طويلة، وحياة دنيوية، وموت وفناء. لكن الإعادة آتية لا محالة. إن من بدأ الخلق أول مرة، قادر على إعادته، بل الإعادة أهون عليه. وفي هذا رد على منكري البعث الذين تعجبوا: {مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}. {الجواب: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ}.

· {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}: وهذا هو الفصل الأخير والمصير المحتوم. بعد الإعادة، لا تكون نهاية المطاف، بل يكون الرجوع إلى الله للحساب والجزاء. إنها نقلة من الحديث عن الخلق بصفة عامة إلى مخاطبتك أنت شخصياً. لم يقل: "ثم إليه يرجع الخلق"، بل قال: {تُرْجَعُونَ}. {هذا الخطاب المباشر يجعلك تستشعر أنك أنت المعني بهذا الأمر العظيم. إنه يقول لك: "أنت، نعم أنت أيها القارئ، سترجع إلى الله لا محالة!".

· اللمة البيانية: لاحظ التسلسل المنطقي العجيب: بدء → إعادة → رجوع. هذا التسلسل يبني في عقلك قناعة عقلية قبل أن تكون إيمانية. إذا كان الله قد بدأ الخلق) وهذا مشاهد، وكانت الإعادة ممكنة عقلاً لمن بدأ أول مرة، فإن الرجوع إلى الله بعد الإعادة للحساب هو النتيجة المنطقية الحتمية.

الرسالة النفسية والعقلية:

· الطمأنينة الوجودية: هذه الآية تمنحك جواباً شافياً لأكبر أسئلة الوجود: من أين أتيت؟ وإلى أين تذهب؟ عندما تستقر في قلبك حقيقة أن الله بدأك وأنت إليه راجع، تزول الحيرة والقلق الوجودي. حياتك لم تعد عبثاً، بل رحلة ذات بداية ونهاية معلومتين.

· تحمل المسؤولية: الإيمان بأنك {تُرْجَعُونَ} {بملاؤك شعوراً بالمسؤولية. أنت تعلم أنك ستقف بين يدي الله، فتراقب تصرفاتك، وتحاسب نفسك قبل أن تحاسب. هذا هو أساس الرقابة الذاتية التي يريد الإسلام سلام غرسها فيك.

ثانياً: مشهد القيامة - بلسم المجرمين

قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ}

بعد أن أخبرك الله عن الإعادة والرجوع، ينقلك إلى مشهد حي من مشاهد يوم القيامة. إنه ينتقل من الخبر إلى المعاينة، وكأنه يجعلك ترى هذا اليوم رأي العين.

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ}: ما أهول هذا التعبير! "تقوم الساعة". إنه تصوير ليوم القيامة وكأنه كائن هائل

قائم بذاته، يقوم فجأة ليقطب نظام الكون رأسًا على عقب. إنه ليس مجرد يوم عادي، بل هو "الساعة" التي لا ساعة بعدها، والقيامة التي تقوم فيها الخلائق لرب العالمين. {يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ}: هنا ذروة المشهد. "يبلس" من الإبلاس، وهو الحزن الشديد واليأس المطبق و الصمت المهيب. إنها حالة تجمع بين الفزع النفسي (اليأس) والذهول العقلي (الصمت). فالمجرمون في ذلك اليوم لا ينطقون بحجة، ولا يملكون دفاعًا، ولا يجدون منقذًا. إنهم في حالة إبلاس تام، يحيط بهم العذاب من كل جانب. إنه مشهد يهز القلب، ويجعلك تخاف أن تكون من هؤلاء المبلسين. . الرسالة النفسية: هذه الآية تضع أمامك نتيجة الإجمام في الدنيا: إنها الإبلاس في الآخرة. هذا التصوير المؤثر يحرك في نفسك مشاعر الخوف من الله، وهو خوف محمود يدفعك إلى العمل الصالح والتوبة. كما أنها تمنحك عزاءً نفسيًا عندما ترى المجرمين في الدنيا يصلون ويجولون دون عقاب. الآية تقول لك: "لا تحزن، لهم يوم آخر سيبلسون فيه، يوم لا ينفعهم مالهم ولا سلطانهم". ثالثًا: انهيار الأوهام - الشفعاء المزعمون

قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ}

هذه الآية تكمل مشهد الإبلاس، وتكشف عن سبب آخر لليأس. المشركون في الدنيا كانوا يعبدون آلهة من دون الله، ويزعمون أنهم سيشفعون لهم عند الله. في ذلك اليوم، تنكشف الحقيقة المرة.

{وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ}: "شركائهم" أي الآلهة التي أشركوها مع الله في العبادة. في الدنيا، كانوا يظنون أن هذه الأصنام أو الأولياء أو الملائكة ستكون شفعاء لهم، أي وسطاء يدافعون عنهم وينقذونهم. لكن المفاجأة الصاعقة أنهم لن يجدوا أي شفيع. لا أحد يملك الشفاعة إلا بإذن الله، والله لا يأذن للمشركين.

{وكانوا بشركائهم كافرين}: وهنا الطامة الكبرى. ليس فقط أن شركاءهم لا يشفعون لهم، بل إن هؤلاء المشركين أنفسهم يكفرون بشركائهم! أي يتبرؤون منهم، وينكرون عبادتهم. كما قال تعالى في آية أخرى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشُرَكَّكُمْ}. إنها الخيانة العظمى. ما كانوا يعبدون من دون الله يتخلى عنهم في أشد أوقات حاجتهم إليه.

. اللمة البيانية: لاحظ التناقض الدرامي بين حالهم في الدنيا وحالهم في الآخرة. في الدنيا كانوا يعبدونهم ويقدمونهم، وفي الآخرة {كانوا بشركائهم كافرين}. هذا التحول الكامل في الموقف يصور لك عمق اليأس والخذلان الذي يعيشونه. إنها لحظة انهيار كل الأوهام والاعتقادات الباطلة. الرسالة التربوية والعقدية:

. تحرير العقل من الوسائط: هذه الآية تحرك من التعلق بأي وسيط بينك وبين الله. لا تعتمد في نجاتك على أحد، لا على حسب ولا نسب ولا شفيع غير الله. تعلقك الحقيقي يجب أن يكون بالله وحده. هذه التربية تبني شخصية قوية مستقلة، تعتمد على الله مباشرة.

. تنقية التوحيد: تذكر الآية ألا تجعل في قلبك تعلقًا بأحد كتعلقك بالله. لا تجعل لأي مخلوق منزلة تجعله شريكًا لله في رجائك أو خوفك أو دعائك. فالكل مفتقر إلى الله، ولا ينفعك إلا عملك الصالح ورحمة الله.

المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيات في حياتنا العملية؟

لنأخذ هذه المعاني العظيمة ونجعلها برنامجًا يوميًا يغير حياتنا.

١. مفهوم "الرجوع إلى الله" - الرقابة الذاتية

{ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}. هذا المفهوم هو أقوى دافع للسلوك الأخلاقي. عندما تستشعر أنك راجع إلى الله، وأنه سيسألك عن كل صغيرة وكبيرة، فإنك تبني رقيبًا داخليًا لا ينام.

. كيف تطبقه؟

. قبل أن تقدم على أي عمل، اسأل نفسك: "ما هو جوابي لله عن هذا العمل عندما أرجع إليه؟". هذا السؤال البسيط سيحميك من كثير من الزلل.

٢. مفهوم "الإبلاس" - نهاية الطريق للمجرمين

{يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ}. (هذا المفهوم هو تحذير واقعي. إنه يريك صورة مستقبلك إن سلكت طريق الإجمام. إنه ليس خوفًا مرضيًا، بل خوف صحي يدفعك للنجاة.

. كيف تطبقه؟

. عندما تغريك معصية، أو يزين لك الشيطان ظلم الآخرين، استحضر هذا المشهد. تخيل نفسك في ذلك الموقف وأنت مبلس يأس. هذا الاستحضر العاطفي يضعف سلطان الشهوة عليك.

3. مفهوم "الكفر بالشركاء" - زيف العلاقات غير الإيمانية

{وكانوا بشركائهم كافرين}. هذا المفهوم يبين لك أن كل علاقة لم تبنَ على أساس من طاعة الله ومرضاة، فإنها ستقلب إلى عداوة يوم القيامة.

. كيف تطبقه؟

. راجع علاقاتك. هل تقدم طاعة صديق على طاعة الله؟ هل تترك أمرًا لله خوفًا من رئيس أو مدير؟ هذه العلاقات قد تكون "شركاء" معنويين لك. تحرر منها، واجعل علاقتك بالله هي الأساس، وعندما ستكون علاقاتك بالآخرين صحيحة وممتينة.

الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الحقائق الكبرى؟

لنزرع هذه المعاني في قلوب أبنائنا منذ الصغر، لتكون لهم حصنًا منيعًا في زمن الفتن.

1. التدرج في مفهوم الرجوع إلى الله: عندما يخطئ طفلك، لا تقل له فقط: "لا تفعل هذا". بل أضف: "أتعلم يا حبيبي أننا كلنا سنرجع إلى الله؟ هو سيحاسبنا على أعمالنا. فهل تحب أن يراك الله وأنت تفعل هذا؟". هذا يربطه بالله مباشرة، ويجعل سلوكه نابعًا من إيمانه.
 2. تبسيط مشهد القيامة: عندما تسأل طفلك: "أين ذهب جدي بعد ما مات؟". لا تقل لها فقط: "في الجنة إن شاء الله". بل أضف: "عندما يرجع إلينا جدي يوم القيامة، سيحاسب الناس الطيبون ويفرحون، والناس الذين أساءوا يبلسون ويحزنون. فنحن نريد أن نكون من الفرحين، صح؟". هذا يبني لديها تصورًا إيجابيًا ومحفزًا.
 3. تحريرهم من الخوف من غير الله: إذا كان ابنك يخاف من الظلام أو من حيوان، قل له: "لا تخف، الله معنا. ليس أحد يضرنا أو ينفعنا إلا بإذن الله. لا تخف من شيء مع الله". هذا يبني فيه عقيدة التوحيد الصافية، ويحرره من الخوف من "الشركاء" الوهميين.
- **أبعاد الآيات في البناء والتنمية الحضارية

هذه الآيات القصيرة تحمل في طياتها أسس النهضة الحضارية الحقيقية:

- . البعد العقدي (والنفسى) الاستقرار الحضاري: الإيمان بالبعث والرجوع إلى الله يخلق مجتمعًا مستقرًا نفسيًا وأخلاقيًا. الناس يعملون وهم واثقون أن العدالة الإلهية ستتحقق، فلا يلجأون إلى العنف لتحقيق حقوقهم، ولا ييأسون من الإصلاح. هذا الاستقرار هو أساس أي بناء حضاري.
 - . البعد الأخلاقي (والتشريعي) الرقابة الذاتية الجماعية: عندما يؤمن أفراد المجتمع بأنهم {إليه ترجعون}، يصبح الوازع الديني أقوى من كل القوانين الوضعية. هذا يقلل من الجريمة والفساد، ويدفع الناس للإتقان في العمل والأمانة في المعاملات، لأنهم يخافون يوم {يُبلِسُ الْمُجْرِمُونَ}.
 - . البعد الاجتماعي) وحدة المعتقد: الإيمان بأن الشفعاء المزعومين لا ينفعون، يوحد المجتمع على عبادة الله الواحد، ويقضي على صور التفرقة الطبقية أو العنصرية القائمة على تقديس بعض الأشخاص أو الأنساب. الكل سواء أمام الله، ولا شفيع إلا بإذنه.
 - . البعد الفكري والعلمي) البحث عن البداية: قوله {الله يبدأ الخلق} يفتح الباب للبحث العلمي في كيفية بدء الخلق. فهو يقرر الحقيقة) أن الله هو البادئ، ويدعو العقل لاستكشاف الكيفية) علم الأجنة، علم الكونيات. (هذا هو الذي حفز العلماء المسلمين الأوائل.
- وقفات عملية: لنعش هذه الآيات الآن

دعنا نأخذ هذه الآيات ونطبقها مباشرة في مواقفنا اليومية:

- . وقفة الصباح مع "الله يبدأ الخلق ثم يعيده": عندما تستيقظ من النوم، تذكر أن هذا اليقظة هي صورة مصغرة من إعادة. لقد أماتك الله بالنوم ثم بعثك. قل: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور". هذا يربط يومك كله بالبعث.
- . وقفة مع مشكلة أو ظلم: إذا تعرضت لظلم من قريب أو بعيد، تذكر: {يُبلِسُ الْمُجْرِمُونَ}. هذه الوقفة تريح قلبك. تقول لنفسك: "لهم يوم، وسيأتيهم عدل الله". فلا تظلم نفسك برد الظلم بمثله، ولا تأكل نفسك بالحزن. فوض أمرك لله.
- . وقفة مع خوف من المستقبل: إذا أصابك قلق على رزقك أو صحتك، تذكر: {ثم إليه ترجعون}. هذه التذكرة تقول لك: "لم القلق؟ رزقك بيده، وأجلك بيده، ومصيرك إليه. أصلح ما بينك وبينه، وهو يصلح لك كل شيء".

. وقفة مع الاعتماد على البشر: إذا وجدت نفسك متعلقًا بشخص معين تظن أنه باب رزقك أو مصدر سعادتك، تذكر: {وَكَاثِبُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ}. لا تجعل لأحد في قلبك منزلة تجعله شريكًا لله. أحبب الناس لله، واطلب حوائجك من الله، ثم خذ بالأسباب. هذا يحركك من الذل للخلق.
*الخاتمة: النهاية التي تمنح البداية معنى

يا من يقرأ هذه السطور، إن هذه الآيات الثلاث هي بمثابة نور في آخر النفق. إنها تجيب على السؤال الذي أرق البشرية منذ فجر التاريخ: "ماذا بعد الموت؟".

الجواب واضح جلي: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}. هذه هي الحقيقة الوحيدة التي لا مراء فيها. فاجعل هذه الحقيقة نصب عينيك. عش في الدنيا وأنت تعلم أنك مسافر، وأن الله وجهتك الأخيرة. قدم في هذه الرحلة ما يسرك أن تجده عند رجوعك إليه.

لا تكن من المجرمين الذين {يُبْلِسُونَ} يوم القيامة. لا تجعل لغير الله في قلبك شريكًا، فيخذلك يوم أحوج ما تكون إليه. كن مع الله، وستجد الله معك. ثق به، وتوكل عليه، وأحسن العمل، وانتظر الرجوع إليه بقلب سليم.

{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ} ٨ * {إِنَّمَا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}

فليكن شعارك في هذه الحياة: "أعمل لأخرتي كأني أموت غدًا، واعمل لدنياي كأني أعيش أبدًا"، موقنًا بأنك إلى ربك راجع، فانظر بمَ ترجع. جعلنا الله وإياكم ممن يرجعون إليه بقلب سليم، وعمل صالح متقبل، ووجه ضاحك مستبشر برحمة الله. آمين

المبحث السابع

لقد رأينا في الآيات السابقة كيف أن الله يبدأ الخلق ثم يعيده، وكيف أن المجرمين يبلسون يوم القيامة عندما لا يجدون شفيعًا. والآن، ها هي الآيات تنقلنا من مشهد الإبلاس العام إلى مشهد التفرق الحاسم، وتفتح لنا أبواب المصيرين النهائيين. إنها ليست مجرد إخبار عن الغيب، بل هي بوصلة الحياة التي توجهك نحو الطريق الذي تختاره بإرادتك وعملك.

تعالَ معي، نعيش بكل جوارحنا مع هذه الآيات البيئات التي ترسم خريطة المصير، وتجعلنا نعيش لحظة الحساب قبل أن تأتي:

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ} (الروم: 14)
{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} (الروم: 15)
{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} (الروم: 16)
أولًا: لحظة الحسم - حين يصمت الجميع وتتكلم الأفعال

قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ}

تأمل معي هذا التكرار المهيّب لكلمة {يَوْمَ}. لقد وردت في الآية السابقة {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ}، وهنا تتكرر: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ}. هذا التكرار ليس عبثًا. إنه بمثابة دقات الناقد التي تعلن نهاية العالم، وتحذر الغافلين من هول ما هو آت.

. {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ}: كما أسلفنا، إنها صورة مرعبة ليوم تتزلزل فيه الأقدام، وتتغير فيه الأكوان. إنه "يوم" ليس كأيام الدنيا، إنه يوم الفصل الذي لا ليل بعده ولا نهار.

. {يَوْمَئِذٍ}: هذا التوكيد الزمني يأتي ليُجعل المشهد أمام عينيك. "يوم إذ تقوم الساعة"، في ذلك اليوم بـ الذات، وليس قبله ولا بعده، سيحدث التفرق.

. {يُنْفِقُونَ}: هنا يكمن سر الآية وعظمتها. في الدنيا، الناس مجتمعون: المؤمن والكافر، الصالح والطالح، في الأسواق والأعمال والبيوت. لكن في ذلك اليوم، تنتهي كل العلاقات الدنيوية. ينقطع النسب، وتنتهي الصداقة القائمة على غير الله. {يُنْفِقُونَ} إلى فريقين لا ثالث لهما: فريق في الجنة، وفريق في السعير. لا عودة، لا لقاء بعد اليوم. إنه الفراق الأبدي.

. اللمسة البيانية: لاحظ أن الفعل {يُنْفِقُونَ} جاء بصيغة المضارع ليدل على الاستقبال والاستمرار. إنهم سيتفرقون في ذلك اليوم، وسيستمررون في تفرقهم أبد الأبد. إنها لحظة حاسمة تفصل بين مصيرين لا يلتقيان.

الرسالة النفسية والعقلية:

. إعادة ترتيب العلاقات: هذه الآية تغير نظرتك للعلاقات في الدنيا. تجعلك تسأل نفسك: "من هم أصدقائي الحقيقيون؟ هل هم ممن سأظل معهم بعد التفرق في الجنة، أم أن علاقتنا ستنقطع إلى الأبد؟". إنها دعوة لأن تبني علاقاتك على أساس الإيمان والعمل الصالح.
. قانون الحتمية والوضوح: الآية تمنح عقلك وضوحًا تامًا. لا يوجد مصير ثالث. إما الجنة وإما النار. هذا الوضوح يريح العقل من الفلسفات المعقدة، ويدفعك لاتخاذ القرار الصحيح دون تردد.
ثانيًا: مصير الفرح - روضة النعيم والحبور

قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}

بعد أن ذكر التفرق، جاء بالتفصيل لمصير كل فريق. وبدأ بأهل الإيمان تكريمًا لهم، وبدءًا بالبشارة قبل النذارة.

. {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: لاحظ الجمع بين الإيمان والعمل الصالح. لم يكتفِ بالإيمان القلبي وحده، بل اشترط العمل الصالح الذي يثبت هذا الإيمان. إنها معادلة النجاة: إيمان + عمل صالح = الجنة. وهذا يرد على من يظن أن مجرد الانتساب للإسلام يكفي دون عمل.
. {فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ}: ما أبدع هذا التعبير! لم يقل "في جنة" فقط، بل قال {في رَوْضَةٍ}. والروضة في اللغة هي الأرض الخضراء المليئة بالأزهار والرياحين، التي تسقى بالماء العذب. إنها تصور لك الجنة وكأنها بستان أخضر يانع، لا صحراء جرداء. إنها تثير في نفسك كل معاني الجمال والنضارة والراحة. وعندما تسمع {رَوْضَةٍ} نكرة، فإن هذا التنكير للتعظيم والتفخيم. أي في أي روضة لا يعلم عظمتها إلا الله!

. {يُحْبَرُونَ}: هذه الكلمة من أجمل كلمات اللغة العربية. الحَبْر هو السرور البالغ الذي تظهر آثاره على الوجه. فهم في فرح دائم، وسرور حقيقي، ليس كسرور الدنيا المشوب بالكدر. إنهم يُكرمون ويُعَمَّون وتُحَبَّرُ وجوههم بالنعيم. إنها حالة نفسية وجسدية من السعادة المطلقة.
. الرسالة النفسية: عندما يضيق صدرك من هموم الدنيا، تذكر {يُحْبَرُونَ}. تذكر أن هناك فرحًا حقيقيًا ينتظر المؤمنين، فرحًا لا يعقبه حزن أبدًا. هذه التذكرة تمنحك طاقة أمل، وتخفف من وطأة الألم الحالي. إنها جرعة التفاؤل الإيماني التي لا تنضب.
ثالثًا: مصير الخسران - العذاب المحض

قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}

بعد أن ذكر مصير السعداء، يأتي بذكر مصير الأشقياء، وفي ذكرهم تفصيل لأسباب شقاوتهم.

. {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}: هنا ثلاث جرائم كبرى ارتكبوها:

1. الكفر: وهو الجحود بالله وإنكار وحدانيته.
2. التكذيب بالآيات: أي رفض دلائل الله في الكون والقرآن، والرسول الذين جاءوا بها.
3. التكذيب بلقاء الآخرة: وهذا خاص بهذه الآيات، وهو إنكار البعث والحساب. وقد يكون هذا الإنكار هو رأس كل خطيئة، لأن من آمن بالآخرة استقام، ومن كذب بها طغى وتجبّر.
. {فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}: هذا هو المصير المقابل لـ {في رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}.
. {في العذاب}: نقيض الروضة. الروضة خضرة ونعيم، والعذاب ألم وشقاء.
. {مُحْضَرُونَ}: أي مدخلون فيه إدخالًا لا خروج لهم منه. هم محضرون كالسجين الذي يحضر إلى سجنه ويمنع من مغادرته. فهم في العذاب مقيمون، لا يموتون ولا يحيون. وكلمة {مُحْضَرُونَ} تعطي إيحاءً بالإكراه والإجبار، فهم لا يدخلونه باختيارهم، بل يُساقون إليه وهم صاغرون.
. اللامسة البيانية: لاحظ التقابل البلاغي الرائع بين الجملتين:
. في الأولى: {فَهُمْ} (ضمير يدل على القرب والتكريم). في الثانية: {فَأُولَئِكَ} (اسم إشارة للبعيد، يدل على الإبعاد والتحقير).
. في الأولى: {في رَوْضَةٍ} (نعيم وحياة). في الثانية: {في العذاب} (جحيم وموت).
. في الأولى: {يُحْبَرُونَ} (فرح وسرور). في الثانية: {مُحْضَرُونَ} (حصر وإجبار).
الرسالة التربوية والعقدية:

. التحذير من التكذيب بالآخرة: هذه الآية تؤكد أن التكذيب بالآخرة جريمة مستقلة وكبيرة. فليس الأثر مجرد إنكار نظري، بل هو سبب مباشر لدخول العذاب. لماذا؟ لأن الإيمان بالآخرة هو الضابط الأخلاقي الأكبر للإنسان. فمن لا يؤمن بها، لا رادع له من ارتكاب المظالم.
. بناء عقلية السببية: الآية تربط النتيجة (العذاب) بالمقدمات (الكفر والتكذيب). هذا يعلمنا أن الجزاء من جنس العمل. إذا أردت الجنة، فقدم الإيمان والعمل الصالح. وإذا خشيت النار، فاجتنب الكفر و

التكذيب.
المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيات في حياتنا العملية؟

لنحول هذه الآيات من مجرد مشاهد أخروية إلى قوانين حياة نطبقها يوميًا.

١. مفهوم "التفرق" - إدارة العلاقات بمنظار الآخرة.

{يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ}. هذا المفهوم يجعلك تعيد تقييم كل علاقاتك.

. كيف تطبقه؟

. أسأل نفسك: "هل هذه الصداقة تزيدني إيمانًا وقرابًا من الله؟ أم أنها تجرني إلى الغفلة والمعاصي؟"
". اختر أصدقاءك بعناية، فهم إما رفقة في الجنة وإما خصماء يوم القيامة.
. في العلاقات الزوجية أو الأسرية، تذكر أنكما ستقفان معًا أمام الله. هذا الاستحضار يخفف من حدة الغضب، ويدفع للصلح والتسامح.

٢. مفهوم "الروضة" و"الحبور" - استباق الفرح بالإيمان والعمل

{فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}. هذا المفهوم ليس مجرد وعد مستقبلي، بل هو طاقة يومية.

. كيف تطبقه؟

. عندما تقوم بعمل صالح، استشعر أن هذا العمل هو بذرة من بذور روضتك في الجنة. هذا الشعور يحول العمل من مجرد واجب ثقيل إلى متعة روحية.
. عند الشدة، تغنى في قلبك بكلمة {يُحْبَرُونَ}. تخيل الفرح الذي ينتظرك. هذا التخيل الإيجابي له أثر نفسي عظيم في رفع المعنويات.

٣. مفهوم "محضرون" - الوعي بأسر المعصية

{فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}. هذه الكلمة تصور لك المعصية كأنها سجن معنوي قبل أن يكون سجنًا ماديًا في الآخرة.

. كيف تطبقه؟

. عندما تجد نفسك مقيّدًا بعادة سيئة أو ذنب معين، تذكر أن هذا هو "عذاب محضر" في الدنيا. ف الذنوب قيود، والمعاصي أسر. استشعر هذا الإحساس بالضيق، واجعله دافعًا لك للتوبة والتحرر.
الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على الوعي بالمصير؟

إن أهم ما نزرعه في قلوب أبنائنا هو الوعي بالمستقبل الأخروي، ليكون لهم بوصلة في الحياة.

1. التربية على عاقبة العلاقات: عندما يتشاجر طفلك مع صديقه، قل له: "أتعلم يا حبيبي؟ يوم القيامة ، {يَتَفَرَّقُونَ} {بين الناس. الأصدقاء الصالحون يظلون معًا في الجنة. فهل صديقك هذا يستحق أن يكون معك في الجنة؟ تصالحا وكونا أصدقاء صالحين".

2. تحويل العمل الصالح إلى "بذرة للروضة": عندما يساعدك ابنك في عمل منزلي، أو يتصدق من مصروفه، لا تكتفِ بكلمة "شكرًا". قل له: "ما شاء الله! أنت الآن تزرع روضتك في الجنة. هذا العمل الصالح سيصبح زهرة جميلة في روضتك التي {يُحْبَرُونَ} {فيها". هذا الربط الخيالي الجميل يجعل العمل الصالح محببًا إلى نفسه.

3. تعليمهم عاقبة التكذيب بالآخرة: عندما يرى ابنك مشهدًا لشخص ظالم أو فاسد في التلفاز، قل له: "انظر يا بني. هذا الشخص يعتقد أنه لن يحاسب. لكن الله يقول عن أمثاله: {فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}. نحن نعرف أن الله عادل، وسيحاسب كل ظالم. فلا تحزن ولا تفتر به". هذا يبني لديه ميزان العدالة الإلهية.

أبعاد الآيات في البناء والتنمية الحضارية

هذه الآيات تؤسس لرؤية حضارية متوازنة تقوم على النوايا والعقاب، والأمل والخوف.

. البعد التحفيزي والإنتاجي: الوعد ب- {رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} هو أعظم محفز للإبداع والعمل. مجتمع يؤمن بالجنة هو مجتمع متفائل، يرى في كل عمل صالح ومتقن استثمارًا لأبديته. هذا يدفع عجلة التنمية و الإنتاج، لأن العمل جزء من العبادة.

. البعد الرادع والأمني: الوعيد بـ {في العذاب مُحَضَّرُونَ} هو أقوى رادع للجريمة والفساد. مجتمع يؤمن بالحساب والعقاب الأخروي هو مجتمع آمن، لأن أفراده يملكون وازعًا داخليًا يمنعهم من الظلم ولو لم ترهم عين الشرطي. هذا يقلل تكاليف الأمن والرقابة، ويوفر الموارد للبناء والتنمية.

. البعد الاجتماعي (وحدة الصف): الإيمان بـ {يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} يعيد تشكيل الروابط الاجتماعية على أساس الإيمان والقيم المشتركة، لا على أساس العصبية والقبلية. هذا يبني مجتمعًا متماسكًا متحضرًا، تسوده المحبة والتعاون على الخير.

. البعد الأخلاقي (نقاء الضمير الجمعي): عندما يعلم الناس أن هناك فريقين فقط في النهاية، فإنهم يسعون جاهدين ليكونوا في الفريق الفائز. هذا يخلق تنافسًا في الخيرات، ويرفع من مستوى الأخلاق العامة في المجتمع.

وقفات عملية: لنزرع روضتنا من الآن

لنجعل هذه الآيات زادًا لنا في رحلتنا اليومية:

. وقفة الصباح مع المصير: عندما تنظر في المرآة صباحًا، قل لنفسك: "هذا الوجه إما أن يكون من وجوه {يُحْبَرُونَ} في الجنة، وإما من وجوه {مُحَضَّرُونَ} في العذاب. فاختر لنفسك أي الوجهين تريد أن يكون". هذه الوقفة القصيرة تمنحك يقظة قلبية طوال اليوم.

. وقفة عند اتخاذ قرار صعب: إذا احترت بين أمرين، اسأل نفسك: "أي هذين الأمرين سأفرح به عندما أراه في صحيفتي يوم {يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ}؟". هذا السؤال يمنحك بصيرة تفرق بها بين الحق والباطل.

. وقفة مع تربية الأبناء: في نهاية الأسبوع، اجلس مع أبنائك واسألهم: "ما هي الأعمال الصالحة التي زرعتها هذا الأسبوع في روضتنا؟". هذه المراجعة الأسبوعية تبني ثقافة العمل الصالح والمحاسبة الذاتية.

. وقفة مع فقدان عزيز: إذا مات لك عزيز مؤمن، تذكر أنه ذهب إلى {رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}. هذا العزاء الإيماني يخفف من ألم الفقد، ويجعل حزنك حزنًا هادئًا مليئًا بالرضا والأمل في اللقاء هناك حيث لا {يَتَفَرَّقُونَ} أبدًا.

** الخاتمة: الطريق إلى حيث لا تفرق

يا من تبحث عن السعادة الدائمة، لقد رسمت لك هذه الآيات خريطة الوصول. الطريق واضح، والمصير معلوم. إنها ليست قصة من قصص الخيال، بل هي الحقيقة المطلقة التي لا مراء فيها.

في ذلك اليوم العظيم {يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ}، ستقف أنت وحدك. لن ينفعك أبوك ولا ابنك، لن ينفعك مالك ولا جاهك. سينفك فقط إيمانك الذي صدقته بعملك الصالح.

فاختر لنفسك الآن، في هذه اللحظة، أي الفريقين تريد أن تكون. هل تريد أن تكون ممن {في رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}، تملو وجوههم المسرة، وتغمهم النضرة؟ أم تريد أن تكون ممن {في العذاب مُحَضَّرُونَ}، تحيط بهم الظلمة، ويعلوهم الغبار والفترة؟

إنها دعوة من الرحمن لعباده: "يا عبادي، إني خلقت الجنة ورغبت فيها، فتنافسوا في الخيرات. وإني خلقت النار وحذرت منها، فاجتنبوا السيئات". فاستجب للدعوة. ازرع روضتك اليوم بالذكر والصدقة و الصلاة والقرآن. ثق بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُ يَتَفَرَّقُونَ} * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ

فليكن شعارك: "يا رب، لك الحمد. أنت بدأت خلقي، وإليك رجوعي. فاجعلي ممن يفرحون بلقائك، ويدخلون روضتك، ويحبرون بنعيمك. واصرف عني عذابك، إن عذابك بالكافرين ملحق". جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين، الذين هم في جنات النعيم، يحبرون بما آتاهم ربهم ووقاهم عذاب الجحيم. آمين..

المقطع الثاني القسم الاول آيات الله الكونية المبحث الأول

لقد رأينا في الآيات السابقة كيف انتقل بنا الخطاب الإلهي من التفكير في الأنفس إلى السير في الآفاق، ومن مشهد البعث والجزاء إلى مصير الفريقين في الجنة والنار. والآن، بعد أن استقر في قلبك وعقلك يقين البعث، يأتي النداء القرآني ليفتح أمام عينيك كتاب الكون المفتوح، وليجعلك ترى دلائل البعث في كل مشهد، وفي كل لحظة من لحظات يومك.

تعالَ نعيش معاً هذه الآيات البينات التي ترد على كل منكري البعث، وتكشف زيف ما يعبدون من دون الله، وتغرس في قلبك عبادة عظيمة هي التسبيح والحمد في كل آن وحين:

{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} (الروم: 17)
{وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} (الروم: 18)
{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} (الروم: 19)

أولاً: الفاء الفصيحة - ربط المقدمات بالنتائج

قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ}

تأمل معي حرف الفاء في بداية الآية. إنه ليس مجرد حرف عطف، بل هو فاء الفصيحة، التي تختصر في طياتها جملاً محذوفة تقديرها: "إذا علمتم هذا كله، وعرفتم أن الله بدأ الخلق وسعيده، وأنكم إليه راجعون، وأن الساعة آتية لا ريب فيها... فسبحان الله". إنها فاء النتيجة المترتبة على كل ما سبق من وعظ وتذكير وإنذار. لقد رأيت آثار قوة الله فيمن سبق، وعرفت مصير المكذبين، وأمنت بالبعث، فماذا بعد ذلك؟ {فَسُبْحَانَ اللَّهِ}. {إنها الفاء التي تربط العقيدة بالعبادة. فالإيمان الصحيح يثمر تسبيحاً وحمداً لله.

{سُبْحَانَ اللَّهِ}: كلمة التنزيه المطلق

كلمة {سُبْحَانَ اللَّهِ} علم على تسبيح الله وتنزيهه. وهي تعني تنزيه الله عن كل نقص، وعن كل شريك، وعن كل ما لا يليق بجلاله. وعندما تقولها بعد كل هذه الأدلة، فأنت تعلن بكل جوارحك: "تنزهت يا رب عن العبث في خلقك، تنزهت عن الظلم في حكمك، تنزهت عن الشريك والولد، تنزهت عن أن يكون لك ند أو مثيل". إنها كلمة تملأ القلب هيبة وإجلالاً للخالق العظيم. ثانياً: دلالة الزمان - تسبيح في مواقيت التحولات الكبرى

قوله تعالى: {حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}

انظر كيف ينتقل بك القرآن من التأمل في الأحداث التاريخية الكبرى (غلبة الروم ووعد النصر) إلى التأمل في الأحداث اليومية المتكررة التي تمر بك صباح مساء. إنه يعلمك أن آيات الله ليست فقط في المعجزات الخارقة، بل في النعم المتكررة التي ألفتها وغفلت عنها.

{حِينَ تُمْسُونَ}: أي وقت المساء، حين يدخل الليل ويسدل ظلامه. إنه وقت انقضاء النهار وانتهاء العمل. تأمل هذا المشهد: الشمس تغيب، والضوء يتلاشى، والكون ينتقل من حركة وصخب إلى سكون وهدوء. من الذي دبر هذا الانتقال العظيم؟ من الذي يذهب بالنهار ويأتي بالليل؟ إنه الله. إن دخول المساء هو موت يومي مصغر، يذكرك بموتك أنت، ويدعوك لتسبح من بيده الموت والحياة.

{وَحِينَ تُصْبِحُونَ}: أي وقت الصباح، حين ينفلق الفجر وينتشر الضوء. إنه وقت بعث الحياة من جديد. بعد ظلام الليل وسكونه، يعود النور والحركة والنشاط. من الذي أخرج الحي من الميت؟ من الذي أخرج الصباح من ظلمة الليل؟ إنه الله. إن إصباح الصباح هو بعث يومي مصغر، يذكرك ببعثك أنت من قبرك، ويدعوك لتسبح من يحيي العظام وهي رميم.

. اللمة البيانية: لاحظ تقديم المساء {تُمْسُونَ} على الصباح {تُصْبِحُونَ}. (لماذا؟ لأن الآيات السابقة كانت تتحدث عن مشاهد الإظلام والهول والبعث، فكان المناسب أن يبدأ بالمساء الذي هو ظلمة وانقضاء. كما أن المساء في السياق القرآني يأتي بمعنى الرجوع والانتها، والصباح بمعنى البدء والإحياء، والله هو الأول والآخر. هذا التقديم والتأخير يثير في نفسك التأمل والتدبر.

الرسالة النفسية والعملية:

· ربط اليوم كله بالله: الآية تعلمك أن تبدأ يومك بالتسبيح عند الصباح) في صلاة الفجر، وتختمه بـ (التسبيح عند المساء) في صلاة المغرب والعشاء. (فتصبح حياتك كلها مربوطة بالله، من مطلعها إلى منتهاها.

· التغلب على القلق الليلي: عندما يأتي المساء وقد أثقلتك الهموم، تذكر أن الله هو الذي يمسى ويميت، وأنه القادر على تفريج همك. قل: {قَسْبَحَانَ اللّٰهَ حِينَ تُمْسُونَ}، فهذا يمنحك سكينه وطمأنينه. ثالثاً: دلالة المكان - حمد يملأ الأكوان

قوله تعالى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

بعد أن أمر بتسبيحه في هذين الوقتين العظيمين، جاء بالحمد مطلقاً في كل زمان ومكان. انتقل من تسبيح الزمان) المساء والصباح (إلى حمد المكان) السماوات والأرض.

{وَلَهُ الْحَمْدُ}: الحمد هو الثناء بالجميل على الجميل. وهو أعم من التسبيح؛ فالتسبيح تنزيه، والحمد إثبات للكمال. فهو المحمود على نعمه وآلائه، المحمود في الأولى والآخرة. وتقديم الجار والمجرور {وَلَهُ} (على المبتدأ) الحمدُ {يفيد الحصر والقصر أي: الحمد له وحده لا يستحقه غيره. في السماوات والأرض}: أي أن كل من في السماوات والأرض يسبح بحمده. الملائكة في السماوات، والإنس والجن والطير والجمال في الأرض، كلهم يحمدون الله. فإذا كنت أنت لا تسبح بحمده، فأنت نشاز في هذا الكون العابد. هذه الآية تشعرك أنك جزء من منظومة كونية عابدة، فإما أن تنسجم معها وتسبح، وإما أن تشذ عنها فتشقى.

قوله تعالى: {وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ}

ثم يعود مرة أخرى إلى الأزمنة، ليتم دورة اليوم الكامل:

{وَعَشِيًّا}: العشي هو آخر النهار، من الزوال إلى الغروب. وهو وقت صلاتي العصر والمغرب. {وَحِينَ تُظْهِرُونَ}: وقت الظهيرة، وهو وقت اشتداد الحر والضوء، ووقت صلاة الظهر.

وهكذا اجتمعت الأوقات الخمسة للصلوات المفروضة في هاتين الآيتين إشارة لطيفة:

{حِينَ تُمْسُونَ}: المغرب والعشاء.

{وَحِينَ تُصْبِحُونَ}: الفجر.

{وَعَشِيًّا}: العصر.

{وَحِينَ تُظْهِرُونَ}: الظهر.

الرسالة العقديّة والتربويّة:

· تفنيد الشرك: الآيات تكشف زيف ما يعبدون من دون الله. فهذه الأصنام والأوثان لا تملك أن تأتي بـ المساء أو الصباح، ولا تملك أن تحمد في السماوات والأرض. إنها جمادات لا تسمع ولا تبصر. فكيف تعبدونها من دون الله؟ هذه دعوة عقلية صريحة لتحرير العقل من الوثنية.

· تربية الطفل على الصلاة: هذه الآيات هي خير وسيلة لتعليم الأطفال أوقات الصلاة. قل له: "الله يحبنا ويحب أن نسبحه. هيا نسبحه حين نمسي) صلاة المغرب، (وحين نصبح) صلاة الفجر، وعشياً (صلاة العصر، (وحين نظهر) صلاة الظهر".

رابعاً: الدليل القاطع على البعث - إخراج الحي من الميت

قوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ}

بعد أن أثبت الله استحقاقه للتسبيح والحمد المطلق، يأتي إلى قضية البعث التي كانت محور السورة، فيقدم عليها الدليل العملي المشاهد الذي لا يستطيع أحد إنكاره.

{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}: انظر حولك! البيضة الميتة يخرج منها الدجاج الحي. النطفة الميتة يخرج منها الإنسان الحي. الحبة الميتة في باطن الأرض يخرج منها النبات الأخضر الحي.

{وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ}: والعكس صحيح! من الدجاجة الحية تخرج البيضة الميتة. من الإنسان الحي تخرج النطفة الميتة. من الشجرة الخضراء تخرج الحبة اليابسة الميتة.

{وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}: وهذا أوضح دليل ترى الأرض هامة يابسة، لا خضرة فيها ولا حياة . فإذا أنزل الله عليها الماء، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .إنها آية البعث الكبرى التي تراها كل عام.

{وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ}: هذه هي الضربة القاضية على كل منكر للبعث . "وكما ترون هذا كله بأعينكم، وكما نخرج الحي من الميت والميت من الحي ونحيي الأرض بعد موتها ... فكذلك تخرجون من قبوركم أحياء". إنه قياس منطقي من الشاهد على الغائب . فإذا كنتم تؤمنون بهذه الظواهر الطبيعية، فكيف تنكرون البعث وهو أيسر على الله؟

. اللمة البيانية: صيغة المضارع في الأفعال {يُخْرِجُ} {وَيُحْيِي} تدل على التجدد والاستمرار .فهذه الآيات ليست حوادث ماضية، بل هي تحدث كل يوم وأمام أعينكم .وفي هذا دعوة دائمة للتأمل و التفكير، لأن الأدلة متجددة لا تنقطع.

الرسالة العقلية واليقينية:

. دليل الوجود والبعث: هذه الآية تمنحك يقينًا عقليًا بالبعث .عندما ترى البذرة تموت تحت التراب ثم تثبت، تذكر أنك مثلها .هذه المشاهدة اليومية تحول الإيمان بالبعث من مجرد فكرة إلى حقيقة يعيشها قلبك.

. إحياء الأمل في النفوس: إذا كان الله يحيي الأرض بعد موتها، فهو قادر على إحياء قلبك بعد قسوته، وعلى إحياء أمة بعد مواتها .فاليأس لا مكان له في قلب المؤمن، لأن الله {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}.

المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيات في حياتنا العملية؟

هذه الآيات تقدم لنا منهج حياة متكامل قائم على ذكر الله في كل الأوقات، والتأمل في كل المشاهد.

١. مفهوم "عبادة الوقت" - استثمار لحظات التحول

الآية ربطت العبادة) التسبيح والحمد (ب- لحظات التحول في اليوم: المساء والصباح والعشي و الظهيرة .هذه اللحظات هي لحظات تغير في الكون، وهي فرصة ذهبية لتجديد الإيمان.

. كيف تطبقه؟

. عند أذان كل صلاة، استشعر أنك تنتقل من حال إلى حال، وأن الله يدعوك لتكون منسجمًا مع هذا الكون الذي يسبح بحمده .أجب المؤذن بقلب حاضر، وقم إلى الصلاة وكأنك تلبية لنداء التسبيح الكوني.

. عند غروب الشمس، قف دقيقة تتأمل المنظر، وقل: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ} .عند شروق الشمس، قل: {وَحِينَ تَصْبِحُونَ} .هذا يربط يومك كله بالله.

٢. مفهوم "الإنسان الكوني" - الانسجام مع الكون العابد

{وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} .هذه الآية تخرجك من الأناثية البشرية .فأنت لست وحدك من يعبد الله .كل شيء في هذا الكون يسبح بحمده .أنت جزء من سيمفونية كونية عظيمة.

. كيف تطبقه؟

. عندما تسمع زقزقة العصافير، أو حفيف الأشجار، أو خرير الماء، تذكر أنها تسبح الله .قل: "سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته" .هذا الشعور يمنحك سلامًا نفسيًا وانسجامًا مع الكون.

٣. مفهوم "الاستدلال بالمشاهد على الغائب"

{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ... وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ} .هذه الآية تعلمك المنهج العقلي السليم .لا تؤمن بشيء غيبي لمجرد التلقين، بل استخدم عقلك وانظر في الآيات المشاهدة لتصل إلى اليقين بالغيب.

. كيف تطبقه؟

. عندما تمر بضائقة، تذكر كيف يخرج الله الحي من الميت .ثق بأن بعد الضيق فرجًا، وبعد العسر يسرًا، وبعد موت الأرض حياة .هذا التفكير المنطقي المبني على سنن الكون يجعلك صلبًا لا تنكسر .**الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه المعاني؟

لنغرس في أبنائنا حب التسبيح والتفكير في الكون، ليكونوا جيلاً يعبد الله عن حب وفهم.

1. ربط الصلوات بالمشاهد الطبيعية: عندما تستيقظ ابنك لصلاة الفجر، لا تقل له فقط: "قم صل". بل أشر إلى الفجر قائلاً: "انظر يا حبيبي! الله يخرج النور من الظلام. إنه يحيي النهار بعد موت الليل. هيا بنا نسبحه مع الصباح كما أمرنا: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}."
2. تجربة الزراعة المنزلية: ازرع مع طفلك حبة فول أو عدس في كأس من القطن المبلل. دعه يرى بعينه كيف تخرج النبتة الحية الخضراء من الحبة الميتة. ثم اقرأ له: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}، ثم {وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ}. هذه التجربة الحسية ترسخ في عقله الباطن حقيقة البعث أكثر من أي درس نظري.
3. جولات التأمل في الطبيعة: خذ أبنائك في رحلة إلى البر أو إلى حديقة. توقفوا عند غروب الشمس. قل لهم: "هيا بنا نسبح الله {حِينَ تُمْسُونَ}." وعند شروقها في رحلة أخرى: "هيا بنا نسبحه {حِينَ تُصْبِحُونَ}." هذا يبني لديهم ذاتقة إيمانية مرتبطة بالجمال الكوني. أبعاد الآيات في البناء والتنمية الحضارية

هذه الآيات تؤسس لحضارة الذكر والتأمل، التي كانت سر قوة المسلمين الأوائل.

- البعد الروحي والعبادي) وقود الحضارة: ربط التسبيح والحمد بأوقات اليوم يخلق إيقاعاً روحانياً منتظماً في حياة الفرد والمجتمع. هذا الإيقاع يمد الإنسان بطاقة روحية هائلة تمكنه من العمل والإبداع لساعات طويلة دون كلل. الحضارة الإسلامية قامت على أكتاف رجال كانوا يتلذذون بمناجاة الله في هذه الأوقات.
- البعد الفكري والعلمي) الحض على البحث: قوله {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} هو دعوة مفتوحة لدراسة علوم الحياة وعلوم الأرض كيف تتحول البذرة الميتة إلى نبات حي؟ كيف تتحول النطفة إلى إنسان؟ هذا الفضول العلمي الذي يغيره القرآن هو الذي دفع علماء المسلمين الأوائل للريادة في الطب و النبات والزراعة.
- البعد الأخلاقي والجمالي) حضارة الجمال: الأمر بالتسبيح في أوقات الجمال الطبيعي) المساء و الصباح (يربي في النفس حساً جمالياً رقيقاً. المؤمن يرى جمال الطبيعة فيسبح الله، بينما يراها الملحد فيقف عند حدود المادة. هذا الربط بين الجمال والعبادة هو ما أنتج الفن الإسلامي الرفيع في العمارة والزخرفة والشعر.
- البعد النفسي والاجتماعي) الأمن والطمأنينة: مجتمع يبدأ يومه بالتسبيح ويختتمه بالتسبيح، هو مجتمع يسوده الأمن النفسي والاجتماعي. الناس يثقون في تدبير الله، ويطمئنون إلى أن بعد كل ليل نهاراً، وبعد كل موت حياة. هذا يقلل من القلق والتوتر الذي تعاني منه الحضارة المادية اليوم. وقفات عملية: لنعش التسبيح والحمد في كل حين

لنجعل هذه الآيات برنامجاً يومياً لحياتنا، نستشعر من خلاله عظمة الله في كل لحظة.

- وقفة مع أذكار الصباح والمساء: عندما تقرأ أذكار الصباح والمساء، استحضر هذه الآية. اشعر أنك إنما تسبح الله {حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} كما أمرك. هذا الاستحضار يحول الأذكار من مجرد عادة إلى عبادة قلبية واعية.
 - وقفة مع الهموم والمشاكل: إذا ضاقت بك الدنيا وأظلمت في وجهك، تذكر {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}. قل لنفسك: "سيخرجني الله من هذا الضيق كما يخرج الفراشة من الشرنقة، وكما يخرج النبتة من الحبة". هذا الأمل الإيماني يمنحك قوة لا توصف.
 - وقفة مع الموت: عندما تمر بمقبرة أو تسمع ب وفاة أحد، لا تجزع. تذكر {وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ}. الموت ليس نهاية، بل هو مرحلة انتقالية، كما تنتقل الحبة من طور الموت إلى طور الحياة. هذا الفهم العميق للموت يحركك من الخوف منه، ويجعلك تستعد له بالعمل الصالح.
 - وقفة مع نعمة الضوء: عندما تضيء الغرفة بالنور، تذكر أن هذا النور هو آية من آيات الله. قل في نفسك: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}. (فالشمس والقمر والنجوم والمصابيح كلها تسبح بحمد الله، وأنت معهم في هذا التسبيح.
- الخاتمة: دعوة للانسجام مع إيقاع الكون

يا أيها الإنسان، لقد دعاك الله في هذه الآيات أن تكون كائناً كونياً، متناعماً مع إيقاع الوجود. لا تكن جسداً يمشي على الأرض وقلبه غافل عن ملكوت السماوات. افتح عينيك وبصيرتك. انظر إلى تعاقب الليل والنهار، إلى شروق الشمس وغروبها، إلى بذرة تموت ونبتة تحيا. كل هذه آيات تناديك: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ}.

إن التسبيح ليس مجرد كلمة تقولها بلسانك إنه حالة قلبية وكونية إنه أن ترى عظمة الله في كل شيء، فتهتف بكل كيائك: "سبحان الله!". والحمد هو أن ترى نعمه عليك في كل لحظة، فتشكره بكل جوارحك.

فاجعل من يومك تسبيحة طويلة، ومن ليلك تحميدة خالصة. ابدأ صباحك بالتسبيح، واختم مساءك بالحمد. عش مع الكون في عبادته الصامتة. وإذا رأيت موت الأرض في الخريف، فتيقن أن ربيعها آت، وكذلك} وكذلك تخرجون.

{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ \ *وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تَطْهَرُونَ}

فليكن شعارك في هذه الحياة: " التسبيح والحمد. أرى آيات الله في كل شيء، فأسبحه في كل وقت، وأحمده في كل حال". جعلنا الله وإياكم من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، ومن المسبحين بحمده في آناء الليل وأطراف النهار. آمين.

المبحث الثاني

أيها العاقل المتأمل، يا من تبحث عن الحق بدليل، وتطلب اليقين ببرهان، ها نحن نصل إلى آيتين هما من أروع ما يخاطب به القرآن العقل البشري والوجدان الإنساني. بعد أن دعانا الله في الآيات السابقة إلى التسبيح والحمد في أوقات اليوم المختلفة، وإلى التأمل في إخراج الحي من الميت، ينتقل بنا الآن ن إلى آفاق جديدة من التفكير، ليضع بين أيدينا دلائل ليست بعيدة عنا، بل هي في أنفسنا وفي حياتنا اليومية.

إنهما آيتان تكشفان عن منهج القرآن الفريد في الإقناع العقلي، وفي تقريب الصورة إلى ذهن المخاطب حتى يراها رأي العين، فيقتنع بها عقله، ويطمئن إليها قلبه. إنهما الآيتان اللتان تجعلانك تنظر إلى نفسك وإلى أسرتك نظرة جديدة، نظرة ترى فيها يد الله التي خلقت وصورت فأبدعت.

فلنعش معًا قوله تعالى:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} {الروم: 20}
{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ° إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} {الروم: 21}
أولًا: الإسلام ومخاطبة العقل - منهج الإقناع والتنمية

قبل أن نغوص في معاني الآيتين، دعنا نقف لحظة مع المنهج القرآني في مخاطبة العقل. لقد جاء القرآن الكريم ليحرر العقل البشري من الخرافة والوثنية والتبعية العمياء. ومن أبرز ملامح هذا المنهج:

1. الدعوة إلى التفكير والتفكير: لم يطلب القرآن من الإنسان أن يؤمن إيمانًا أعمى، بل دعاه في مئات الآيات إلى استخدام عقله: {أَفَلَا تَعْقِلُونَ}، {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ}، {لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}. {إنها دعوة صريحة إلى تنمية العقل، وجعله أساسًا للإيمان.
2. تقريب الصورة إلى الذهن: القرآن يخاطب الإنسان بما يعرفه ويألفه. إنه يستخدم أمثلة واقعية ملموسة، من حياته اليومية، من بيئته، من نفسه. لماذا؟ لأن الهدف هو أن تتكون في ذهن المخاطب صورة كاملة واضحة لما يُدعى إليه، فلا يبقى هناك لبس ولا غموض. الصورة الذهنية الواضحة هي أساس الاقتناع.
3. الأمثلة في متناول الجميع: الآيات التي سنتأملها الآن تتحدث عن خلق الإنسان من تراب، وعن علاقة الزوجية والمودة والرحمة. هذه أمثلة ليست خاصة بالعلماء أو الفلاسفة، بل هي في متناول كل إنسان، في كل زمان ومكان. البدوي في صحرائه، والفلاح في حقله، والعالم في مختبره، كلهم يدركون هذه الحقائق ويعيشونها.

وهذا المنهج هو الذي يضمن الارتقاء بالإنسان، لأنه يخاطب أعز ما فيه (عقله)، ويقدم له الأدلة القاطعة، فيقتنع ويؤمن عن طواعية واختيار، لا عن إكراه وإجبار.
ثانيًا: آية الخلق من تراب - رحلة النشأة الأولى

قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}

تأمل معي هذه الآية القصيرة التي تلخص أعظم رحلة في تاريخك الشخصي. إنها تعيدك إلى أصل وجودك الأول، لتذكرك بحقيقتك، ولتدلك على قدرة الله المطلقة.

{ وَمِنْ آيَاتِهِ: } هذا التعبير تكرر كثيراً في هذا الجزء من السورة. إنه بمثابة عنوان لكل دليل. "ومن دلائل قدرته ووحديته..." إنه يستثير انتباهك: "انظر وتأمل، فهذا دليل جديد".

{ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ: } هذا هو المبدأ. إنه يخبرك بحقيقة علمية وإيمانية: أصلك من تراب. أنت أيها الإنسان، بكل ما فيك من عظمة وكبرياء، أصلك من هذه الأرض التي تمشي عليها. لقد خلق الله أباك آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. إنها حقيقة تضع الكبر والغرور في حجمهما الحقيقي. "لماذا تتكبر وأنت أصلك من تراب؟".

{ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ: } وهنا المفاجأة! "ثم" تفيد التحول العظيم. بعد أن كنتم تراباً، وبعد أطوار الخلق في الأرحام، إذا بكم { بَشَرٌ } كائنات حية، عاقلة، ناطقة، متحركة. { تَنْتَشِرُونَ } في الأرض، تملؤون سهولها وجبالها، تبكون وتضحكون، تعمرون وتخربون. من الذي صنع هذا التحول المذهل؟ من الذي أخرج من التراب الجامد هذا البشر المتحرك المنتشر؟ إنه الله وحده لا شريك له.

. اللسنة البيانية: لاحظ التعبير بـ { إِذَا أَنْتُمْ } ("إذا" الفجائية تفيد أن هذا التحول حدث بسرعة مذهلة وبصورة مفاجئة بالنسبة لقدرة الله. وبعد أن كان تراباً لا قيمة له، أصبحتم { بَشَرًا } أي مخلوقات معقدة لها عقل وروح. إنه مشهد يستدعي التسبيح والتعجب من عظمة الخالق.

الرسالة العقلية والنفسية:

. إثبات البعث بدليل النشأة الأولى: هذه الآية تقدم دليلاً عقلياً قاطعاً على البعث. "كيف تنكرون إعادتكم بعد الموت، والله هو الذي بدأ خلقكم من تراب؟ من بدأ الخلق أول مرة قادر على إعادته". إنه منطق بسيط وعميق في آن واحد.

. التواضع وكسر الغرور: عندما تتذكر أن أصلك من تراب، وأن مصيرك إلى التراب، فإنك تتواضع لله، وتلين للخلق. هذا هو العلاج النفسي للكبر والعجب بالنفس.

ثالثاً: آية الأزواج والمودة والرحمة - آية في الأنفس

قوله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً }^٥ إن في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

بعد أن ذكر آية الخلق من تراب، وهي آية في بدء خلق الإنسان، ينتقل إلى آية أخرى لا تقل عنها عجباً، وهي آية في استمرار حياة الإنسان واجتماعه. إنها آية الزواج والأسرة.

{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا: } تأمل رحمة الله وحكمته! { مِنْ أَنْفُسِكُمْ } أي من جنسكم ونوعكم. لم يجعل أزواجكم من جنس آخر غريب عنكم، بل من أنفسكم، لتكون هناك ألفة طبيعية وانسجام فطري. فالمرأة خلقت من ضلع الرجل، ليكون بينهما تكامل وتجاذب. هذه هي الحكمة الإلهية في جعل الزوجين من جنس واحد.

{ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا: } هذه هي الغاية الأولى من الزواج. السكن، أي الطمأنينة والراحة والاستقرار النفسي. عندما ترى زوجتك، يسكن قلبك، وتهدأ نفسك. في عالم مليء بالقلق والاضطراب، جعل الله لك في زوجك مرفأً آمناً وواحة سكينه. هذا المعنى عميق جداً، ويجعل العلاقة الزوجية تتجاوز مجرد إشباع الغريزة، لترتقي إلى حاجة نفسية وروحية أساسية.

{ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً: } وهذا هو السر الإلهي الذي يجعل الحياة الزوجية تستمر. المودة: هي الحب والرغبة والتعلق القلبي. هي التي تجعل الرجل ينجذب إلى امرأته، والمرأة تنجذب إلى زوجها. هي المحرك الأول للعلاقة.

. الرحمة: هي الشفقة والرفق والإحسان. عندما تضعف المودة بفعل الزمن أو المرض أو كبر السن، تأتي الرحمة لتحافظ على كيان الأسرة. يرحم الزوج ضعف زوجته، وترحم الزوجة شيخوخة زوجها. لاحظ التدرج العجيب: أولاً "السكن"، وهو الأساس. ثم المودة التي تعمر البيت حباً وحياة. ثم الرحمة التي تحمي البيت عندما تذب المودة. إنه نظام إلهي محكم لاستمرار الأسرة، التي هي نواة المجتمع.

{ إِنْ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ: } وهنا تأتي الخاتمة التي تؤكد على دور العقل. "في ذلك" أي في هذا الخلق العجيب، وجعل الأزواج، وإبداع المودة والرحمة بينهم، لآيات ودلائل واضحة. ولكن لمن؟ ليس لكل أحد، بل { لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }، أي للذين يستخدمون عقولهم، ويتأملون في هذه الآيات، وينتقلون من المشاهدة إلى الاستدلال على وجود الخالق وحكمته.

الرسالة العقلية والنفسية:

. تنمية العقل بالتفكير في العلاقات الإنسانية: الآية تدعوك للتفكير في أعظم علاقة إنسانية: الزواج. كيف حدث هذا الانسجام؟ من الذي خلق هذا التكامل بين الذكر والأنثى؟ من الذي ألقى في قلوبهما هذه المودة؟ إن التفكير في هذه الأسئلة يقودك حتماً إلى الله.

. تقوية الروابط الأسرية: عندما تفهم أن زواجك هو آية من آيات الله، وأن ما بينكما من مودة ورحمة هو هبة إلهية، فإنك تحافظ على هذه النعمة وتشكر الله عليها. هذا الوعي يمنع الكثير من الخلافات والهدم الأسري.

. تقديس الحياة الزوجية: الآية ترفع العلاقة الزوجية من مجرد عادة اجتماعية أو حاجة بيولوجية، إلى عبادة وآية كونية. هذا يمنح الزواج قدسية واحتراماً.
كيف يحرص الإسلام على تنمية العقل من خلال هذه الآيات؟

من خلال تأملنا في هاتين الآيتين، نستخلص معالم المنهج الإسلامي في تنمية العقل:

1. الانطلاق من الواقع الملموس: الآيات لم تبدأ بمفاهيم فلسفية مجردة، بل بدأت بأمر واقعي مشاهد: خلقكم من تراب) أصل الإنسان(، والأزواج) علاقة يعيشها كل إنسان. (هذا المنهج يجعل التفكير سهلاً وميسراً للجميع.
 2. التدرج من البسيط إلى المركب: بدأت الآية الأولى بحقيقة بسيطة: أنت من تراب. ثم انتقلت إلى حقيقة أكثر تعقيداً: كيف أصبحت بشراً منتشراً؟ ثم في الآية الثانية انتقلت إلى قمة التعقيد في العلاقات الإنسانية: كيف يسكن الزوجان بعضهما لبعض؟ وكيف تنشأ المودة والرحمة؟ هذا التدرج يبني العقل وينميه خطوة بخطوة.
 3. إثارة الأسئلة العقلية: صيغة الآيات تثير في ذهنك أسئلة محورية: كيف؟ لماذا؟ من؟ "كيف خلقكم من تراب؟"، "لماذا جعل لكم أزواجاً؟"، "من الذي جعل بينكم المودة والرحمة؟". هذه الأسئلة هي وقود التفكير، وهي التي تدفع العقل للبحث عن الإجابات.
 4. الربط بين الآيات والنتيجة: كل آية تختتم بلفتة عقلية صريحة: {إن في ذلك لآيات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}. هذا الربط يعلمك أن الغاية من مشاهدة الآيات هي التفكير، وأن ثمرة التفكير هي الإيمان. إنها دورة متكاملة: مشاهدة → تفكير → إيمان.
- *الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على التفكير في هذه الآيات؟

لنستخدم هاتين الآيتين في بناء عقلية متأملة ومتفكرة لدى أبنائنا:

1. آية الخلق من تراب - درس في التواضع والعلم:
. خذ حفنة من تراب مع ابنك. اسأله: "من أي شيء خلقنا الله؟". ثم اقرأ عليه الآية: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ}. قل له: "انظر إلى هذا التراب! من هذا التراب خلق الله أبانا آدم. ثم جعلنا بشراً نتشر في الأرض. هل تستطيع أنت أن تصنع من هذا التراب إنساناً؟ هذا من آيات الله". هذا الدرس العملي يرسخ في ذهنه عظمة الخالق، ويزرع فيه التواضع.
 2. آية الأزواج - درس في الحب والرحمة:
. اجلس مع أبنائك واسألهم: "لماذا تتزوجون؟". ستجد إجاباتهم مختلفة. ثم اقرأ عليهم الآية: {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}. (قل لهم): "الزواج ليس فقط لتنجبوا أولاداً، بل لتسكنوا إلى بعضكم، وتحبوا بعضكم، وترحموا بعضكم. هذه نعمة من الله". هذا الفهم المبكر يبني لديهم تصوراً راقياً عن الزواج، ويحميهم من النظرة المادية أو الشهوانية البحتة.
 - . عندما يرى طفلك أباه يساعد أمه، أو أمه تحنو على أبيه، قل له: "انظروا! هذه هي المودة والرحمة التي جعلها الله بين الأزواج. إنها آية من آيات الله". هذا يربط سلوك الوالدين بالقرآن، ويجعل الآية حية أمام عينيه.
- أبعاد الآيتين في البناء والتنمية الحضارية

هاتان الآيتان تؤسسان لحضارة إنسانية تقوم على احترام الأصل، وتقديس الأسرة:

- . البعد الإنساني والأخلاقي) المساواة والتواضع(قوله: {خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} يهدم كل فوارق الجاه والمال والنسب. الناس كلهم من تراب، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. هذا المبدأ هو أساس العدالة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية، وهو الذي يمنع الطبقة والعنصرية.
 - . البعد الاجتماعي) استقرار الأسرة(قوله: {خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ... مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} (هو الدستور الإلهي للأسرة. أي حضارة تهمل الأسرة وتحط من قيمة الزواج، فهي حضارة تحفر قبرها بيديها. تفكك الأسرة هو بداية تفكك المجتمع بأسره. هذه الآية تضع الأسرة في قلب البناء الحضاري.
 - . البعد النفسي) الصحة النفسية(السكّن الذي توفره الأسرة هو أعظم علاج نفسي. الحضارة المعاصرة تعاني من أزمة قلق واكتئاب لأنها أفقدت الإنسان سكنه الأسري. هذه الآية تقدم وصفاً إلهياً للصحة النفسية: الزواج القائم على المودة والرحمة.
 - . البعد الفكري) منهج التفكير(ختم الآية بـ {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يجعل التفكير قيمة حضارية عليا. الحضارة التي تهمل التفكير والتأمل هي حضارة استهلاكية مادية سطحية. أما الحضارة التي تربي أبنائها على التفكير، فهي حضارة منتجة للحكمة والعلم والمعرفة العميقة.
- وقفات عملية: لنعش التفكير في حياتنا اليومية

لنأخذ هذه الآيات ونجعلها برنامجًا عمليًا يغير نظرتنا لأنفسنا ولأسرنا:

. وقفة مع النفس - تأمل في الأصل: عندما تشعر بالكبر أو العجب، اذهب إلى حديقة أو مكان فيه تراب. أمسك بيدك قليلاً من التراب، وانظر إليه جيداً. قل لنفسك: "أصلك من هذا التراب يا فلان . فكيف تتكبر على عباد الله؟". هذه الوقفة العملية تذيب جبال الكبر في النفس.

. وقفة مع الزوجة - تجديد المودة والرحمة: كل فترة، اجلس مع زوجتك وتأملا معاً هذه الآية . أسألها: "هل تشعرين بالسكن إلي؟". واسأل نفسك: "هل أشعر بالسكن إليها؟". تفقدا معاً رصيد المودة و الرحمة بينكما. هل يحتاج إلى تجديد؟ كلمة طيبة، هدية صغيرة، موقف حنون، كلها تعيد شحن هذا الرصيد الإلهي.

. وقفة مع الأبناء - تعليمهم التفكير: عندما تخرج مع أبنائك إلى الطبيعة، لا تجعل النزهة مجرد أكل وشرب. توقفوا عند شجرة، عند زهرة، عند نملة. أسألهم: "من خلق هذا؟ كيف خلقها؟ لماذا خلقها؟". هذه الأسئلة البسيطة تفتح عقولهم على عبادة التفكير.

. وقفة مع الخلافات الزوجية - استحضار الآية: عندما يقع خلاف بينك وبين زوجتك، استحضرا معاً هذه الآية. تذكر أن ما بينكما هو آية من آيات الله. هل تريدان أن تهدما آية من آيات الله بسبب خلاف عابر؟ استحضار هذا المعنى يلين القلوب، ويدفع للصالح.

الخاتمة: دعوة إلى مملكة التفكير

يا أيها الإنسان، لقد فتح الله لك في هاتين الآيتين باباً عظيماً من أبواب المعرفة، باباً لا تحتاج فيه إلى مختبرات ولا إلى مكتبات، بل تحتاج فقط إلى قلب يقظ وعقل متفكر. انظر إلى نفسك، إلى أصلك من تراب، لتعرف قدرك فلا تتكبر. انظر إلى زوجك، إلى ما بينكما من مودة ورحمة، لتعرف نعمة الله فتشكره.

لقد أراد الله لك أن تكون مفكراً، لا مجرد ناقل أو مقلد. أراد لك أن تستخدم عقلك في الوصول إلى الإيمان، ليكون إيمانك راسخاً كالجبال. إن التفكير هو عبادة العقلاء، وهو رياضة الأرواح، وهو الطريق إلى اليقين.

فكن من {قَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}. تأمل في خلق الله في كل لحظة. تأمل في نفسك، في زوجك، في أبنائك، في الكون من حولك. وعندها ستجد أن كل شيء ينطق بلسان الحال: {وَمِنْ آيَاتِهِ}.

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۝ ١٨ *وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}

فليكن شعارك في هذه الحياة: "أتفكر، فأنا حي. أتفكر، فأنا أعبد الله على بصيرة. أتفكر، فأزداد إيماناً و يقيناً". جعلنا الله وإياكم من أولي الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ويقولون: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}. آمين

المبحث الثالث

أيها المتأمل في كتاب الكون المسطور، يا من فتح الله بصيرتك لترى في كل ذرة من ذرات الوجود آية ناطقة بعظمته، ها نحن نصل إلى آية تفتح لك آفاقاً جديدة من العلم والمعرفة. بعد أن تفكرنا في خلق الإنسان من تراب، وفي آية الأزواج والمودة والرحمة، ينتقل بنا الخطاب القرآني إلى آفاق أوسع وأعظم، إلى مملكة السماوات والأرض، وإلى أعماق النفس البشرية حيث تتنوع الألسن وتختلف الألوان.

إنها آية تجمع بين الدقة الكونية الفائقة والتنوع البشري العجيب. إنها آية ترد على كل من ظن أن الإسلام دين شعائر فقط، وتؤكد أن الإسلام دين العلم والبحث والتفتيش في أسرار الوجود. إنها الآية التي تجعل من العلماء هم أولى الناس بفهم آيات الله وتدبرها.

تعالَ معي، نعيش بكل جوارحنا مع قول الحق تبارك وتعالى:

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ} (الروم: 22)

أولاً: الدليل الكوني المبهر - دقة صنع السماوات والأرض

قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

انظر كيف يستقبلك النداء القرآني مرة أخرى بعنوانه المميز: {وَمِنْ آيَاتِهِ}. إنه يدق ناقوس اليقظة في

عقلك: "تفكر، فهذا دليل جديد من دلائل عظمتي". وبعد أن دعاك في الآيات السابقة إلى التفكير في نفسك (خلقك من تراب) وفي علاقاتك (الأزواج والمودة)، يدعوك الآن إلى الخروج من قوقعتك الذاتية ، لترفع رأسك إلى السماء، وتمتد ببصرك إلى الأرض.

. {خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}: هذا هو الكون كله! إنها ليست مجرد كلمات، بل هي دعوة للتأمل في هذا البناء الكوني المهيّب.

. السماوات: طباقٌ فوق طباق، بلا عمد تراها. فيها الكواكب والنجوم والمجرات التي تسير بنظام دقيق لا يختل. مسافات مهولة، وأبعاد يعجز العقل عن تصورها. كل نجم في مداره يسبح، لا يتجاوزه ولا يجيد عنه. من الذي أمسكها بغير عمد؟ من الذي نظم هذا كله؟ إنه الله.

. الأرض: مهدٌ وبساطٌ ومهاد. جبالها أوتاد تثبتتها، وبحارها وأنهارها ترويتها، ونباتها وحيوانها يعمرها. مسافة بعدها عن الشمس مضبوطة بدقة مذهلة لو تغيرت قليلاً لاحترقنا أو تجمدنا. غلافها الجوي يحميها من الشهب والنيازك. من الذي صمم هذا كله بهذه الدقة؟ إنه الله.

. اللمسة البيانية: لاحظ أن {خَلَقُ} هنا مصدر. والتعبير بالمصدر بدل الفعل "خلق" يعطي معنى الثبات والاستمرار. فخلق السماوات والأرض ليس مجرد حدث ماض وانتهى، بل هو نظام قائم دائم، يتجدد في كل لحظة، وتظهر آياته مع تقدم العلم واكتشاف أسرارها.

الرسالة العقلية والعلمية:

. الدعوة إلى البحث العلمي في الكون: هذه الآية تفتح الباب على مصراعيه لكل علوم الفلك و الجيولوجيا والفيزياء والكيمياء. إنها تقول لك: "ادرس السماوات والأرض، ففي دراستهما آيات على قدرة الله". ولهذا نجد أن علماء المسلمين الأوائل كانوا رواداً في هذه العلوم، لأنهم انطلقوا من هذا الأمر القرآني.

. تنمية العقل بالتفكير في النظام والدقة: عندما تدرس قوانين الجاذبية، وحركة الكواكب، ودورة الماء في الأرض، وتوازن الغلاف الجوي، فإن عقلك يزداد إيماناً بأن هذا الكون لم يأت صدفة، بل هو من صنع خالق حكيم عليم. هذه الدراسة تنمي العقل، وتجعله قادراً على رؤية النظام والجمال في كل شيء.

ثانياً: الدليل البشري العجيب - اختلاف الألسنة والألوان

قوله تعالى: {وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ}

بعد أن دعاك إلى التأمل في الكون الكبير (السماوات والأرض)، يعود بك إلى عالمك الصغير (البشر من حولك). إنها نقلة عجيبة من الماكرو إلى الميكرو، من الكون الفسيح إلى المجتمع الإنساني.

. {وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ}: أي اختلاف لغاتكم ولهجاتكم وأصواتكم. تأمل هذه الآية العجيبة! أصل البشر كلهم واحد، من أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء. ثم انظر إلى هذا التنوع الهائل في اللغات! العربية والعجمية والهندية والصينية... بل في اللغة الواحدة لهجات متعددة لا تكاد تحصى. حتى في البيت الواحد، صوت الأب يختلف عن صوت الأم عن صوت الأبناء. من الذي جعل هذا الاختلاف؟ إنه الله.

. {وَأَلْوَانِكُمْ}: أي اختلاف ألوان بشرتكم. الأبيض والأسود والأصفر والأحمر، وكل ما بين ذلك من درجات. مع أن الأصل واحد، والنطفة واحدة، والتراب الذي خلقنا منه واحد. من الذي صبغكم بهذه الألوان المختلفة؟ إنه الله. إنه يريد أن يقول لك: "انظر إلى قدرتي! من أصل واحد أخرجت هذا التنوع العجيب. فلا يفتخر أحد على أحد بلونه أو جنسه، فالكل من تراب، والكل من أب واحد وأم واحدة".

. اللمسة البيانية: لاحظ الترتيب: بدأ بـ {السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، ثم ثنى بـ {أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ}. الكون الأكبر أولاً، ثم الإنسان ثانياً. وكأنه يقول: "كما أن في خلق السماوات والأرض آيات، ففي أنفسكم وفي تنوعكم آيات أيضاً. بل إن آية اختلاف الألسنة والألوان قد تكون أقرب إلى أذهانكم لأنكم تعابسونها يومياً".

الرسالة الاجتماعية والإنسانية:

. دحض العنصرية والقبلية: هذه الآية تنسف كل أشكال العنصرية والتفاخر بالأنساب والألوان. فاختلاف الألوان والألسنة ليس مدعاة للتفاخر أو الاحتقار، بل هو آية من آيات الله. كما قال النبي ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". إنها دعوة إلى المساواة الإنسانية في أسمى صورها.

. الوحدة في إطار التنوع: الآية تجمع بين وحدة الأصل (خلقكم من تراب) وتنوع الصورة (اختلاف

لألسنة والألوان). وهذا يعلمنا أن التنوع سنة إلهية، وأن الاختلاف لا يفسد للود قضية، بل هو ثراء وإثراء. على المسلم أن يتعامل مع هذا التنوع باحترام وتقدير، وأن يرى في كل إنسان آية من آيات الله.

ثالثاً: "للعالمين" - تخصيص أهل العلم بإدراك هذه الآيات
قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ}

وهنا تأتي خاتمة الآية التي تكشف عن سر عظيم. لم يقل: "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" كما في الآية السابقة، ولا "لقوم يعقلون"، بل قال: {للعالمين}. وهذا له دلالة عميقة.

. {لآيات}: جمع آية. ففي خلق السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان آيات كثيرة جداً، وليس آية واحدة. كل كوكب آية، كل نجم آية، كل لغة آية، كل لون آية. وكلما تقدم العلم، اكتشف الإنسان آيات جديدة لم تكن معروفة من قبل.

. {للعالمين}: أي لأهل العلم والمعرفة. العلماء هم أكثر الناس قدرة على إدراك هذه الآيات وفهمها. لماذا؟ لأنهم هم الذين يدرسون السماوات والأرض، ويدرسون اللغات والألسنة، ويدرسون الوراثة والألوان. كلما تعمقوا في علمهم، رأوا الدقة المذهلة والنظام البديع، فتيقنوا أن وراء هذا الكون خالقاً حكيماً. أما الجاهل، فقد يمر على هذه الآيات مرور الكرام، لا يتأمل ولا يتدبر.

. اللمة البيانية: لاحظ أن كلمة {العالمين} تأتي بمعنى العلماء. فهي من العلم، لا من العوالم. فالعالم هو من لديه علم عميق بشيء ما. وتخصيصهم بالذكر هنا هو تكريم للعلماء، وحث على طلب العلم. إنه يقول: "يا أيها الناس، اطلبوا العلم، وكونوا من العالمين، لتروا آياتي في كل شيء، فيزداد إيمانكم ويقينكم".

الرسالة التربوية والعلمية:

. الإسلام دين العلم: هذه الآية ترد على من يظن أن الإسلام دين صلاة وصيام فقط. لا، بل الإسلام دين العلم والمعرفة. أول كلمة نزلت في القرآن هي {اقرأ}. والله تعالى هنا يخص العلماء بأنهم هم الذين يدركون آياته حق الإدراك. فطالب العلم، والباحث في مختبره، والفلكي في مرصده، واللغوي في مكتبته، كلهم في عبادة وتقرب إلى الله، إذا ما ابتغوا بذلك وجه الله.

. الدعوة إلى التخصص والبحث الدقيق: الآية تدعو إلى العلم العميق لا السطحي. فالآيات في السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان تحتاج إلى علماء متخصصين في الفلك والجيولوجيا واللغويات والوراثة. فالمسلم مطالب بأن يتخصص، وأن يبحث، وأن يفتش في أسرار الكون، ليكون من {العالمين} الذين يفهمون آيات الله.

المفاهيم المركزية: كيف نعيش هذه الآية في حياتنا العملية؟

لنحول هذه الآية إلى منهج حياة يغير نظرتنا للعلم والتعلم، وللناس من حولنا.

١. مفهوم "العلم عبادة" - التكامل بين الشرع والكون

الآية تربط بين الإيمان والعلم الكوني. فدراسة السماوات والأرض ليست فقط لتطوير التكنولوجيا، بل هي عبادة وطريق لزيادة الإيمان.

. كيف تطبقه؟

. عندما تتعلم شيئاً في الفيزياء أو الفلك أو الأحياء، لا تجعل نيتك فقط النجاح في الامتحان. بل قل: "أنا أتعلم هذا لأرى آيات الله في خلقه، فيزداد إيماني". هذا يغير من جودة تعلمك ومن روحانيتك.

٢. مفهوم "التنوع آية" - التعامل مع الاختلاف بحكمة

اختلاف الألسنة والألوان ليس مشكلة، بل هو آية من آيات الله. هذا المفهوم يجعلك تنظر للآخرين المختلفين عنك باحترام وإعجاب، لا بعنصرية وكرهية.

. كيف تطبقه؟

. عندما تتعامل مع شخص من جنسية أو لون مختلف، تذكر هذه الآية. قل في نفسك: "هذا التنوع من آيات الله. سبحان من جعلنا شعوباً وقبائل لتتعارف". هذا الشعور يزيل الحواجز النفسية، ويبني جسور المحبة.

٣. مفهوم "العالم مسؤول" - واجب العلماء تجاه المجتمع

إذا كان العلماء هم أولى الناس بفهم آيات الله، فإنهم مسؤولون عن توجيه المجتمع نحو الحق، وعن استخدام علمهم في الخير لا في الشر.

. كيف تطبيقه؟

. إذا كنت طالب علم أو باحثًا، اشعر بمسؤوليتك. علمك ليس حيادًا، بل هو أمانة. استخدمه فيما ينفع البشرية، وكن داعيًا إلى الله من خلال تخصصك. فالعالم الحقيقي هو من يزداد بعلمه خشية لله. *الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على حب العلم الكوني والتأمل؟

لنزرع في أبنائنا حب الاستكشاف والبحث، واحترام التنوع البشري، من خلال هذه الآية الكريمة.

1. تربية الطفل على التأمل في السماء: في الليل، اصطحب ابنك إلى مكان مظلم بعيدًا عن أضواء المدينة. دعه ينظر إلى النجوم المتلألئة. اقرأ عليه الآية: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}. قل له: "انظر إلى هذه النجوم! إنها تبعد عنا ملايين السنين الضوئية. من الذي خلقها ونظمها بهذا الجمال؟ إنه الله. والعلماء يدرسونها ليعرفوا عظمة الله". هذا المشهد يبني في نفسه الدهشة الإيمانية.

2. تعليمه احترام التنوع: عندما يرى طفلك شخصًا يتحدث لغة أجنبية أو له لون بشرة مختلف، لا تدعه يسخر أو يتعجب بطريقة سلبية. بل قل له: "أتعلم يا حبيبي؟ هذا من آيات الله: {وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ}. الله خلقنا مختلفين لنعرف بعضنا، لا لتكبر على بعض. كلنا من آدم، وآدم من تراب". هذا يبني لديه شخصية منفتحة متسامحة.

3. تشجيعه على البحث والتجربة: قدم لابنك ألعابًا علمية، أو اصطحبه إلى متاحف العلوم. عندما يبني برجًا صغيرًا من المكعبات ويسقط، قل له: "انظر كيف تسقط الأشياء. هذه هي الجاذبية التي اكتشفها العلماء. إنها من سنن الله في الكون. والله يدعونا في القرآن أن نتعلم هذه السنن". هذا يجعله يرى أن طلب العلم هو امتثال لأمر الله. أبعاد الآية في البناء والتنمية الحضارية

هذه الآية تؤسس لحضارة العلم والمعرفة، التي لا تنفصل فيها الروح عن المادة.

. البعد الحضاري (النهضة العلمية): الآية تدفع نحو الاستكشاف العلمي لكل ما في السماوات والأرض. الحضارة الإسلامية قامت على هذا المبدأ، فأبدع علماءها في الفلك والطب والجغرافيا واللغويات. ونهضتنا اليوم لن تقوم إلا بالعودة إلى هذا المنهج: طلب العلم الكوني باعتباره عبادة وقرينة.

. البعد الاجتماعي (التعايش السلمي): الإيمان بأن اختلاف الألسنة والألوان هو آية إلهية يؤسس لمجتمع متعدد الثقافات متعايش بسلام. الحضارة الإسلامية في الأندلس وغيرها كانت نموذجًا رائعًا للتعايش بين المسلمين والمسيحيين واليهود، لأنهم رأوا في هذا التنوع سنة كونية.

. البعد الأخلاقي (التواضع العلمي): تخصيص الآية بـ {لِلْعَالَمِينَ} يغرّس في العلماء التواضع، لأنهم كلما ازدادوا علمًا، ازدادوا معرفة بعظمة الخالق، وازدادوا يقينًا بأن ما لا يعلمونه أكثر مما يعلمونه. وهذا التواضع هو أساس التقدم العلمي، لأن المتكبر لا يتعلم.

. البعد الاقتصادي (اقتصاد المعرفة): الآية تحث على الاستفادة من موارد الأرض وتسخيرها. فدراسة الأرض وطبقاتها ومعادنها ومائها، هو جزء من فهم {خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}. هذا يؤدي إلى تنمية اقتصادية مستدامة قائمة على العلم.

وقفات عملية: لنعش العلم والتأمل في كل شيء

لنجعل هذه الآية برنامجًا يوميًا في حياتنا:

. وقفة مع دراسة أو عمل: عندما تدرس مادة علمية أو تعمل في مجال تقني، استحضرنية التفكير في خلق الله. قل: "اللهم أرني آياتك في هذا العلم". هذا يحول دراستك وعملك إلى عبادة دائمة.

. وقفة مع التنوع حولك: في المواصلات العامة، في السوق، في مكان العمل، انظر إلى وجوه الناس من حولك. تأمل اختلاف ألوانهم وأشكالهم ولهجاتهم. سبح الله في قلبك: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا}. هذا يمنحك سلامًا داخليًا مع كل البشر.

. وقفة مع الأخبار العلمية: عندما تقرأ خبرًا عن اكتشاف كوكب جديد، أو مجرة بعيدة، أو لغز في علم الوراثة، لا تمر عليه مرور الكرام. تذكر أن هذا الكشف هو آية من آيات الله يظهرها للعالمين. احمد الله أن جعلك تعيش زمنًا تدرك فيه شيئًا من هذه الآيات.

. وقفة مع تعلم لغة جديدة: إذا كنت تتعلم لغة أجنبية، تذكر أن هذا من {إِخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ}. تعلم اللغة ليس فقط للتواصل، بل هو تأمل في آية من آيات الله في التنوع البشري. اشكر الله على هذه

النعمة. الخاتمة: دعوة إلى مملكة العلم والمعرفة

يا من خلقك الله في أحسن تقويم، وزودك بالعقل والسمع والبصر، لقد دعاك الله في هذه الآية الكريمة أن تكون من {العالمين}. دعاك أن ترفع رأسك إلى السماء، وتنظر في الأرض، وتتأمل في نفسك وفي الناس من حولك. كل ما تراه هو آية تدلك عليه.

لا تكن ممن يمرون على آيات الله وهم عنها غافلون. كن من العلماء، أو من طلاب العلم، أو من محبي العلماء. اطلب العلم النافع، وابحث في أسرار الكون، وادرس الظواهر الطبيعية، وتعلم اللغات و الثقافات. واجعل من كل ذلك قربي إلى الله.

فالإسلام ليس دينًا مقصورًا على المسجد والمحراب فقط، بل هو دين الحياة كلها. إنه يدعوك إلى أن تكون مصليًا في الليل، وعالمًا في النهار. أن تكون قارئًا للقرآن، وباحثًا في الأكوان.

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ}

فليكن شعارك: "ربي زدني علمًا، واجعلني من العالمين الذين يرون آياتك في كل شيء، فيزدادون لك خشية وحبًا وشكرًا". جعلنا الله وإياكم من أولي العلم النافع، والعمل الصالح، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. آمين..

المبحث الرابع

أيها الساعي إلى نور اليقين، أيها الباحث عن مفاتيح التدبر والتفكير، فإني أبشرك بأننا نقف اليوم على آية من آيات الله الباهرة، آية تجمع بين مشهدين يوميين نعيشهما جميعًا: النوم في سكون الليل، والابتغاء من فضل الله في حركة النهار. لكن هذه الآية لا تكتفي بعرض المشهدين فحسب، بل تفتح لك بابًا عميقًا لفهم كيفية الانتفاع بآيات الله، وتكشف لك سرًا عظيمًا في العلاقة بين الآيات المرئية في الكون والآيات المسموعة في الوحي.

إنها الآية التي تضع أمامك قانون الانتفاع بالهداية: إن إدراك آيات الله في الكون ليس مجرد نظر بـ العين، بل هو سمع بالقلب واستجابة بالجوارح. ومن هنا يأتي التركيز على ختامها العجيب: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}.

فلنعش معًا قوله تعالى:

{وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} (الروم: 23)

أولًا: المشهد اليومي المألوف - آية النوم والابتغاء

قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ}

بعد أن دعانا الله إلى التأمل في خلق السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان، يعود بنا مرة أخرى إلى أنفسنا وإلى حياتنا اليومية المعتادة. إنه ينتقل بنا من آية الخلق العظيم (السماوات والأرض) إلى آية التدبير الحكيم (النوم واليقظة، الحركة والسكون). وهذا المنهج القرآني في التنقل بين المشاهد الكونية الكبرى والمشاهد الذاتية الصغرى، له أثر بالغ في إيقاظ القلب وتبنيه إلى أن آيات الله محيطة بنا من كل جانب.

{مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}: تأمل في هذه النعمة العظيمة التي لا تكاد تفارقك! النوم. إنه آية من آيات الله، ومعجزة تتجدد كل يوم.

. في الليل: جعل الله الليل لباسًا وسكنًا. فإذا جاء الليل، ألقى الله عليكم النعاس، فإذا أنتم نائمون، قد تعطلت حواسكم عن العمل، وانقطعت عنكم مشاغل الدنيا، لترتاح أبدانكم، وتستريح أرواحكم. إنها مودة صغرى، يقبض الله فيها أرواحكم ثم يردها إليكم عند اليقظة. من الذي يملك هذا؟ من الذي يلقي عليكم النوم فتنامون رغما عنكم؟ إنه الله.

. وفي النهار: قد ينام الإنسان في النهار (أيضًا) القيلولة، وهي نعمة أخرى تجدد النشاط. فالنام ليس حكرًا على الليل، بل هو آية مستمرة. والقرآن يجمع بينهما: {مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} ليبين أن هذه الظاهرة العجيبة ملازمة لكم في كل وقت.

{وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ}: وهذا هو الوجه الآخر للآية. بعد أن تناموا وتستريحوا، تصحون من نومكم تبتغون من فضل الله. أي تخرجون في الأرض، تبحثون عن الرزق، تعملون وتكدحون، تسافرون وتتاجرون. هذا اليقظة والنشاط والحركة، هو آية مقابلة لآية النوم والسكون. إنهما ضدان، والله هو

الذي يصرفهما بحكمته. هو الذي أماتكم بالنوم، ثم أحياهم باليقظة لتبتغوا من فضله.
· اللمة البيانية: لاحظ الجمع بين {مَمَاتِكُمْ} و{ابْتِغَاؤُكُمْ}. {الأول سكون وراحة، والثاني حركة وعمل}.
وبينهما التوازن العجيب الذي يحفظ للإنسان صحته الجسدية والنفسية. فالنوم ليس ضياعاً للوقت، بل هو عبادة وتجديد للطاقة من أجل الابتغاء من فضل الله. وهكذا تتحول حياتك كلها، في يقظتها ومنامها، إلى آية ناطقة بقدرة الله وتدييره.

الرسالة العقلية والنفسية:

· التذكير بنعمة النوم: كثير من الناس لا يلتفت إلى نعمة النوم إلا إذا فقدوها) بسبب الأرق. (الآية توقظك لتتأمل في هذه النعمة اليومية، فتشكر الله عليها. إنها دعوة إلى الوعي بالنعمة التي تحيط بك.
· الربط بين النوم والموت والبعث: النوم موت صغرى، واليقظة بعث صغرى. وهذا يذكرك بالبعث الأكبر الذي يميتك كل ليلة ثم يحييك، قادر على أن يميتك الموتة الكبرى ثم يبعثك يوم القيامة. وهكذا تصبح حياتك اليومية تذكرة دائمة بالآخرة.
ثانياً: سر الختام - لماذا "لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ"؟

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}

هنا مربط الفرس، وبيت القصيد في الآية كلها. في الآيات السابقة التي تحدثت عن آيات كونية، اختلف الختام:

· في آية الأزواج والمودة: {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.
· في آية السماوات والأرض والألسنة والألوان: {لِّلْعَالَمِينَ}.
· أما هنا، في آية النوم والابتغاء، جاء الختام: {لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}.

فما سر تخصيص هذه الآية بـ "يسمعون" دون غيرها من صفات العقل؟

السمع هنا ليس مجرد حاسة الأذن.

السمع المذكور في الآية ليس مجرد الإدراك الصوتي الذي تلتقطه الأذن. فالكثير من الناس يسمعون بأذانهم، ولكنهم لا ينتفعون بما يسمعون. قال تعالى عن الكفار: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا نَعَاءً وَتَدَاءً}. فالسمع الحقيقي المطلوب هو سمع القلب، أي الاستجابة والتدبر والانتفاع.

· السمع في القرآن له معنيان:

1. سمع الإدراك: وهو التقاط الصوت بالأذن. هذا السمع يشترك فيه المؤمن والكافر، والبر والفاجر.
2. سمع الاستجابة والقبول: وهو أن يسمع الإنسان الآيات بقلبه، فيفهمها، ويتأثر بها، ويمثل ما فيها من أوامر، ويجتنب ما فيها من نواه. وهذا هو سمع المؤمنين. قال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ}. {وقال:} وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

فالآية هنا تقول: "إن في ذلك لآيات لقوم يستمعون استماع تدبر وانتفاع، لا لقوم يسمعون بأذانهم فقط وقلوبهم غافلة".

٢. لماذا ربط النوم والابتغاء بـ "السمع" تحديداً؟

هذا هو السؤال المحوري. والجواب عليه يكشف عن منهج قرآني عظيم في الهداية والإقناع.

لقد ذكر الله في هذه الآية مشهدين: النوم والابتغاء. وهذان المشهدان هما آيات كونية مرئية، يراها كل إنسان، مؤمناً كان أو كافراً. فكل الناس ينامون ويصحون، ويبتغون الرزق.

ولكن! هل مجرد رؤية هذه الآيات يكفي للإيمان؟
الجواب: لا. فالكفار يرون هذه الآيات بأعينهم كل يوم، ولكنهم لم يؤمنوا. لماذا؟ لأنهم لم يسمعوا كلام الله الذي يفسر لهم هذه الآيات. لقد نظروا إليها بأعينهم، ولكنهم لم يتلقوها بقلوبهم من خلال الوحي المسموع.

وهنا تظهر الحقيقة العظيمة:

الآيات الكونية المرئية وحدها لا تكفي للهداية ما لم تقترن بالآيات المسموعة (الوحي) وتثقل بسمع القلب.

فالله تعالى يعرف الناس بنفسه عن طريقين متلازمين لا ينفكان:

1. آياته المرئية في الكون: وهي كتاب الكون المنظور (الشمس، القمر، الليل، النهار، النوم، الرزق... إلخ).
2. آياته المسموعة في الوحي: وهي كتاب القرآن المسطور، الذي أنزله على رسله، وفيه يفسر لهم تلك الآيات المرئية ويدلهم على الخالق من خلالها.

فالإنسان إذا نظر إلى الليل والنهار والنوم والابتغاء بعينه فقط، قد لا يهتدي، بل قد ينسبها إلى الطبيعة أو الصدفة. ولكن إذا سمع قول الله: {وَمِنْ آيَاتِهِ مَتَامُكُمْ}، فعندها ينتقل من مجرد النظر الحسي إلى البصيرة الإيمانية. فعندما يسمع القرآن يخبره أن هذا النوم آية من آيات الله، يستجيب قلبه، ويقول: "صدق الله! هذا حقاً آية!".

ولهذا قال سبحانه: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}، أي أن الذين ينتفعون بهذه الآيات المرئية هم الذين يسمعون كلام الله الذي يفسرها لهم، فيقبلون عليه بقلوبهم.

3. العلاقة التكاملية بين الآيات المرئية والمسموعة

لفهم هذه العلاقة، تأمل هذا المثال:

- رجلان يقفان أمام لوحة فنية رائعة. أحدهما يعرف اسم الرسام وأسلوبه وتاريخه، والآخر لا يعرف شيئاً عن الرسام.
- الأول: عندما ينظر إلى اللوحة، يرى فيها عبقرية الرسام، ويتذكر كل ما يعرفه عنه، فيزداد تقديراً له.
- الثاني: ينظر إليها كمجرد ألوان وأشكال جميلة، وقد لا يلتفت إليها أصلاً.

كذلك حال الناس مع آيات الله في الكون:

- المؤمن: يرى الليل والنهار والنوم والرزق، وقد سمع قول الله فيها في القرآن، فهو يرى فيها يد الله وقدرته وحكمته، فيمتلئ قلبه إيماناً وخشية.
- الكافر: يرى نفس المشاهد، ولكنه لم يسمع كلام الله، فيظنها ظواهر طبيعية أو صدفة، فلا ينتفع بها.

ولذلك، فإن الاستعداد لسماع آيات الله المسموعة (القرآن) هو الشرط الأساسي للانتفاع بالآيات الكونية المرئية. ولهذا ختمت الآية بـ {لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}، لأنهم هم الذين فتحوا قلوبهم للوحي، فانتفعوا بكل ما يرون.

الرسالة التربوية والعقدية:

- أهمية الجمع بين العلم الكوني والعلم الشرعي: هذه الآية تربي فيك أن تكون عالماً بالكون وعبداً بالوحي. فلا يكفي أن تدرس الظواهر الكونية كمجرد علوم مادية، بل يجب أن تسمع قول الله فيها، لتربط العلم بالإيمان. العالم الذي يدرس الفيزياء أو الفلك أو الأحياء دون أن يسمع كلام الله، قد يضل ويظن أن الكون خلق نفسه. أما العالم المؤمن الذي يسمع القرآن، فيرى في كل ذرة آية على الخالق.

· سمع الاستجابة هو مفتاح الهداية: كثير من الناس يسمعون القرآن بأذانهم، لكنهم لا ينتفعون به لأن قلوبهم غير مستعدة. الآية تدعوك إلى سماع القلب، سمع الاستجابة والتدبر. فعندما تقرأ القرآن، لا تقرأه بلسانك فقط، بل أنصت بقلبك، وتفكر في معانيه، واستجب لأوامره. هذا هو السمع الذي ينفكك. كيف تعيش هذه الآية في حياتك العملية؟

لنجعل هذه الآية منهجاً للجمع بين مشاهدة الكون وسماع الوحي.

11. جعل مشاهداتك اليومية عبادة بالسمع

عندما تنظر إلى الليل، تذكر أن الله قال فيه: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا}. وعندما تنظر إلى النهار، تذكر أنه ق

ال: {وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}. وعندما تخذ إلى النوم، تذكر أن هذا النوم هو {مَتَامُكُمْ} آية من آيات الله، فقل: "باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه". هذا الربط بين ما تراه عينك وما سمعته أذنك من القرآن، يحول حياتك كلها إلى عبادة مستمرة.

٢. طوّر سمعك للقرآن

خصص وقتًا يوميًا لسماع القرآن بقلبك لا بأذنك فقط. أغلق المشتتات، واستمع إلى التلاوة وكأنك تسمعها لأول مرة. تفكر في معانيها، وتذكر أن هذه الآيات المسموعة هي التي تنير لك طريق فهم الآيات المرئية في الكون.

٣. كن داعمًا إلى الله بالآيتين

إذا أردت أن تدعو إنسانًا إلى الله، فاجمع له بين عرض الآيات الكونية (التي يراها) وتلاوة الآيات المسموعة (التي تفسرها). قل له: "ألا ترى كيف تنام ثم تصحو؟ ألا ترى تعاقب الليل والنهار؟ هذا كله من آيات الله، كما قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ مَتَامُكُمْ}. هذا الأسلوب يجمع بين الدليل الحسي والدليل السمعي، فيكون أقوى في الإقناع. *الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على "السمع"؟

علم أبناءك أن يكونوا سامعين لآيات الله، لا مجرد ناظرين إليها.

1. وقبل النوم: عندما تضع ابنك في فراشه، قل له: "هيا بنا نطبق آية اليوم! الله يقول: {وَمِنْ آيَاتِهِ مَتَامُكُمْ بِاللَّيْلِ}. نحن الآن ننام، وهذه آية من آيات الله. فلنشكره على هذه النعمة". هذا يربط الطفل بالقرآن ويريه أن الآيات تعيش معه في كل لحظة.
2. في الصباح: عندما يستيقظ، قل له: "انظر، الله رد إلينا أرواحنا بعد الموتة الصغرى. هيا نبتغي من فضل الله في هذا النهار. هذه آية أخرى!". هذا يجعله يستشعر أن حياته كلها آيات متتالية.
3. اسمعهم القرآن بصوت جميل: شغل القرآن في البيت بصوت هادئ. اجعل أذن طفلك تتعود على سماع كلام الله. هذا السمع المبكر هو الذي يبني في قلبه الاستعداد للاستجابة عندما يكبر. الخاتمة: كن من القوم الذين يسمعون

يا أيها الإنسان، لقد جعل الله لك في كل لحظة من لحظات حياتك آية. في نومك آية، وفي يقظتك آية، في ليلك آية، وفي نهارك آية. ولكن هذه الآيات المرئية لن تنفعك شيئًا إن كنت لا تسمع كلام الله الذي يفسرها ويدلك على ربك من خلالها.

إن السمع الحقيقي هو طريق الهداية. فمن فتح أذن قلبه لآيات الله المسموعة، انفتحت بصيرته لآياته المرئية، فصار الكون كله عنده كتابًا مفتوحًا يقرأ فيه عظمة الخالق.

فكن من {قَوْمٍ يَسْمَعُونَ}. استمع إلى القرآن بقلبك، وتدبر آياته، واستجب لنداءاته. عندها فقط، ستتحول حياتك كلها إلى رحلة إيمانية، ترى فيها آيات الله أينما توجهت.

{وَمِنْ آيَاتِهِ مَتَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم افتح مسامع قلبي لآياتك المسموعة، ونور بصيرتي بآياتك المرئية، واجعلني من القوم الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه". جعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب. آمين

المبحث الخامس

أيها المتأمل في كتاب الكون المسطور، يا من تبحث في ظواهر الطبيعة عن يد الخالق المدبر، ها نحن نصل إلى آية كريمة تجمع بين المشهد المخيف والمشهد المبهج، بين الوميض الخاطف الذي يملأ القلوب رهبة، والغيث النازل الذي يملأ النفوس رجاءً وطمعًا. إنها آية تريك كيف يصرف الله الآيات، وكيف يقلب الأحوال، ليكون ذلك تذكرة لأولي الألباب.

لقد رأينا في الآيات السابقة كيف دعانا الله إلى التفكير في الأنفس والآفاق، وكيف خص كل آية بخاتمة تناسبها: فتارة يخاطب الذاكرين، وتارة المتفكرين، وتارة العالمين، وتارة السامعين. أما في هذه الآية، فسيخاطب فئة أخرى، هم أهل العقول، الذين يربطون الأسباب بالمسببات، ويدركون الحكمة من وراء الظواهر.

تعالَ نعيش معًا قوله تعالى:

{وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (الروم: 24)
أولًا: البرق - مشهد الخوف والطمع في ومضة واحدة

قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا}

انظر كيف يستقبلك النداء القرآني مرة أخرى: {وَمِنْ آيَاتِهِ}. إنه العنوان المميز الذي يوقظ فيك الانتباه: "تفكر، فهذا دليل جديد من دلائل قدرة الله". وبعد أن دعاك إلى التأمل في النوم واليقظة، ينتقل بك إلى مشهد كوني مهيب، مشهد يملأ القلوب دهشة وهيبة.

. {يُرِيكُمْ الْبَرْقَ}: البرق هو ذلك الضوء الخاطف الذي يلمع في السماء فجأة، يشق الظلام، ثم يختفي في لحظة. إنه ليس مجرد ظاهرة طبيعية عابرة، بل هو آية من آيات الله يريك إياها لتعقل وتتدبر. "يريككم" فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار. فالله لا يزال يري عباده البرق في كل زمان ومكان، ليذكرهم بقدرته.

. {خَوْفًا وَطَمَعًا}: هذا هو بيت القصيد في الآية. إنها حالتان نفسيتان متضادتان تجتمعان في قلب الإنسان عند رؤية البرق:

. خوفًا: يخاف المسافر من الصواعق والهلاك. يخاف الفلاح على زرعه من البرد والرياح العاتية. يخاف العاصي من أن يكون هذا البرق نذير عذاب كما أهلك الله به أقوامًا من قبل.

. طمَعًا: يطمع المسافر وكل من ينتظر الغيث في أن يكون هذا البرق بشير خير، وأن يعقبه مطر ينعش الأرض ويسقي الزرع ويملأ الآبار.

. اللمة البيانية: لاحظ دقة التعبير: {خَوْفًا وَطَمَعًا}. لقد نصبهما على أنهما مفعول لأجله، أي أن الله يريك البرق لأجل أن تخافوا وتطمعوا! إنها تربية إلهية للنفس البشرية. الله يريد منك أن تعيش بين الخوف والرجاء. الخوف من عقابه، والطمع في رحمته. وهاتان الحالتان هما جناحا العبادة اللذان يطير بهما المؤمن إلى الله. كما قال تعالى في وصف الأنبياء: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}.

الرسالة النفسية والعقدية:

. التوازن بين الخوف والرجاء: هذه الآية تصحح عقيدتك. فلا تكن من الذين آمنوا مكر الله فقط، ولا من الذين قنطوا من رحمته فقط. كن بين الخوف والطمع. انظر إلى البرق: كيف يجمع بين النور والظلمة، بين الخوف والرجاء. فلتكن حياتك هكذا: خائفًا من ذنوبك، طامعًا في عفو ربك.

. ظواهر الكون مدرسة للتربية النفسية: البرق ليس مجرد شرارة كهربائية. إنه درس إلهي في الخوف والرجاء. فإذا رأيت البرق، فلا تكن كالغافلين الذين يمرون عليه مرور الكرام. تفكر في معناه الإيماني، واستجب لنداء الله في نفسك.

ثانيًا: المطر - آية الإحياء بعد الموت

قوله تعالى: {وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}

بعد مشهد البرق الخاطف، يأتي مشهد المطر النازل، وهو النتيجة التي يطمع فيها الطامعون.

. {وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}: انظر إلى دقة التعبير: {يُنزِلُ} بصيغة المضارع للدلالة على التجدد. فالله لا يزال ينزل الماء من السماء. و"من السماء" تدل على علو المنزل. إنه الماء الذي يهبط من السحاب المسخر بين السماء والأرض، بقدر معلوم، في أوقات محددة، وفق نظام دقيق لا يختل. من الذي دبر هذا كله؟ إنه الله.

. {فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}: هذه هي الغاية العظمى من إنزال الماء. انظر إلى الأرض قبل المطر: هامدة، يابسة، ميتة، لا نبات فيها ولا خضرة. فإذا نزل عليها الماء، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. لقد تحولت من صفراء قاحلة إلى خضراء يانعة. من الذي أخرج هذا الحي من هذا الميت؟ إنه الله.

. اللمة البيانية: لاحظ الترتيب: {يُرِيكُمْ الْبَرْقَ} ثم {وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}. البرق بشير، والمطر هو المبشّر به. وهذا الترتيب يذكرك بأن بعد كل خوف يأتي الطمع، وبعد كل شدة يأتي الفرح. إنها سنة الله في الكون وفي الحياة.

الرسالة العقلية والعلمية:

. دورة الماء في القرآن: هذه الآية تشير إلى دورة الماء في الطبيعة: تبخر، ثم تكاثف، ثم نزول مطر، ثم إحياء للأرض. هذا الوصف الدقيق يدعو العلماء للبحث في كيفية حدوث ذلك، ليزدادوا إيمانًا بأن وراء هذا النظام الدقيق خالقًا حكيمًا.

. البرهان على البعث: إحياء الأرض بعد موتها هو أعظم دليل مادي على البعث. أنت تراه كل عام، بل كل فصل. فكيف تنكر قدرة الله على إحيائك بعد موتك؟ إن الذي أحيا الأرض بعد موتها، قادر على أن يحيي العظام وهي رميم.
ثالثًا: ختام العقل - لماذا "لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"؟

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}

وهنا يأتي الختام الفريد الذي يناسب الآية تمامًا. بعد أن ذكر البرق وما فيه من خوف وطمع، والمطر وما فيه من إحياء، قال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}. ولم يقل: "لقوم يسمعون" ولا "لقوم يتفكرون" ولا "للعالمين". فما سر تخصيص العقل هنا؟

١.العقل هو أداة الربط بين الأسباب والمسببات

البرق والمطر ليسا مجرد مشاهد ترى أو تسمع، بل هما ظواهر مترابطة برباط السببية. فالبرق يسبق المطر غالبًا، وهو علامة عليه. والمطر هو سبب إحياء الأرض. والذي يدرك هذا الربط السببي، ويفهم أن هذه الظواهر ليست عشوائية بل هي بتدبير حكيم، هو العقل. فالجاهل يرى برقًا ومطرًا، ولا يربط بينهما ولا يهتدي إلى المدبر. أما العاقل فيستخدم عقله ليرى في هذه الظواهر نظامًا وتدبيرًا وحكمة، فيهتدي إلى الخالق.

٢.العقل هو الذي يدرك الجمع بين الخوف والطمع

اجتماع الخوف والطمع في مشهد واحد (البرق) هو أمر يحتاج إلى عقل ليفهمه. فالجاهل قد يخاف فقط، أو يطمع فقط. أما العاقل فيجمع بينهما، فيخاف من عقاب الله، ويطمع في رحمته، ويتعامل مع ظواهر الكون على أنها رسائل إلهية. فهو يعلم أن هذا البرق قد يكون نذيرًا أو بشيرًا، فيستعد للاحتمايين.

٣.العقل هو الذي ينقل من المشاهدة إلى الاستدلال

مشاهدة البرق والمطر وإحياء الأرض بالعين لا تكفي للإيمان. فالكفار رأوا ذلك بأعينهم ولم يؤمنوا. إنما الإيمان يحتاج إلى عقل ينظر إلى هذه الظواهر نظرة تحليلية، فيستدل بها على الخالق. العقل هو الأداة التي تحول المشاهدة الحسية إلى بصيرة إيمانية. ولهذا قال تعالى: {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي للذين يستخدمون عقولهم في التأمل والاستدلال.
الرسالة التربوية والعلمية:

. الحث على استخدام العقل في فهم الظواهر الطبيعية: الآية تدعو إلى العلم التجريبي المقرون بالعقل. فلا يكفي أن تدرس ظاهرة البرق من الناحية الفيزيائية فقط (كيف يحدث؟)، بل يجب أن تستخدم عقلك لتفهم لماذا خلقه الله؟ وما الحكمة منه؟ هذا هو العلم النافع.
. العقل أمانة ومسؤولية: ختم الآية بـ {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} يذكر بأن عقلك هو أغلى ما تملك، وهو مناط التكليف. فاستخدمه فيما خلق له: لتعرف الله، ولتعمر الأرض، ولتفرق بين الحق والباطل.
* المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

لنحول هذه الآية إلى منهج عقلي وإيماني في حياتنا اليومية.

١.مفهوم "الخوف والطمع" - التوازن النفسي والروحي

الآية تغرس فيك التوازن بين الخوف والرجاء. هذا المفهوم هو سر الصحة النفسية في الإسلام.

. كيف تطبقه؟

. عندما تعمل صالحًا، لا تأمن مكر الله، بل خف أن لا يُتقبل منك. وعندما تذنّب، لا تقنط من رحمة الله، بل تب إليه واطمع في عفوه. هذا التوازن يجعلك عابدًا خاشعًا لا متكبرًا ولا يائسًا.

٢. مفهوم "السببية الكونية" - ربط المقدمات بالنتائج

الآية تعلمك أن الكون يسير وفق سنن وقوانين. البرق بشير المطر، والمطر سبب الإحياء. هذا يدفعك إلى الأخذ بالأسباب في كل أمور حياتك.

. كيف تطبقه؟

. إذا أردت النجاح، فلا تنتظر المعجزة. اعمل واجتهد (المقدمات)، ثم ثق بأن الله سيؤتيك النتيجة (من فضله). الأخذ بالأسباب هو العقلانية التي يدعو إليها الإسلام.

٣. مفهوم "العقل أداة الإيمان" - التفكير الواعي

الآية تخاطب {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، أي أن الإيمان الحقيقي مبني على العقل والتدبر. لست مطالبًا بأن تؤمن بما لا تفهمه، بل أن تستخدم عقلك لفهم آيات الله.

. كيف تطبقه؟

. لا تكن مسلمًا بالوراثة فقط. اقرأ، ابحث، اسأل، تفكر. اجعل إيمانك إيمانًا عن دليل وبرهان. هذا هو الإيمان الذي يثبت عند الشبهات والفتن.
*الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على "العقل"؟

نريد أن نخرج جيلًا يعقل، لا جيلًا يلقن.

1. علمهم ربط الظواهر بالخالق: عندما ترى مع طفلك برقًا أو مطرًا، لا تقل فقط: "انظر ما أجمل هذا!". بل قل: "انظر يا حبيبي! الله هو الذي يريكم البرق. لماذا يرينا إياه؟ لكي نخاف من عقابه ونطمع في رحمته. وهل رأيت كيف نزل المطر؟ هذا هو فضل الله. هل عرفت الآن لماذا نحبه ونعبده؟". هذا يبني لديه عقلًا موحّدًا.

2. شجعهم على السؤال والبحث: إذا سألك طفلك: "كيف يحدث البرق؟"، لا تقل: "لا أعرف" وتصرفه. بل ابحث معه عن الإجابة العلمية المبسطة. ثم قل له: "هذا ما اكتشفه العلماء من سنن الله في الكون. ولكن السؤال الأهم: لماذا خلقه الله؟ هنا يأتي دور العقل ليفهم الحكمة". هذا يفتح عقله على التفكير في الغايات لا في الآليات فقط.

3. كن نموذجًا للعقل: ابنك يراقبك. إذا كنت أنت تستخدم عقلك في حل المشكلات، وفي التفكير في خلق الله، وفي التمييز بين الغث والسمين، فسيتعلم منك ذلك تلقائيًا.
*أبعاد الآية في البناء والتنمية الحضارية

هذه الآية تؤسس لحضارة عقلانية تقوم على العلم والعمل.

. البعد العلمي (نشأة العلوم التجريبية): الآية تدعو إلى مراقبة الظواهر الطبيعية (البرق، المطر) ودراستها. هذا هو أساس المنهج العلمي التجريبي. الحضارة الإسلامية أبدعت في علوم الفلك والأرصاد والزراعة والري، لأنها استجابت لهذه الدعوة القرآنية.

. البعد الاقتصادي (التخطيط والتنمية): ربط المطر بإحياء الأرض يوجه إلى أهمية الزراعة وتنمية الموارد المائية. المجتمع الذي يعقل هذه الآية يخطط لاستثمار مياه الأمطار، ويبني السدود، ويحافظ على البيئة. أما المجتمع الغافل فيضيع هذه النعمة.

. البعد النفسي والاجتماعي (الأمن المجتمعي): مجتمع يربي أفرادَه على الخوف والطمع (أي على مراقبة الله في السر والعلن) هو مجتمع آمن، يقل فيه الفساد والجريمة. الناس تخاف من الله، وتطمع في ثوابه، فلا يظلم أحد أحدًا.

. البعد الفكري (تحرير العقل من الخرافة): ربط الظواهر الطبيعية بالله وحده يحرر العقل من الخرافات والأساطير. فليس البرق غضب إله الطبيعة، وليس المطر هبة إله المطر. الكل بيد الله الواحد القهار. وهذا التحرر الفكري هو أساس النهضة العلمية.

**وقفات عملية: لنعش العقل والتفكير في كل لحظة

لنجعل هذه الآية برنامجًا عمليًا يوميًا:

. وقفة مع البرق: إذا رأيت برقًا، تذكر الآية. قل: {سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ}. واستشعر الخوف من عقاب الله، والطمع في رحمته. وادع: "اللهم اجعله رحمة ولا تجعله عذابًا".

. وقفة مع المطر: عند نزول المطر، اخرج إليه قليلاً. بلل يديك ووجهك، وقل: "اللهم صيبًا نافعًا".

تذكر أن هذا الماء هو سبب حياة الأرض. وتذكر أنه نزل بقدر معلوم، فاشكر الله على نعمته.
 . وقفة مع كل سبب ونتيجة: في حياتك اليومية، إذا نجحت في أمر ما، لا تقل: "بذكائي وجهدي فقط". بل قل: "هذا من فضل ربي". تذكر أنك أخذت بالأسباب (وهذا واجبك العقلي)، ولكن النتيجة بيد الله. هذا يمنع الغرور ويرسخ التوحيد.
 . وقفة مع العقل: خصص وقتاً أسبوعياً لـ "جلسة عقل". اجلس وحدك، وراجع أفعالك وأفكارك. هل أنت ممن يعقلون أم ممن يتبعون الهوى والتقليد الأعمى؟ هذه الجلسة تنمي الوعي الذاتي وتصلق شخصيتك. الخاتمة: نداء العقل إلى بر الأمان
 يا من كرمك الله بالعقل، وميزك على كثير من خلقه، لقد دعاك الله في هذه الآية أن تستخدم هذه النعمة العظيمة. دعاك أن تنظر إلى البرق بعين الخائف والطامع، وإلى المطر بعين المتأمل في قدرة الله، وإلى الأرض الميتة وهي تحيا بعين الموقن بالبعث.

هذا الكون كله مسرح للعقل. فيه آيات تدعوك للتفكر، وفيه دروس تدعوك للاعتبار. فلا تكن ممن عطلوا عقولهم، فأرأوا البرق كشرارة، والمطر كماء، والأرض كتراب. كن من {قَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، الذين يرون في كل ذرة من ذرات الوجود آية على الخالق.

استخدم عقلك لتعرف الله، لتعمر الأرض، لتنفع الناس، لترتقي بنفسك. فإنك إن فعلت، كنت من المفلحين في الدنيا والآخرة.

{وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْطِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي، واجعلني من القوم الذين يعقلون، فينتفعون بآياتك، ويزدادون لك خشية وحباً". جعلنا الله وإياكم من أولي الألباب، الذين يستخدمون عقولهم فيما يرضيه، ويسيروا على نور من ربهم، ويدخلون في رحمته الواسعة. آمين..

المبحث السادس

أيها الباحث عن اليقين، يا من تريد أن ترسخ قدمك على صراط الحق المستقيم، فإني أبشرك بأننا نقف اليوم على آيتين من أعظم آيات سورة الروم، آيتين تجمعان بين إثبات القدرة المطلقة لله، وبيان خضوع الكون كله له، ثم إقامة الدليل القاطع على البعث الذي طالما أنكره المشركون. إنهما آيتان تهزان الوجدان، وتوقظان العقل، وتجعلانك تعيش معنى القنوت الكوني الذي لا يخرج عنه أحد.

تعال نعيش معاً قوله تعالى:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۗ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ } (الروم: 25)

{وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ} (الروم: 26)
 أولاً: قيام السماوات والأرض بأمر الله - آية النظام والتدبير

قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ}

بعد أن عرض علينا سبحانه آياته في البرق والمطر وإحياء الأرض، ينتقل بنا إلى آية أعظم وأشمل، إلى آية قيام الكون كله واستمراره. إنها ليست آية حدث وانتهى، بل هي آية قائمة دائمة لا تفتقر ولا تزول.

{وَمِنْ آيَاتِهِ: نفس الافتتاح القرآني العظيم الذي يستثير فيك روح التأمل والتدبر. إنه يقول لك: "ها هي ذي آية جديدة، فانظر وتفكر".

{أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ: ما أروع هذا التعبير!} تقوم {أي تثبت وتستقر وتستمر في أداء وظائفها. السماوات قائمة بغير عمد تراها، والأرض قائمة ثابتة بقدرة الله، وكلاهما} بأمره {أي بمشيئته وتدبيره وإذنه الكوني.

. تأمل! هذه الكواكب الهائلة، والمجرات العظيمة، والنجوم الملتهبة، كلها في أمر الله وتحت تدبيره. لا يتحرك منها شيء إلا بإذنه، ولا يسقط منها نجم إلا بمشيئته.

. والأرض كذلك، تجري في فلكها، وتدور حول نفسها، وتخرج خيراتها، وتستقر عليها الجبال، كل ذلك بأمر الله.

. ولو تخلى أمر الله عن هذا الكون طرفة عين، لاختل نظامه، وتصدمت أجرامه، وانهار بناؤه. {إِنَّ اللَّهَ يُضَيِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۗ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ.}

. اللمة البيانية: لاحظ استخدام المصدر {أَنْ تَقُومَ} {بدل الفعل "قامت". المصدر هنا يفيد الاستمرار و

النبات. فقيام السماوات والأرض ليس حدثًا ماضيًا انتهى، بل هو حالة دائمة متجددة في كل لحظة . إنه يقول لك: "أبدًا، منذ خلقهما وإلى أن يشاء الله، هما قائمتان بأمره".

الرسالة العقديّة والنفسية:

. اليقين بقدرة الله وتدبيره: هذه الآية تملأ قلبك طمأنينة وسكينة. فأنت تعلم أن الكون كله، بكل ما فيه من عظمة وجبروت، قائم بأمر الله وحده. فكيف تخاف من مخلوق ضعيف والكون كله في قبضة الله؟ وكيف تقلق على رزقك والأرض تقوم بأمره وتخرج خيراتها بإذنه؟
. التوحيد في الربوبية: السماوات والأرض تقومان بأمره وحده، لا بأمر غيره. فمن ذا الذي يملك من أمره شيئًا؟ إنه الله وحده لا شريك له. هذا يرسخ في قلبك عقيدة التوحيد، ويقطع كل تعلق بغير الله.
ثانيًا: دعوة من الأرض - مشهد البعث الأكبر

قوله تعالى: {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ مَنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ}

بعد أن ذكر قيام السماوات والأرض بأمره، ينتقل إلى مشهد النهاية والبعث. لقد أَرانا قدرته في إقامة الكون، فهل يعجز عن إعادتنا بعد الموت؟ كلا! بل الأمر أهون عليه.

{. ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ مَنَ الْأَرْضِ:} "ثم" هنا للتراخي الزمني، فهناك زمن طويل بين قيام الدنيا ويوم القيامة. {دَعَاكُمْ} أي ناداكم وبعثكم. دَعْوَةَ مَنَ الْأَرْضِ {أي من داخل الأرض، من قبوركم التي دفنتم فيها. إنها النفخة الثانية التي تخرجون بها من الأرض أحياءً.
. تأمل عظمة هذا المشهد! ملك عظيم ينادي بصوته الذي يسمعه الأولون والآخرون: "يا أيتها العظام النخرة، والأوصال المتفرقة، والشعور المتمزقة، قومي لفصل القضاء!". فإذا بالخلق كلهم يخرجون من الأرض سرعًا، كما يخرج النبات من باطنها.
. {إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ:} "إذا" هنا فجائية. أي أن خروجكم يكون فجأة وبسرعة مذهلة بمجرد تلك الدعوة الواحدة. لا يحتاج الأمر إلى زمن أو تجهيز. {إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} {من قبوركم، أحياءً تنتظرون الحساب.
. الربط بالآيات السابقة: هذا المشهد هو الذي مهدت له كل الآيات السابقة. ألم يقل: {وَكذلك تَخْرُجُونَ}؟ ألم يقل: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}؟ ألم يقل: {فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}؟ كل هذه الآيات كانت تمهيدًا لهذه الحقيقة الكبرى: أنكم ستخرجون من الأرض بدعوة واحدة. فالذي يخرج النبات من باطن الأرض بقدرته، يخرجكم من باطنها بأمره.

الرسالة الإيمانية:

. الاستعداد لهذه الدعوة: الآية توقظك من غفلتك. إنها تقول لك: "تخيل نفسك في قبرك، ثم فجأة تسمع الدعوة من الأرض، فتخرج مسرعًا. فماذا أعددت لهذا اليوم؟". هذا الاستحضار العاطفي يدفعك إلى العمل الصالح، وترك المعاصي.
. سهولة البعث على الله: الذي تقوم السماوات والأرض بأمره، لا يعجزه أن يخرجكم من الأرض بدعوة واحدة. فلماذا تستبعد البعث أيها الإنسان؟ إن قدرة الله فوق كل تصور.
ثالثًا: القنوت الكوني - خضوع كل شيء لله

قوله تعالى: {وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لُهُ قَانِتُونَ}

بعد أن بين أن السماوات والأرض تقومان بأمره، وأنه يخرجكم من الأرض بدعوته، يأتي بهذه الآية الجامعة المانعة: كل من في السماوات والأرض ملك له، وكلهم خاضعون له قانتون.

{. وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ:} تقديم الجار والمجرور {وَلَهُ} يفيد الحصر والاختصاص. أي له وحده، لا لغيره. كل من في السماوات من ملائكة وغيرهم، وكل من في الأرض من إنس وجن وحيوان وجماد، ملك له، يتصرف فيهم كيف يشاء.
. {كُلُّ لُهُ قَانِتُونَ:} هذه هي الكلمة المحورية. قانتون من القنوت، وهو دوام الطاعة مع الخضوع و الخشوع.

. قنوت عام: وهو قنوت جميع المخلوقات لله، بمعنى خضوعها لمشيئته التكوينية. فلا أحد يخرج عن أمره الكوني. السماوات والأرض، الشمس والقمر، الملائكة والجن والإنس، الكل قانت لله بمعنى خاضع لإرادته، لا يستطيع أحد أن يرد أمره. {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.
. قنوت خاص: وهو قنوت المؤمنين اختياريًا وطواعية، بالعبادة والطاعة والامتثال. فهؤلاء جمعوا بين القنوت الكوني (الخضوع لله خلقًا والقنوت الشرعي) الخضوع لله طاعةً).

. اللمة البيانية: لاحظ استخدام صيغة الجمع {قائنونَ} لوصف {كلّ}, مع أن "كل" مفردة. هذا من باب التغليب، غلب العقلاء من الملائكة والإنس والجن على غيرهم. وفيه إشارة إلى أن كل مخلوق هو في حالة قنوت وخضوع لله، حتى الجمادات والنباتات والحيوانات، فهي تسبح بحمده وتخضع لأمره.

الرسالة العقديّة والتربويّة:

. العبودية الشاملة لله: لا يوجد في هذا الكون مخلوق إلا وهو عبد لله، قانت له فلماذا تشذ أنت عن هذا النظام الكوني؟ لماذا تعصي وأنت ترى كل شيء حولك يطيع؟ كن منسجماً مع الكون الذي يسبح بحمد الله، وكن من القانتين لله طوعاً واختياراً.
. نفي الشريك عن الله: إذا كان كل من في السماوات والأرض ملكاً لله، وكلهم له قانتون، فأين الشركاء الذين تزعمون؟ أين الأصنام والأوثان؟ هل تملك شيئاً؟ هل تقنت لله؟ كلا! فهي جمادات لا تسمع ولا تبصر. فكيف تعبدونها من دون الله؟ الآبة تنسف الشرك من جذوره.
*المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيتين في حياتنا العملية؟

لنأخذ هذه المعاني العظيمة ونجعلها منهج حياة.

1. مفهوم "القيام بأمر الله" - الاستقرار النفسي في زمن الاضطراب

إذا علمت أن السماوات والأرض تقومان بأمر الله، علمت أن حياتك أنت أيضاً قائمة بأمره. فلا تقلق على المستقبل، ولا تحزن على الماضي. ثق أن الأمر كله لله.

. كيف تطيقه؟

. إذا أصابك هم أو ضيق، تذكر: أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمره. {قل: "الذي يقيم السماوات والأرض، قادر على أن يقيم أمري ويصلح حالي". هذا يملأ قلبك سكيناً.

2. مفهوم "الدعوة من الأرض" - الاستعداد الدائم للقاء الله

تذكر أنك ستسمع هذه الدعوة يوماً ما. {إذا دعاكم دعوةٌ من الأرضِ} هذا المفهوم يجعلك تعيش في حالة استعداد دائم.

. كيف تطيقه؟

. كل ليلة قبل أن تنام، تصور أن هذه هي آخر ليلة لك، وأنت ستسمع الدعوة غداً. هل أنت مستعد؟ هذا السؤال اليومي يجعلك تحاسب نفسك وتتوب وتعمل صالحاً.

3. مفهوم "القنوت" - الانسجام مع الكون العابد

{كلّ لهُ قائنونَ}. أنت لست وحدك في هذا الكون. كل شيء حولك يسبح ويخضع لله. فلتكن معهم في هذا القنوت العظيم.

. كيف تطيقه؟

. في صلاتك، استشعر أنك قانت لله. اركع واسجد بخشوع. اشعر أنك جزء من هذا الكون القانت لله. هذا الاستشعار يرفع من جودة عبادتك، ويجعلك تخشع فيها.
**الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآيات؟

1. ترسيخ عقيدة القدرة الإلهية: إذا سألك طفلك: "من يحمل السماء؟". قل له: "الله يأمرها أن تقوم بلا عمد". ومن آياته أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمره. {الله قادر على كل شيء". هذا يبني في قلبه هبة الله وتعظيمه.

2. التذكير بالبعث بأسلوب محبب: احك له قصة البعث وكأنها مغامرة عجيبة: "يوم القيامة، الله ينادي علينا من تحت الأرض. نقوم كلنا ونخرج مسرعين. الأبرار يفرحون، والأشرار يخافون. هيا نعمل صالحاً لنكون من الفرحين!". هذا الأسلوب القصصي يجعل الطفل متشوقاً ومستعداً.

3. تعليمه القنوت العملي: علمه أن كل شيء حوله قانت لله. الطائر يسبح، الشجرة تسبح، النملة تسبح. قل له: "ونحن أيضاً يجب أن نكون قانتين لله، نطيعه ونحبه ونعبده. هيا نصلي معاً، فنحن في قنوت لله!".

وقفات عملية: لنعش القنوت والاستعداد

. وقفة مع السماء: في الليل، اخرج وانظر إلى السماء. تذكر أنها تقوم بأمر الله. سبح الله وعظمه . هذا المشهد يهذب النفس ويجعلها تخشع.
. وقفة مع القبر: إذا زرت المقابر، تذكر { دَعْوَةٌ مِّنَ الْأَرْضِ }. {قل: "اللهم إني أسألك الثبات عند السؤال، وأعوذ بك من عذاب القبر". هذه الوقفة تذكرك بالآخرة وتلين قلبك.
. وقفة مع الصلاة: عندما تقوم إلى الصلاة، استشعر أنك قانت لله. أنت في طاعة وخضوع. لا تلتفت يميناً أو شمالاً. قلبك مع الله. هذا هو القنوت الحقيقي.
الخاتمة: دعوة للقنوت الطوعي

يا أيها الإنسان، لقد بان لك الحق. السماوات والأرض قائمتان بأمر الله، وكل من فيهما قانت له. فهل أنت من القانتين باختيارك؟ أم ستكون ممن يخرجون من الأرض كارهين؟

إن الدعوة من الأرض آتية لا ريب فيها. فاستعد لها الآن. اجعل حياتك كلها قنوتاً لله. اخضع له طوعاً قبل أن تخضع له كرهاً. واعلم أنك كلما كنت لله أطوع، كنت في الدنيا أسعد، وفي الآخرة أفوز.

{وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ كُلُّ لُهُ قَانِتُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني. أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون". جعلنا الله وإياكم من القانتين له في الدنيا والآخرة، وخرجنا من الأرض فرحين مستبشرين برحمته. آمين.

المبحث السابع

أيها العاقل المتأمل، يا من تبحث عن البراهين القاطعة التي تزيل الشكوك وتبني اليقين، لقد سلك بنا القرآن طريقاً طويلاً من الآيات الكونية والنفسية؛ رأينا النوم واليقظة، والبرق والمطر، والليل والنهار، وقيام السماوات والأرض. كل ذلك ليقرر حقيقة واحدة كبرى: أن الله هو الخالق المدبر القادر. والآن، وبعد أن ملأ هذه العقول بالدلائل، يأتي إلى النتيجة المنطقية الحتمية التي لا مفر منها. إنه يخاطب الفطرة والعقل معاً، ويقدم حجة دامغة لا يستطيع منصف ردها.

إنها آية تضع النقاط على الحروف، وترد على كل من استبعد البعث بمنطق بسيط يفهمه كل إنسان. إنها الآية التي تجمع بين البداية والنهاية، بين الخلق الأول والخلق الثاني، لتقيم الحجة على منكري البعث.

فلنعش معاً قوله تعالى:

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۗ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {الروم: 27}
أولاً: معادلة البداية والإعادة - دليل الفطرة والعقل

قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}

انظر كيف يستأنف القرآن حديثه عن الله بضمير الغيبة {وَهُوَ}. إنه يريدك أن تركز على الذات الإلهية التي تفعل كل ذلك. "هو" وحده، لا شريك له، هو الذي يقوم بهذا الأمر العظيم.

{يَبْدَأُ الْخَلْقَ}: هذا فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار. فالله لا يزال يبدأ الخلق في كل لحظة. يبدأ خلق إنسان من نطفة، ويبدأ خلق نبات من حبة، ويبدأ خلق طائر من بيضة. إنها بدايات متجددة لا تتوقف. وكل بداية هي دليل على قدرته المطلقة.

{ثُمَّ يُعِيدُهُ}: "ثم" هنا للتراخي الزمني. بين البداية والإعادة زمن طويل، هو عمر الدنيا. ثم بعد ذلك يعيده، أي يعيد الخلق مرة أخرى يوم القيامة. فكما بدأكم أول مرة، يعيدكم بعد موتكم.

. الربط العقلي بين البداية والإعادة: هذه الجملة وحدها تكفي لإقامة الحجة على أي منكر للبعث. إنها تقول له: "أنت تقر بأن الله بدأ الخلق أول مرة. أليس كذلك؟ فكيف تستبعد أن يعيده مرة أخرى؟". إنها معادلة منطقية بسيطة:

1. الإقرار بالبداية الأولى) وهي أمر مشاهد ومتفق عليه بين العقلاء.)

2. إذن، الإعادة ممكنة بل واقعة.

فالذي قدر على الإنشاء من العدم، أليس قادراً على الإعادة من الموت؟!

الرسالة العقلية والنفسية:

· إزام المشركين بالحجة العقلية: المشركون كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق، ومع ذلك كانوا ينكرون البعث. القرآن يفهمهم باعترافهم. فهو يقول: "ما دام الله هو الذي بدأكم، فكيف تنكرون أنه سيعيدكم؟"

· تبسيط العقيدة للفطرة: الآية لا تقدم فلسفة معقدة، بل تقدم حجة فطرية يفهمها كل إنسان. حتى الطفل الصغير إذا سأله: "من الذي خلقك؟" سيقول: "الله". فإذا قلت له: "هل يستطيع الله أن يحييك بعد الموت؟" سيقول: "نعم". إنها فطرة سليمة لم تلوثها شبهات الفلاسفة.

ثانياً: "وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" - مراعاة لغة البشر وعقولهم

قوله تعالى: {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}

هذه الكلمة هي مفتاح الآية وسر بلاغتها. وهي تحتاج إلى وقفة خاصة لفهمها على الوجه الصحيح.

· ظاهر العبارة: "وهو أهون عليه" أي أن إعادة الخلق أسهل وأيسر من بدئه. وهذا واضح في منطق البشر: فمن يصنع شيئاً أول مرة يبذل جهداً أكبر، أما إعادة صنعه مرة ثانية فتكون أسهل.

· الإشكال والجواب: قد يتبادر إلى الذهن: كيف نقول عن الله "أهون عليه"؟ هل في قدرة الله صعب وهين؟ كلا! فالله لا يعجزه شيء، ولا يختلف عنده الأمر صعباً أو سهلاً. {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}. فكيف نوفق؟

· الجواب من وجوه:

1. التنزيل على قدر عقول البشر: القرآن يخاطب الناس بما يفهمون. والعرب تقول: "الإعادة أهون من البداية". فالقرآن نزل بلغتهم، وأقام الحجة عليهم بمنطقهم. والمعنى: أن الإعادة في حسابكم أتم أهون، فكيف تنكرونها وأنتم تعترفون بالبداية الأصعب؟

2. "أهون" بمعنى هين يسير، لا بمعنى التفضيل: في لغة العرب، قد تستعمل صيغة "أفعل" ولا يراد بها التفضيل، بل يراد بها الصفة المطلقة. تقول: "فلان أهون من فلان" أي حقير. وتقول: "هذا أهون علي" أي هذا هين يسير. فالمعنى: والإعادة هينة يسيرة عليه.

3. الأمران هينان عليه، ولكن الإعادة أهون في اعتباركم: قال ابن عباس وغيره: "الإعادة أهون على المخلوقين، لأنهم يبدؤون ثم يعيدون، والإعادة أيسر عليهم من الابتداء. أما الخالق سبحانه، فالأمران عليه سواء في السهولة واليسر". فهو سبحانه خاطبهم بما يعقلون.

· اللمسة البيانية: لاحظ أن الله لم يقل: "وهو هين عليه" فقط، بل قال: {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}. {استخدام صيغة التفضيل هنا أبلغ في إقامة الحجة على المشركين. فهو ينزل إلى مستوى تفكيرهم، ويقول لهم: "حتى لو سلمنا جدلاً بأن هناك فرقاً بين الصعب والسهل، فإن ما تعتقدون أنه أصعب) البدء (قد وقع، فكيف تستبعدون ما هو أسهل) الإعادة(؟)". إنه إفحام منطقي لا يترك لهم مهرباً.

الرسالة العقلية والتربوية:

· تقريب المعاني للذهن: هذه الآية تعلمنا أسلوباً تربوياً عظيماً: خاطب الناس على قدر عقولهم، وقرب لهم المعاني بما يألون. فالمعلم الناجح والداعية الحكيم هو من يستخدم لغة يفهمها المخاطب، ويضرب له الأمثال من حياته.

· قطع الشك باليقين: من كان يشك في البعث، فبعد هذه الآية لا يبقى له شك. فالمنطق الذي يفهمه كل عاقل يقول: "من بدأ أقوى، فهو على الإعادة أقدر".

ثالثاً: "وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى" - تنزيه الله وتقديسه

قوله تعالى: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

بعد أن استخدم لفظ {أَهْوَنُ} الذي قد يفهم منه ظاهراً التشبيه بالمخلوقين، جاءت هذه الجملة لتنزيه الله وتقديسه عن مشابهة خلقه.

· {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}: أي الصفة العليا التي لا تشبه صفات المخلوقين. فالله له الكمال المطلق في كل صفة. له الحياة الكاملة، والعلم الكامل، والقدرة الكاملة، والحكمة الكاملة. وليس كمثل شيء.

· "المثل" هنا بمعنى الوصف والصفة. فوصف الله الأعلى والأكمل.

· فهو سبحانه الأعلى في ذاته فوق عرشه، والأعلى في صفاته عن مشابهة خلقه، والأعلى في قهره وسلطانه.

· {فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}: أي أن هذا المثل الأعلى معترف به ومشهود له في السماوات والأرض. فكل من في السماوات والأرض من الملائكة والأنبياء والمؤمنين، يشهدون لله بالكمال المطلق، وينزهونه عن النقائص.

· اللمسة البيانية: هذا الانتقال من {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} إلى {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} هو من بديع النظم

القرآني. فيعد أن قرب المعنى بما يفهمه البشر، بادر إلى تنزيه الله حتى لا يتوهم أحد أن صفاته كصفاتهم. إنه يعلمك الأدب مع الله؛ فأنت تستخدم العبارات التي تفهمها، ولكنك تعلم يقيناً أن الله ليس كمثل شيء.
*الرسالة العقديّة:

. التوحيد في الأسماء والصفات: الآية ترسخ عقيدة التنزيه. الله له المثل الأعلى، فلا تشبهه به المخلوقين. صفاته تليق بجلاله، وأفعاله كاملة لا نقص فيها. فهذه الآية ترد على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه.
. الرد على المشركين: الذين عبدوا أصناماً لها صفات ناقصة) لا تسمع، لا تبصر، لا تنفع، لا تضر. (الله يقول: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} فكيف تعدلون به من لا مثل له ولا صفة كمال؟
رابعاً: "وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" - ختام القوة والعلم

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

وهذا هو الختام الذي يليق بالآية. فقد تحدث عن بدء الخلق وإعادته، وعن قدرته المطلقة، فختم باسمين جليلين من أسمائه الحسنی:

{العزیز}: أي الغالب القاهر الذي لا يغلبه شيء، القوي الذي لا يعجزه شيء. فهو عزيز في انتقامه من أعدائه، عزيز في سلطانه على خلقه. فمن كان عزيزاً بهذه الصفة، أليست الإعادة هينة عليه؟
{الحكيم}: أي الذي يضع الأمور في مواضعها، ذو الحكمة البالغة في خلقه وأمره. فإعادته للخلق ليست عبثاً، بل لحكمة عظيمة، وهي الجزاء على الأعمال. فبعزته يقدر على البعث، وبحكمته يقتضي البعث للجزاء.
. اللمة البيانية: الجمع بين العزة والحكمة هنا في غاية المناسبة. فالعزة تشير إلى كمال القدرة، و الحكمة تشير إلى كمال العلم والتدبير. فالبعث ثابت بالقدرة (وبالحكمة) وجوب الجزاء. (إنه ختام يريح العقل ويقنعه من كل وجه.

الرسالة النفسية:

. الظمأنينة للعدالة الإلهية: الإيمان بأن الله عزيز حكيم يملأ قلبك سكينه. أنت تعلم أن الظالم لن يفلت، لأن الله عزيز لا يغلبه أحد، وحكيم لا يظلم أحداً. فالعدالة قادمة لا محالة.
. الثقة في تدبير الله: مهما بدت الأمور معقدة أو مؤلمة، ثق أن وراءها حكمة بالغة من العزيز الحكيم. قد لا تدركها الآن، لكنك تؤمن بها.
المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

لنحول هذه الآية إلى طاقة إيجابية في حياتنا.

١. مفهوم "الإعادة أهون" - الأمل في تجاوز الأزمات.

إذا كان الله قادراً على إعادة الخلق كله، وهو أهون عليه، فهو قادر على أن يعيد لك صحتك بعد مرض، وسعادتك بعد حزن، وقوتك بعد ضعف. فلا تيأس.

. كيف تطبقه؟

. عندما تمر بضائقة، تذكر هذه الآية. قل: "اللهم يا من بدأت خلقي وأنت أهون عليك إعادتي، أعد لي فرحي وعافيتي". هذا الدعاء يفتح لك أبواب الأمل.

٢. مفهوم "المثل الأعلى" - الارتقاء في معرفة الله

الله له الصفات العليا. فتعرف على أسمائه وصفاته، ليزداد حبك له وخشيتك منه.

. كيف تطبقه؟

. اقرأ في شرح أسماء الله الحسنی. كلما تعمقت في معرفة صفاته، ارتقيت في مقام الإحسان، فأصبحت تعبه كأنك تراه.

٣. مفهوم "العزيز الحكيم" - التوكل والتفويض

اجمع في حياتك بين الأخذ بالأسباب (وهذا من حكمته) والتوكل على العزيز (وهذا من الإيمان بعزته). لا تتواكل، ولا تغتر بقوتك.

. كيف تطبيقه؟

. إذا خططت لأمر وبذلت جهدك، ثم واجهت عقبات، فوض أمرك للعزيز الحكيم. قل: "حسبي الله، هو العزيز الحكيم". فهو القادر على تذليل الصعاب، وهو الحكيم فيما يقدره. الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآية؟

1. شرح البعث بمثال بسيط: قل لطفلك: "أنت تعرف أن الله خلقنا أول مرة. صح؟ طيب، هل الله يقدر يخلقنا مرة ثانية بعد ما نموت؟ أكيد! لأنه أسهل عنده. زي ما أنت لما تبني بيت بالمكعبات، أول مرة تتعب، لكن لما يتهد وتعيد بنائه، يكون أسهل". هذا المثال الحسي يرسخ الفكرة.
2. تعليمهم التنزيه: إذا سألك طفلك: "كيف الله؟". لا تحاول أن تشبهه بشيء. قل له: "الله ليس كمثل شيء. له المثل الأعلى. يعني هو أجمل وأعظم من كل ما تتخيله". هذا يحميه من التشبيه والتجسيم.
3. غرس الثقة بعدل الله: إذا رأى طفلك مشهداً لظلم أو بكى لمصيبة، قل له: "لا تحزن. الله عزيز حكيم. العزيز يعني قوي لا أحد يغلبه. الحكيم يعني حكيم في كل أفعاله. هو سينصف المظلوم، ويعاقب الظالم. ثق بالله".
وقفات عملية: لنعش العزة والحكمة

. وقفة مع الصباح: عندما تستيقظ، تذكر أن الله بدأ خلقك بالنوم) الموتة الصغرى (ثم أعاده باليقظة . قل: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور". هذه الوقفة تجعل يومك مرتبطاً بالبعث.
. وقفة مع المصائب: إذا نزلت بك مصيبة، تذكر أن الله عزيز حكيم. لم يقدرها عبثاً. ابحث عن الحكمة منها. ستجد أنها تربية وتطهير ورفعة درجات.
. وقفة مع الظالمين: إذا رأيت ظالماً متجبراً، تذكر أن الله عزيز. هو أقوى منه، وسينتقم منه في الوقت الذي يراه بحكمته. فلا تشغل بالك به، وفوض أمره لله.
الخاتمة: الطريق إلى اليقين

يا من خلقك الله فسواك فعدلك، لقد أقام الله لك الحجة بهذه الآية الباهرة. لقد جمع لك بين الدليل العقلي (البدء والإعادة) والدليل الفطري (المثل الأعلى) والدليل النفسي (العزة والحكمة). فلم يبق لك عذر في الشك أو التردد.

أمن بأن الذي بدأ خلقك من تراب، ثم من نطفة، قادر على أن يعيدك بعد الموت. بل الإعادة أهون في حسابك، فكيف في قدرة الله المطلقة؟!

عش حياتك على يقين أنك راجع إلى الله. اجعل هذا اليقين نوراً تمشي به في ظلمات الدنيا، وزاداً تنزود به ليوم المعاد.

{وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ } وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

فليكن شعارك: "اللهم يا من بدأت خلقي وأنت على إعادتي أقدر، يا من لك المثل الأعلى، يا عزيز يا حكيم، أعدني إليك مرداً جميلاً، واجعلني من عبادك المخلصين، الذين يرجعون إليك بقلب سليم". جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. آمين.

القسم الثاني المبحث الأول

أيها العاقل الذي كرمه الله بنعمة الفهم، وفضله على كثير من خلقه بالتمييز، فإني أبشرك بأننا نقف اليوم على آية فريدة في أسلوبها، باهرة في حجتها، قريبة من نفسك وواقعك. إنها آية تنقلك من الآفاق الكونية الواسعة إلى أعماق نفسك وعلاقاتك الاجتماعية اليومية. إنها آية تضع بين يديك ميزاتاً من ذهب، ميزاتاً لا يخطئ، لتزن به أعظم قضية في الوجود: قضية التوحيد والشرك.

لقد طاف بنا القرآن في رحاب السماوات والأرض، وأرانا آياته في النوم واليقظة، وفي البرق والمطر، وفي بدء الخلق وإعادته. والآن، وبعد أن ملأ العقول يقيناً بقدرة الله وتديبره، يأتي إلى الفطرة الإنسانية مباشرة، ليوقظها من غفلتها، وليفحمها بحجة نابغة من صميم حياتها. إنه يضرب مثلاً من أنفسكم، من واقعكم الذي تعيشونه كل يوم، ليقول لكم: "كما لا ترضون هذا لأنفسكم، فكيف ترضونه لله؟!"

فلنعش معًا هذا المثل القرآني البليغ في قوله تعالى:

{وَصَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۗ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (الروم: 28)
﴿أولًا: المثل من الأنفس - إيقاظ الفطرة الغافية

قوله تعالى: {وَصَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ}

هذا الافتتاح القرآني الرائع يحمل في طياته منهجًا تربويًا وإقناعيًا فريدًا. لم يعد الأمر يتعلق بآيات في الأفاق (السموات والأرض)، بل هو آية في الأنفس، وفي العلاقات الاجتماعية التي تمارسونها يوميًا.

{صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا: ضرب المثل هو تقديم صورة حسية معقولة لتقريب معنى عقلي مجرد. والقرآن مليء بالمثال، لأنها تخاطب العقل والوجدان معًا، وتجعل الحقيقة ناصعة لا تحتاج إلى جدال.
{مِّنْ أَنفُسِكُمْ}: هذا هو سر قوة الحجة. المثل ليس من عالم غريب عنكم، بل هو من داخل أنفسكم، من واقع حياتكم، من علاقتكم بعبيدكم وخدمكم. إنه يقول لهم: "لست أدعوكم إلا إلى ما تقر به فطرتكم، وتحكم به عقولكم في شؤونكم الخاصة". إنه إلزام بالمعقول والفطري. فأنتم لا ترضون أن يشارككم عبد مملوك في ملككم وأموالكم، فكيف ترضون لله، مالك الملك، أن يشاركه مخلوق في ملكه أو عبادته؟!}

. اللمة البيانية: لاحظ دقة التعبير {مِّنْ أَنفُسِكُمْ}. إنه يعني "من جنسكم ونوعكم"، أي من البشر مثلكم. ولكن لم يقل: "من أنفسكم" فحسب، بل أراد أن يوقظ فيهم شعور الكرامة الإنسانية والفطرة السليمة. فأنتم تعلمون أن العبيد بشر مثلكم، ومع ذلك لا ترضونهم شركاء، فكيف تشركون بالله ما هو دونه في الرتبة والملك؟!}

الرسالة التربوية والنفسية:

. قاعدة "عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به": الآية تعلمنا أن نطلق في حكمنا على الأشياء من أنفسنا أولاً. فما لا نرضاه لأنفسنا، كيف نرضاه لله؟ هذا المنهج يربي فينا الإنصاف والضمير الحي.
. تحرير الفطرة من الركام: المشركون كانوا يعيشون فطرة مشوهة بالتقليد والعادة. الآية تأتي لتكشف الغطاء عن تلك الفطرة الأصلية، وتقول لهم: "أنتم بالفطرة تنزهون أنفسكم عن الشركاء، فلماذا تجعلون لله شركاء؟!".

? ثانيًا: سؤال التقرير والإفحام - هز الضمير

قوله تعالى: {هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ}

هذا هو صلب المثل، وهو استفهام غرضه التقرير والإنكار، أي: "هل هذا يقع منكم؟ هل ترضون به لأنفسكم؟". والجواب المضمن: "لا، حاشا!".

{هل لكم}: استفهام موجه إلى كل عاقل. "هل يوجد عندهم، هل ترضون لأنفسكم؟".
{مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}: أي من عبيدكم وإمائكم. والتعبير بـ "ملكتم اليمين" تعبیر شائع في القرآن عن الرقيق. والعجيب أن هذا المثل القرآني يجعل العبد المملوك هو محور المقارنة. لماذا؟ لأن العبد في نظر سيده ناقص الملكية، خاضع له، لا يملك من أمره شيئًا. فكيف يرضى السيد أن يكون هذا العبد شريكًا له في ماله ورزقه على قدم المساواة؟!
{مِّنْ شُرَكَاءَ}: لاحظ أن كلمة "شركاء" جاءت نكرة، وسبقها حرف الجر "من" الدال على التبعية. أي "أي شركاء، ولو بنسبة قليلة". فالسيد لا يرضى أن يكون عبده شريكًا له في أقل القليل من ماله. فإذا كان الأمر كذلك، فكيف تجعلون لله شركاء من خلقه، بل وتجعلونهم مساوين له في العبادة والتفديس؟!}

{في ما رَزَقْنَاكُمْ}: أي في الأموال والأرزاق التي أعطيناكم. فالرزق من الله وحده، والعبد مملوك للسيد لا يملك شيئًا. فكيف يكون شريكًا في رزق أنعم الله به عليكم؟!
{فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ}: أي أنتم وعبيدكم متساوون في هذا المال والرزق، لا فرق بينكم وبينهم في التصرف والتملك. هل تقبلون هذا؟!}

{تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ}: وهذه هي نزوة الحجة. أنتم لا ترضونهم شركاء في المال فحسب، بل إنكم تخافونهم كما تخافون الأحرار من أمثالكم، أي تخافون أن يستأثروا بشيء من المال دونكم، أو أن يشاركوكم فيه على الوجه الذي يستقلون فيه بالتصرف. الخوف هنا خوف المنافسة والمساواة في

الحقوق. فإذا كنتم تخافون من عبيدكم أن يساووكم، فكيف تسوون بين الله الخالق المالك، وبين مخلوقات لا تملك شيئاً؟!

. للمسة البيانية: لاحظ ترتيب عناصر المثل:

1. الشركة في الرزق.
 2. المساواة في التصرف.
 3. الخوف من الاستئثار.
- هذا التدرج يبين أن الشرك ليس مجرد نسبة النعمة لغير الله، بل هو مساواة المخلوق بالخالق في الحقوق والعبادة، وهذا ما تأباه الفطرة والعقل.

الرسالة العقلية والفطرية:

. إفحام المشركين بمنطقهم: الآية تلزمهم الحجة من خلال واقعهم الذي لا يستطيعون إنكاره. إنها تقول لهم: "أنتم بأنفسكم تقيسون الأمور على هذا النحو، فلماذا تتناقضون في حق الله؟".
. قاعدة "لا ترضاه لنفسك لا ترضاه لغيرك": هذه الآية تعلمنا مبدأ العدل والإنصاف، وهو أن ما نكرهه لأنفسنا، يجب أن نكرهه أن نفعله بغيرنا، فكيف نفعله مع الله جل جلاله؟! إنه أعظم ظلم.
ثالثاً: "كَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" - ختام العقل والتدبر

قوله تعالى: {كَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}

وهذا هو الختام المناسب للآية. بعد هذا المثل الواضح المفصل، يأتي التعقيب لبيان أن هذا التفصيل والبيان إنما هو لأهل العقول الذين يستخدمونها في التدبر والاعتبار.

{كَذَلِكَ}: أي مثل هذا التفصيل الواضح، ومثل هذا المثل القريب من الأنفس.
{نَقْصِلُ الْآيَاتِ}: أي نبينها ونوضحها، ونفصل بين الحق والباطل فيها. فلم نتركها مجملة، بل فصلناها لتعقلوها.
{لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}: هذا هو المفتاح. الآيات واضحة، والأمثال مضروبة، والحجج قائمة. ولكن الانتفاع بها مقصور على من يستخدم عقله. أما المعرضون الغافلون، والمقلدون الجامدون، فإنهم يمررون عليها مرور الكرام، ولا ينتفعون بها.
. الربط بالآيات السابقة: لاحظ كيف تكرر ختام الآيات بصفات العقلاء: {يَتَفَكَّرُونَ}، {يَسْمَعُونَ}، {يَعْقِلُونَ}. فكل آية تخاطب جانباً من جوانب الإدراك الإنساني. وهنا ختمت بـ {يَعْقِلُونَ}، لأن العقل هو أداة الربط والقياس، والمثل هنا مبني على القياس: "إذا كان هذا في حقكم، فكيف في حق الله؟".

الرسالة التربوية والعلمية:

. الحث على استخدام العقل في العقائد: الآية تربي فيك أن تكون عقليتك استدلالية. فلا تؤمن بشيء لمجرد التقليد. استخدم عقلك، وانظر في الأمثال، وقس الأشياء بنظائرها، واعرض الأمور على فطرتك.

. دور الأمثال في التعليم: المثل أداة تعليمية عظيمة. فهو يجعل الفكرة المجردة محسوسة وملموسة. هذه الآية تعلم المعلمين والدعاة أن يستخدموا الأمثلة الواقعية من حياة المخاطبين لتقريب المعاني إليهم.

المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

لنحول هذا المثل القرآني إلى منهج حياة في تعاملنا مع الله ومع الناس.

١. مفهوم "تنزيه الله عن الشركاء" - التوحيد الخالص

الآية تقول: كما لا ترضى أن يشاركك عبدك في ملكك، فلا ترضى أن يشارك الله أحد في ملكه أو عبادته. هذا هو التوحيد العملي.

. كيف تطبقه؟

. تفقد قلبك. هل فيه تعلق بأحد كتعلقك بالله؟ هل تخاف أحداً كما تخاف الله؟ هل ترجو أحداً كما ترجو الله؟ طهر قلبك من هذه الشركاء الخفية. لا يكن لأحد في قلبك منزلة تجعله شريكاً لله في المحبة أو الخوف أو الرجاء.

٢. مفهوم "الإنصاف من النفس" - قاعدة ذهبية في الأخلاق

"لا ترضى لأخيك ما لا ترضاه لنفسك". هذه الآية تعلمك أن تحتكم إلى نفسك عند الحكم على الأمور . فإذا أردت أن تعرف حكم شيء، فانظر: هل ترضاه لنفسك؟

. كيف تطبقه؟

. قبل أن تظلم أحداً، تخيل نفسك مكانه .قبل أن تغتاب أحداً، تخيل لو اغتابك هو .قبل أن تبخل على محتاج، تخيل لو كنت أنت المحتاج .هذا الميزان الفطري يهديك إلى الحق.

٣. مفهوم "العقل أداة لمعرفة الحق"

{لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}. {العقل نعمة عظيمة .استخدمه في فهم آيات الله، وفي التمييز بين الحق والباطل.

. كيف تطبقه؟

. لا تكن إمعة .اقرأ، واسأل، وناقش، وفكر .اجعل إيمانك مبنياً على القناعة العقلية، لا على التلقين الأعمى .هذا الإيمان هو الذي يصمد أمام الشبهات .
الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآية؟

1. ضرب الأمثال لهم من واقعهم: إذا أردت أن تعلم ابنك العدل، فقل له: "هل تحب أن يأخذ أخوك لعبتك ولا يعطيك إياها؟ إذن لا تأخذ لعبته". هذا هو عين ما في الآية .ثم اربطه بالتوحيد: "وكما لا تحب أن يشاركك أحد في لعبتك، فالله لا يحب أن نشرك به أحداً في عبادتنا له".
2. تدرّبهم على القياس العقلي: اسأل طفلك أسئلة تنمي عقله: "لماذا لا يصح أن نعبد الصنم؟ لأنه لا يسمع ولا يبصر .هل ترضى أن يكون لك صديق لا يسمعك ولا يراك؟". هذه المقارنات البسيطة تبني عقله المنطقي.
3. غرس كراهية الظلم: الآية تبين أن الشرك أعظم الظلم .فعلم طفلك كراهية الظلم بكل صورته .وقل له: "الظلم ظلمات يوم القيامة .فلا تظلم أحداً، ولا ترضى بالظلم لأحد".
أبعاد الآية في البناء والتنمية الحضارية

هذه الآية تحمل مبادئ إنسانية عليا تصلح لبناء الحضارات:

. البعد العقدي) تحرير الإنسان من عبودية البشر): الآية تقطع الطريق على تأليه البشر، وعلى الخضوع المطلق لغير الله .فكل البشر سواسية كأسنان المشط، والتفاضل بينهم بالتقوى .هذا المبدأ هو الذي حرر البشرية من الاستبداد والظلم.
. البعد الأخلاقي) المساواة والعدل): المثل يبين أن عدم المساواة في الملكية والتصرف أمر تأباه الفطرة السليمة .فكيف بالله تعالى؟ هذا يرسخ في المجتمع ثقافة العدل والمساواة، ويجعل الناس ينفرون من الظلم والاستئثار.
. البعد الاجتماعي) التكافل ونبذ الأنانية): الآية تدعو إلى الإنصاف، وهو أساس التكافل الاجتماعي .فالمجتمع الذي يربي أفرادَه على "عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به"، هو مجتمع متماسك متحاب .
. البعد القانوني) مبدأ القياس في التشريع): هذه الآية هي أصل في القياس الفقهي .فكما أن العقل يقيس حكم النظرير، كذلك الشريعة تقيس الفروع على الأصول .وهذا يجري الفقه ويجعله صالحاً لكل زمان ومكان.
وقفات عملية: لنعش التوحيد والإنصاف

. وقفة مع نفسك عند كل معصية: إذا هممت بذنب، اسأل نفسك: "هل أخاف أن يراني أحد؟". إذا كنت تخاف من عبد مثلك، فلماذا لا تخاف من الله الذي لا تخفى عليه خافية؟ أليس الله أحق بالخوف؟ هذه الوقفة تردعك عن المعصية.
. وقفة مع مالك ورزقك: إذا أنعم الله عليك بمال، تذكر أن المال مال الله، وأنت مستخلف فيه .فلا تستكبر على الفقراء، ولا تمنع حق الله فيه .وتذكر قوله: هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم؟ فكيف تجعل المال شريكاً لله في قلبك، أو تجعل نفسك مالكا حقيقياً والمال مال الله؟!
. وقفة مع التعامل مع الخدم والعمال: هذه الآية تعلمك أن تنظر إلى من هم تحت يدك بعين الإنصاف .فلا تكلفهم ما لا يطيقون، ولا تبخسهم أجرهم، وعاملهم كما تحب أن يعاملك من هو فوقك .
فهذا من العقل الذي مدح الله به أهله .
الخاتمة: دعوة إلى تحرير العقل والقلب

يا من أكرمك الله بالعقل، وجعلك من بني آدم المكرمين، لقد ضرب الله لك في هذه الآية مثلاً من نفسك، لتستيقظ فطرتك، وليستنير عقلك .لقد أراك أن ما تأباه لنفسك الضعيفة المحدودة، أولى أن

تأباه لله العظيم الجليل.

لا ترضى بالشرك في حياتك. لا ترضى أن يكون لله شريك في عبادتك، ولا في حبك، ولا في خوفك، ولا في رجائك. كما لا ترضى أن يشاركك عبد مملوك في ملكك، فلا تجعل لله شريكا في ملكه وسلطانه.

استخدم عقلك الذي وهبك إياه. تفكر في آياته، وتدبر أمثاله، وكن من {قَوْمٍ يَعْقِلُونَ} الذين يهتدون بهدى الله، ويسيروا على نور من ربهم.

{وَصَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه. اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب". جعلنا الله وإياكم من أهل العقول الراجحة، والقلوب الخاشعة، والأعمال الصالحة. آمين

المبحث الثاني

أيها الباحث عن الحق، يا من ألقى السمع وهو شهيد، لقد سلك بنا القرآن مسلكا عجبا في إقامة الحجة على المشركين. بدأ بالآيات الكونية الباهرة، ثم انتقل إلى الآيات النفسية الفطرية، وضرب الأمثال من واقع حياتهم، وكل ذلك ليوقظ عقولهم ويهدي قلوبهم. ولكن... ماذا بعد كل هذا البيان و التفصيل؟ لماذا يستمر بعض الناس في الضلال رغم وضوح الحق؟

هنا تأتي هذه الآية الكريمة لتكشف عن السر الحقيقي وراء الانحراف والضلال. إنها تنتقل من بيان الحق إلى تشخيص الداء الذي يمنع من اتباعه. إنها آية تكشف لك حقيقة الصراع الداخلي في النفس البشرية بين العقل والهوى، وتبين لك العاقبة الوخيمة لمن يقدم الهوى على العلم والهدى.

فلنعش معاً قوله تعالى:

{بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ} (الروم: 29)

أولاً: "بَلْ" - إضراب عن الأمل إلى الحقيقة المرة

قوله تعالى: {بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ}

انظر إلى هذا الحرف الصغير {بَلْ} في بداية الآية. إنه ليس مجرد حرف عطف، بل هو حرف إضراب وانتقال من حال إلى حال. وكان السياق يقول:

"لقد فصلنا الآيات غاية التفصيل، وضربنا الأمثال من أنفسكم، وأقمنا الحجج العقلية التي لا ترد... بل - أي دعوا عنكم كل ذلك، وانظروا إلى الحقيقة المرة - إن سبب إعراضهم ليس غموض الدليل، ولا نقصان البيان، بل هو اتباع الهوى!".

· {اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا}: لاحظ أنه لم يقل "المشركين" أو "الكافرين" فقط، بل وصفهم بـ {الَّذِينَ ظَلَمُوا}. وهذا وصف دقيق يكشف عن سبب ضلالهم. إنهم ظالمون لأنفسهم أولاً، إذ حجبوا عنها نور الحق، وقدموا لها الهوى على الهدى. وهم ظالمون للحق، إذ جحدوه بعد ما تبين لهم. وهم ظالمون لغيرهم، إذ يضلونهم عن سبيل الله.

· {أَهْوَاءَهُمْ}: الهوى هو ميل النفس إلى ما تحبه وتشتهيه، سواء كان حقاً أو باطلاً. وهو أصل كل ضلالة. والهوى هنا جمع "هوى"، مما يدل على تعدد الأهواء وكثرتها: هوى الكبر، هوى العناد، هوى اتباع الآباء، هوى حب الدنيا... كل هذه الأهواء اجتمعت فحجبت عنهم نور الحق.

· اللمة البيانية: لاحظ أن الفعل {اتَّبَعَ} يدل على التقليد والجري وراء الشيء دون روية. فهؤلاء لم يتفكروا، ولم يتدبروا، ولم يستخدموا عقولهم، بل اتبعوا أهواءهم كما يقاد الأعمى. فهوى النفس هو إمام الذي يقتدون به، لا العقل ولا الوحي.

الرسالة النفسية والعقلية:

· الهوى هو العدو الحقيقي للحق: الآية تعلمك أن أكبر حجاب بينك وبين الحق هو هوى نفسك. قد ترى الدليل واضحاً، وقد تقتنع به عقلك، ولكن هواك يمنعك من اتباعه. فجاهد نفسك، واتهم هواك،

وقدم ما يريده الله على ما تشتهيبه نفسك.
الظلم يبدأ من الداخل: {الَّذِينَ ظَلَمُوا} بدأوا بظلم أنفسهم قبل أي شيء آخر. فكل معصية وكل انحراف هو في حقيقته ظلم للنفس. فإذا أردت النجاة، فلا تظلم نفسك بإيثار الهوى على الهدى. ثانياً: "بغير علم" - متابعة الهوى في ظلام الجهل

قوله تعالى: {بغير علم}

هذه الكلمة هي المفتاح الثاني لفهم الآية. إنهم لم يتبعوا أهواءهم فقط، بل اتبعوها {بغير علم} أي في حالة من الجهل المطبق، لا يستندون إلى حجة عقلية ولا نقلية.

{بغير علم}: أي بغير برهان ولا دليل. هم يتبعون الظن والتقليد الأعمى، لا العلم واليقين. قال تعالى في موضع آخر: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ}. فهذا هو دينهم: ظن وهوى، لا علم ولا هدى. اللسمة البيانية: لاحظ أن {بغير علم} حال من فاعل {اتبع}. أي أنهم اتبعوا أهواءهم وهم جاهلون غير عالمين بعواقبها، ولا بحقيقة ما هم عليه. وهذا يزيد من قبح فعلهم، لأنهم أعرضوا عن طلب العلم، ورضوا بالجهل إماماً لهم.

الرسالة التربوية والعلمية:

العلم هو النور الذي يبدد ظلمات الهوى: هذه الآية تحثك على طلب العلم الشرعي الذي يعرفك به الحق من الباطل، وبالهدى من الضلال. فكلما ازددت علماً، قويت على مقاومة هواك الجاهل فريسة سهلة لهواه.
اتباع الهوى يؤدي إلى الجهل: من يسير وراء هواه، يعمي بصيرته عن الحق، فيزداد جهلاً وضلالاً. إنها حلقة مفرغة: هوى ← جهل ← المزيد من الهوى. فلا تبدأ هذه الحلقة أبداً.
ثالثاً: "فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ" - السؤال الذي لا جواب له

قوله تعالى: {فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ}

هذا هو الاستفهام الإنكاري الذي يقطع كل أمل في هدايتهم بعد أن اختاروا الضلال على الهدى. إنه سؤال موجه إلى كل عاقل: "من يستطيع أن يهدي من أضله الله؟". والجواب المحتوم: "لا أحد!".

{فَمَنْ يَهْدِي}: "من" استفهامية تفيد النفي. أي لا أحد يستطيع هدايته.
{مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ}: هذه هي العاقبة الطبيعية لمن اتبع هواه بغير علم. لقد أعطاهم الله العقل، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الآيات، ولكنهم أعرضوا وآثروا الضلال. فعند ذلك أضلهم الله، أي خذلهم وتركهم لما اختاروه لأنفسهم.
العدل الإلهي في الإضلال: من المهم أن نفهم أن إضلال الله ليس ظلماً، بل هو عدل وجزاء وفاق. لقد جاءتهم الهداية فرفضوها، وجاءهم العلم فأعرضوا عنه، واتبعوا أهواءهم. فكانت النتيجة أن زادهم الله ضلالاً وخذلهم. {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}. إنهم هم الذين اختاروا الضلال أولاً، فكان عقابهم أن تركهم الله ونزع الهداية من قلوبهم.
اللسمة البيانية: لاحظ أن الله لم يقل: "أضلهم" ابتداءً، بل نسب الظلم إليهم أولاً: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا}. فظلمهم واتباعهم الهوى كان السبب، وإضلال الله كان النتيجة. وهذا يبرز عدل الله وحكمته.

الرسالة العقديّة والنفسية:

الهداية بيد الله وحده: هذه الآية تزرع في قلبك التعلق بالله وحده في طلب الهداية. فلا تطلبها من أحد سواه. أكثر من دعاء: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}. واعلم أنك مهما كنت ذكياً أو عالماً، فإن هدايتك بيد الله، فلا تأمن على نفسك، واسأل الله الثبات.
الخوف من سوء الخاتمة: الآية تحذرك من الاستدراج. فمن يصر على اتباع الهوى، قد يصل إلى مرحلة يختم الله فيها على قلبه فلا يقبل الحق بعدها. وهذا هو الإضلال الذي لا هداية بعده. فبادر به التوبة قبل أن يطبع الله على قلبك.
رابعاً: "وَمَا لَهُمْ مِنْ تَاصِرِينَ" - انقطاع الأمل من كل جهة

قوله تعالى: {وَمَا لَهُمْ مِنْ تَاصِرِينَ}

هذه هي الضربة القاضية في الآية. بعد أن تبين أن لا هادي لهم، يؤكد أن لا ناصر لهم أيضاً. فمن أضله الله، لن يجد من ينصره ويدفع عنه العذاب.

· {وَمَا لَهُمْ}: أي ليس لهم.
· {مَنْ تاصرين}: "من" زائدة للتوكيد، و"ناصرين" جمع ناصر. أي ليس لهم أي ناصر على الإطلاق، لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من آلهتهم المزعومة، ولا من أعوانهم في الدنيا.
· اللمسة البيانية: لاحظ التنكير في {تاصرين}، والنفي ب- {مَا} و{مَنْ} الزائدة. كل ذلك لتأكيد انقطاع النصر بالكلية. فلا مطعم في نصر قريب ولا بعيد. وهذا هو اليأس المطلق الذي يستحقه من أعرض عن هدى الله واتبع هواه.
الرسالة النفسية والاجتماعية:

· قطع التعلق بالمخلوقين: الآية تعلمك ألا تعتمد في نجاتك على أحد غير الله. لا على حسبك ولا نسيك ولا مالك ولا جاهك. يوم القيامة، لا ينفك إلا عملك الصالح ورحمة الله. فاجعل تعلقك بالله وحده.

· التحذير من الغرور بالكثرة: قد ترى أهل الباطل كثيرين، ولهم في الدنيا أنصار وأعوان. لكن الآية تخبرك أنهم {مَا لَهُمْ مَنْ تاصرين} في الحقيقة. نصرتهم في الدنيا زائلة، وفي الآخرة هم أذلاء. فلا تغتر بباطلهم، ولا تهن في حقك.
المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

لنحول هذه الآية إلى منهج عملي لمواجهة الهوى والجهل.

1. مفهوم "اتباع الهوى بغير علم" - تشخيص المرض وعلاجه

الآية تشخص لك أكبر مرض يصيب القلب والعقل: اتباع الهوى في ظل الجهل. والعلاج هو العلم ومجاهدة النفس.

· كيف تطبيقه؟

· كلما أردت أن تتخذ قرارًا، اسأل نفسك: "هل هذا قراري لأن عقلي وشرع الله يقولان به، أم لأن نفسي تشتتته؟". تعلم أن تتهم هواك دائمًا.
· خصص وقتًا لطلب العلم الشرعي. اقرأ القرآن بتدبر، واحضر مجالس العلم، واسأل أهل الذكر. ف العلم نور يبصر بك بعيوب نفسك ويكشف لك حيل هواك.

2. مفهوم "الهداية والإضلال" - التوازن بين الخوف والرجاء

الآية تزرع فيك خوفًا من الضلال، ورجاءً في هداية الله. لا تأمن على نفسك، ولا تقنط من رحمة الله.

· كيف تطبيقه؟

· أكثر من دعاء: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك". اشعر دائمًا بفقرتك إلى هداية الله.
· إذا رأيت ضلالًا، لا تحتقره ولا تيأس من هدايته. ادع الله له، واعلم أن الله قادر على هدايته في أي لحظة.

3. مفهوم "انقطاع النصر عن أهل الباطل" - الثبات على الحق

إذا كنت على حق، وشعرت بالوحدة وقلة الناصرين، تذكر هذه الآية: {وَمَا لَهُمْ مَنْ تاصرين}. النصر الحقيقية هي النصر في الآخرة.

· كيف تطبيقه؟

· لا تطلب النصر من الظالمين، ولا تمد يدك لهم. كن مع الله، وثق أن الله ناصر لك ولو بعد حين.
· في صراعك مع نفسك وشهواتك، استعن بالله وحده. هو الناصر والمعين.
الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على مقاومة الهوى؟

1. تعليمهم الفرق بين العقل والهوى: اسأل طفلك: "عقلك يقول لك ماذا؟ ماذا تحب أن تفعل؟". إذا تعارض الجوابان، قل له: "المؤمن يقدم ما يأمره به عقله ودينه على ما يحبه هواه. هذه هي القوة الحقيقية".

2. تدريبهم على التأجيل والتأخير: من أقوى أسلحة الهوى العجلة. درب طفلك على تأجيل رغباته. قل له: "لا، ليس الآن. بعد قليل". هذا التدريب على الصبر يعلمه مقاومة هواه.

3.ربطهم بالدعاء: علمهم أن يطلبوا الهداية من الله دائماً. إذا أخطأ، لا تعنفه فقط، بل قل له: "اسأل الله أن يهديك ويثبتك. قل: اللهم اهديني وسدني".
وقفات عملية: لنواجه الهوى بالعلم والهدى

. وقفة مع النفس قبل كل عمل: قبل أن تقدم على أي عمل، اسأل نفسك: "هل هذا العمل يرضي الله أم يرضي نفسي؟". هذا السؤال البسيط هو ميزان دقيق يمنعك من اتباع الهوى.
. وقفة مع وسائل التواصل: كثير مما ننشره ونشاركه هو اتباع للهوى (رغبة في الظهور، حب الشهرة، الغضب الأعمى). قبل أن تنشر شيئاً، اسأل نفسك: "هل أنا متبع للحق أم لهواي؟". هذا يجعلك مسؤولاً عن وقتك ومحتواك.
. وقفة مع الخلافات: عندما تختلف مع شخص، تفقد نيتك. هل تريد إظهار الحق، أم إظهار نفسك وأنت المنتصر؟ الغالب هو اتباع الهوى. حاول أن تجرد نفسك، واسأل الله أن يريك الحق حقاً ويرزقك اتباعه.
الخاتمة: دعوة إلى العلم ومجاهدة الهوى

يا من تريد النجاة، لقد كشف لك القرآن في هذه الآية عن سر الضلال وسبب الهلاك: إنه اتباع الهوى بغير علم. لقد أعطاك الله العقل لتمييز به بين الحق والباطل، وأرسل إليك الرسل ليهدوك سواء السبيل، وأنزل إليك الكتاب ليكون نوراً على دربك. فهل بعد كل هذا تتبع هواك؟!

جاهد نفسك. لا تكن عبداً لهواك. استنر بالعلم، وثب بالهدى، واطلب من الله الثبات. واعلم أن من أضله الله بسبب إعراضه واتباعه لهواه، فلا هادي له ولا ناصر.

{بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِمَّن تاصرين}

فليكن شعارك: "اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله متلبساً عليّ فأضل، واجعلني من القوم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه". جعلنا الله وإياكم من أهل العلم والهدى، لا من أهل الهوى والعمى. آمين.

القسم الثالث

المبحث الأول

أيها الباحث عن الحقيقة، يا من تريد أن تعيش في سلام مع نفسك ومع الكون من حولك، فإني أبشرك بأنا نفق اليوم على آية هي من أمهات آيات القرآن، بل هي دستور الفطرة الإنسانية. بعد أن طاف بنا القرآن في رحاب الآيات الكونية والانفسية، وبعد أن أقام الحجج العقلية وأبطل الشرك، يأتي إلى الأصل الثابت الذي يبنينا عليه كل شيء: الفطرة التي فطر الله الناس عليها. إنها الآية التي تجيب على السؤال الأزلي: "لماذا نشعر بالراحة والطمأنينة عندما نعبد الله؟ ولماذا نشعر بالقلق والاضطراب عندما نبتعد عنه؟".

إنها الآية التي تكشف لك سر التناغم بين الدين الإسلامي والطبيعة البشرية، وتبين لك أن الحق ليس بكترة العدد، بل بموافقة الفطرة واتباع الوحي. فلنعش معاً قوله تعالى:

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۗ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} {الروم: 30}

أولاً: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا" - أمر بالاستقامة والتوجه الكامل

قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا}

انظر إلى فاء التعقيب {ف} في بداية الآية. إنها فاء الفصيحة التي تربط هذه الآية بكل ما سبق من حجج وبراهين. وكأنه يقول: "بعد كل ما رأيتم من آيات الله في الآفاق والأنفس، وبعد أن تبين لكم أن الشرك باطل وأن الله هو الخالق المدبر... فأقم وجهك للدين". إنها نتيجة حتمية لكل الأدلة السابقة.

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ}: هذا التعبير القرآني البليغ يعني التوجه الكامل والإخلاص التام لله وحده. أقم وجهك: أي اجعله مستقيماً متوجهاً إلى الدين، لا تلتفت يمنة ولا يسرة. إنه أمر بـ الاستقامة والثبات على الحق. والوجه هو أشرف أعضاء الإنسان، وأكثرها دلالة على اتجاهه وقصده. فإقامة الوجه للدين تعني إخلاص القصد والنية لله وحده.

{لِلدِّينِ}: أي لدين الإسلام، الذي هو دين جميع الأنبياء. دين التوحيد الخالص.

{حَنِيفًا}: الحنيف هو المائل عن الباطل إلى الحق، المائل عن الشرك إلى التوحيد. وهو وصف مدح

عظيم. فالله يأمر نبيه ﷺ وأُمَّته أن يكونوا حنفاء، أي مائلين عن كل ما سوى الله، مقبلين عليه بكليتهم.

الرسالة العملية:

. الاستقامة على دين الله: الآية تأمر أن تكون مستقيماً على دين الله في كل أمور حياتك. لا تكن ممن يعبد الله في المسجد ثم ينساه في السوق. أقم وجهك لله في صلاتك، وفي عملك، وفي علاقاتك، وفي كل حركاتك وسكناتك.
ثانياً: "فَطَرَتِ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" - التناغم بين الدين والفطرة

قوله تعالى: {فَطَرَتِ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}

هذه هي الآية المحورية التي تكشف سر التوافق بين الإسلام وطبيعة الإنسان. إنها توضح أن دين الإِسلام ليس شيئاً غريباً مفروضاً من الخارج، بل هو امتداد طبيعي لما جُئِلت عليه النفوس في أصل خلقها.

{ فَطَرَتِ اللَّهُ: الفطرة هي الخلقة الأصلية التي خلق الله الإنسان عليها. وهي الحالة التي يكون عليها المولود قبل أن تؤثر فيه البيئة والتربية. والفطرة السليمة تهدي إلى الله، وتشعر بوجوده، وتحبه، وتعبد. ولذلك قال النبي ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". ف الإسلام هو دين الفطرة، أي الدين الذي يتوافق مع ما خلق الله الإنسان عليه.
{ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا: أي التي خلق الناس جميعاً عليها. كل إنسان، في أصل خلقته، مفطور على التوحيد والإقرار بالله. والدليل أن الإنسان في الشدائد والمخاوف يتجه بفطرته إلى الله، حتى لو كان ملحدًا في الظاهر.
. اللمة البيانية: نصب { فَطَرَتِ } على المصدرية بتقدير فعل: "فطر الله الناس على تلك الفطرة". أو على الإغراء: "الزموا فطرة الله". وفي هذا تأكيد على أهمية التمسك بهذه الفطرة وعدم الانحراف عنها.

**سر السعادة: التناغم بين الدين والفطرة

هنا يكمن سر السعادة الحقيقية التي يبحث عنها كل إنسان. عندما يستقيم الإنسان على دين الله، فإنه في الحقيقة يعود إلى فطرته الأصلية. إنه يعيش في وئام مع نفسه، ومع الكون من حوله. هذا التناغم بين الدين والفطرة هو مصدر الطمأنينة والسكينة.

. مثال توضيحي: تخيل أن لديك جهازًا صُمم ليعمل على كهرباء ٢٢٠ فولت. إذا وصلته بتيار ١١٠ فولت، فسيعمل بضعف ويتعطل. وإذا وصلته بتيار ٣٨٠ فولت، فسيحترق. الجهاز لا يعمل بكفاءة إلا بتيار الذي صُمم له. كذلك الإنسان، خلق ليعبد الله ويتصل به. فإذا ابتعد عن الله، عاش في ضعف وقلق واضطراب. وإذا انغمس في الشهوات والماديات، احترق قلبه وروحه. أما إذا استقام على دين الله، فإنه يعيش في تياره المناسب، فيشعر بالراحة والسعادة والطمأنينة. {أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}. ثالثاً: "لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ" - ثبات الفطرة وأحكام الدين

قوله تعالى: {لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ}

هذه الجملة تحمل معنيين عظيمين، كلاهما صحيح:

1. المعنى الأول: لا تبديل للفطرة التي فطر الله الناس عليها. أي أن هذه الفطرة ثابتة في أصل الخلقة، لا تتغير ولا تتبدل. قد تطمسها الشهوات والشبهات، وقد تغطيها التقاليد والعادات، لكنها تبقى كامنة في أعماق النفس، تظهر عند الشدائد أو عند التأمل الصادق.
2. المعنى الثاني: لا تبديل لدين الله وأحكامه. فالدين الذي ارتضاه الله لعباده، وهو الإسلام، هو دين ثابت لا يتغير بتبدل الأزمان والأماكن. أحكامه الأساسية وقيمه ومبادئه خالدة، لأنها من عند الخالق الذي يعلم ما يصلح عباده في كل زمان ومكان.

. اللمة البيانية: لاحظ أن النفي هنا بـ {لَا} النافية للجنس، مما يفيد العموم والاستغراق. أي لا أي تبديل على الإطلاق. وهذا يقطع الطريق على كل من يحاول تغيير دين الله أو طمس الفطرة. رابعاً: "ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ" - الدين المستقيم الذي لا عوج فيه

قوله تعالى: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}

بعد أن بين أن هذا الدين هو فطرة الله، وأنه لا تبديل له، أكد أنه الدين القيم.

{تِلْكَ}: اسم إشارة للبعيد، للدلالة على علو منزلته ورفعة شأنه.
{الدينُ القيمُ}: القيم هو المستقيم الذي لا عوج فيه. وهو القائم على مصالح العباد في دنياهم وأخراهم. وهو الثابت الذي لا يتزلزل. فكل هذه المعاني مجتمعة في كلمة {القيم}. {إنه الدين الذي إذا تمسكت به، استقامت حياتك، وصلحت أمورك.
خامساً: "وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" - الحق ليس بكثرة العدد

قوله تعالى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}

وهنا يأتي التعقيب الحاسم الذي يجيب على سؤال مهم: إذا كان الإسلام هو دين الفطرة، وهو الدين القيم، فلماذا أكثر الناس معرضون عنه؟ ولماذا يرفضونه؟

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}: السبب هو الجهل. ليس جهل القراءة والكتابة، بل جهل الحقيقة. إنهم لا يعلمون أن هذا الدين هو فطرتهم، ولا يعلمون أنه سبيل سعادتهم، ولا يعلمون حكمة الله في شرعه.

. الحق ليس مع الاكثرية: هذه الآية تصحح مفهوماً خاطئاً شائعاً، وهو أن الكثرة دليل على الحق. كلا! فالله يخبرنا أن أكثر الناس لا يعلمون. فالحق هو ما وافق الفطرة والوحي، لا ما وافق أهواء الأَكْثَرِيَّةِ. {وَأَن تَطْعَمَ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}. {الأكثرية في كل زمان هم الجاهلون الذين يصنعون لأنفسهم أهدافاً وغايات لا تخرج عن نطاق المادة والعلم الظاهري، كما بينت الآية السابقة: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}. هؤلاء هم الاكثرية، فاحذر أن تغتر بهم.

الرسالة العقلية والنفسية:

. لا تستوحش من قلة السالكين: إذا رأيت نفسك على الحق، ورأيت الناس في غفلة، فلا تستوحش. فالحق دائماً مع القلة المؤمنة، لا مع الكثرة الغافلة. كن مع الله، ولو كنت وحدك.
. اطلب العلم النافع: سبب جهل الاكثرية هو إعراضهم عن العلم الحقيقي. فكن أنت من القلة العالمين. اطلب العلم الذي يعرفك بالله، وبنفسك، وبالحق من الباطل.
**المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟
١. مفهوم "الفطرة" - العودة إلى الأصل

كل إنسان يحمل في أعماقه بوصلة فطرية تشير إلى الله. مهمتك هي أن تزيل ما تراكم عليها من شوائب الشهوات والشهوات، لتستمع إلى صوتها بوضوح.

. كيف تطيقه؟

. خصص أوقاتاً للخلو والتأمل. في هذه الخلوات، أسأل نفسك: "ماذا تريد نفسي حقاً؟ ما الذي يشعرني بالسعادة الحقيقية؟". ستجد الجواب في أعماقك: "القرب من الله".
. عند اتخاذ قرار، استشر قلبك بعد استشارة عقلك وشرعك. فالقلب السليم هو مرآة الفطرة. قال النبي ﷺ: "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في الصدر".

٢. مفهوم "الدين القيم" - منهج حياة متكامل

الدين ليس مجرد شعائر، بل هو منهج حياة كامل ينظم علاقتك بالله، وبنفسك، وبالناس. هو الدين القيم الذي يقوم على مصالحك في كل شيء.

. كيف تطيقه؟

. لا تفصل الدين عن حياتك اليومية. اجعل الإسلام مرجعيتك في عملك، في أسرتك، في علاقاتك، في أخلاقك. عندها ستشعر بمعنى {الدينُ القيمُ}.

٣. مفهوم "الحق ليس بكثرة" - الثبات في زمن الفتن

في زمن كثرت فيه الفتن وتنوعت الأفكار، تذكر أن الحق واحد، وهو ما وافق فطرة الله وشرعه، حتى لو قال به القليل.

. كيف تطبقه؟
. لا تنجرف وراء الترددات والموضات الفكرية والاجتماعية التي تخالف دينك وفطرتك. كن ناقدًا بصيرًا. ابحث عن الحق بدليله، لا بعدد متبعيه.
. إذا شعرت بالغبرة بسبب تمسكك بدينك، تذكر قول النبي ﷺ: "بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء."
*الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على الفطرة؟

1. حماية الفطرة من التشويه: احم طفلك مما يشوه فطرته من مشاهد وأفكار هدامة. قدم له البديل النظيف الجميل: القرآن، قصص الأنبياء، الطبيعة. الفطرة كالمرآة الصافية، يجب أن نحميها من الغبار.
2. تنمية الفطرة بالعبادة والتأمل: علمه الصلاة والصيام والذكر. هذه العبادات تغذي الفطرة وتقويها. كما أن التأمل في الطبيعة والكون يقوي الإيمان الفطري في نفسه.
3. تعليمه أن الكثرة ليست معيارًا: إذا سألك طفلك: "لماذا كل أصحابي يفعلون كذا وأنا لا أفعله؟". قل له: "لأن الحق ليس مع الأكثرية يا حبيبي. المؤمن يتبع ما يرضي الله، حتى لو كان وحده. تذكر قصة سيدنا نوح، كم كان عدد الذين آمنوا معه؟ قليل جدًا. لكنهم هم الفائزون."
وقفات عملية: لنعش الفطرة والدين القيم

. وقفة مع الفجر: استيقظ لصلاة الفجر. إنه وقت صفاء الفطرة. عندما تسجد وتقترب من الله، تشعر بأنك عدت إلى أصلك، وكأن كل هموم الدنيا قد زالت.
. وقفة مع الطبيعة: اخرج إلى مكان مفتوح، إلى البحر أو الجبل أو الصحراء. تنفس بعمق، وانظر إلى السماء والأرض. ستشعر بفطرتك تهتف: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا}. (هذا هو صوت الفطرة الحية).
. وقفة مع قرار مصيري: إذا احترت بين أمرين، أحدهما يرضي الله والآخر يرضي الناس، فاختر ما يرضي الله. ستجد أن قلبك قد اطمأن، لأنك اتبعت الفطرة والدين القيم.
الخاتمة: العودة إلى الفطرة هي طريق السعادة

يا من تبحث عن السعادة، لقد وضع الله لك خريطة الطريق في هذه الآية الكريمة. السعادة ليست في جمع المال، ولا في الشهرة، ولا في اتباع الأكثرية. السعادة هي في العودة إلى فطرتك، وفي إقامة وجهك للدين القيم.

لقد فطرك الله على التوحيد، وعلى حب الخير، وعلى طلب الكمال. ودينه الإسلامي هو الذي يوافق هذه الفطرة وينميها. فلا تشذ عن أصل خلقك، ولا تكن ممن طمس على فطرته فشقي في الدنيا والآخرة.

كن من القلة العالمين، الذين يعرفون أن الحق ليس بكثرة العدد، بل بموافقة فطرة الله ودينه القيم. أقم وجهك لله، وستجد السعادة والطمأنينة في كل خطوة تخطوها.

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۖ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم فاطر السماوات والأرض، فاطر الفطرة على التوحيد، أقم وجهي لدينك القيم، وثبتني عليه، واجعلني من القلة العالمين الذين يعرفون الحق فيتبعونه، ولا تجعلني من الأكثرية الجاهلين". جعلنا الله وإياكم من الحنفاء المقيمين وجوههم لله، السائرين على الفطرة السليمة. آمين

. المبحث الثاني

أيها المؤمن الباحث عن طريق الوحدة والائتلاف، يا من تؤرقه رؤية الأمة ممزقة مشتتة، فإني أبشرك بأننا نقف اليوم على آيتين كريمتين تكشفان أصل الداء الذي مزق الأمة، وأساس الداء الذي يعيدها أمة واحدة. بعد أن أمرنا الله بإقامة الوجه للدين الحنيف، وبيّن أن هذا الدين هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، جاءت هاتان الآيتان لتضعنا شرط الاستقامة وخطر الانحراف.

إنهما آيتان تربطان بين الشرك والتفرق، بين الانحراف عن التوحيد وتمزيق وحدة الأمة. إنهما تشرحان لك كيف أن الخروج عن الدين القيم لا يكون فقط في عبادة الأصنام، بل في اتباع الهوى والتفرق إلى شيع وأحزاب، كل حزب يفرح بما عنده من باطل، ويظن أنه وحده على الحق.

فلنعش معًا قوله تعالى:

{مُتَّبِعِينَ لِحُكْمِهِ وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (الروم: 31)

{مَنْ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا ۗ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} {الروم: 32}
أولاً: "مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ" - حالة الرجوع الدائم إلى الله

قوله تعالى: {مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ}

بعد الأمر السابق: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا}، تأتي هذه الكلمة لتوضح كيفية إقامة الوجه للدين، و الحال التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن.

{مُتَّبِعِينَ}: الإنابة هي الرجوع إلى الله بالتوبة والطاعة والإخلاص. وهي حالة مستمرة، وليست مجرد فعل عابر. فالمؤمن منيب إلى ربه في كل حين، يرجع إليه عند الشدة والرخاء، عند الذنب والتوبة، عند النعمة والشكر. والإنابة أبغ من التوبة، فهي تعني الرجوع الكامل مع الاستمرار على ذلك.
{إِلَيْهِ}: تقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص. أي أن إنابتهم لله وحده، لا يشركون معه أحداً. فرجوعهم إليه خالصاً من كل شائبة.

. للمسة البيانية: نصب {مُتَّبِعِينَ} {على الحال من فاعل} فَأَقِمْ. {أي: "أقم وجهك للدين حال كونك منيباً إلى الله". وهذا يدل على أن الاستقامة على الدين لا تكون إلا بالإنابة المستمرة إلى الله. فمن أراد أن يثبت على الحق، فعليه أن يداوم على الرجوع إلى الله في كل أموره.

الرسالة العملية:

. الإنابة المستمرة: لا تكن ممن ينيب إلى الله عند الشدة فقط، ثم يعرض عند الرخاء. اجعل حياتك كلها إنابة ورجوعاً إلى الله. في كل صباح، جدد توبتك، وفي كل مساء، راجع نفسك. فالإنابة هي زاد الطريق إلى الله.

ثانياً: "وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ" - ثمرتا الإنابة

قوله تعالى: {وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}

بعد الأمر بالإنابة، جاء الأمر بالتقوى وإقامة الصلاة. وهما ثمرتان عظيمتان للإنابة الصادقة.

{وَاتَّقُوهُ}: التقوى هي الخوف من الله ومراقبته في السر والعلن، بفعل أوامره واجتناب نواهيه. فمن أناب إلى الله حقاً، أثمرت إنابته تقوى في قلبه، فصار يراقب ربه في كل خطوة.
{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}: خص الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات، لأنها عماد الدين، وهي الصلة الدائمة بين العبد وربّه. فمن أناب إلى الله، واتقاه، حرص على إقامة الصلاة بكل أركانها وخشوعها. وإقامتها تعني أداءها كاملة تامة في أوقاتها.

. للمسة البيانية: لاحظ الترتيب: إنابة أولاً (وهي عمل القلب، ثم تقوى) وهي مراقبة الله في كل شيء، ثم إقامة الصلاة) وهي العبادة البدنية الظاهرة. (إنه ترتيب منطقي: صلاح القلب يتبعه صلاح الجوارح. فلا تقوى بغير إنابة، ولا صلاة مقبولة بغير تقوى.

الرسالة التربوية:

. بناء الإيمان من الداخل إلى الخارج: الآية تعلمك أن تبدأ بإصلاح قلبك (الإنابة)، ثم يتبع ذلك صلاح سلوكك (التقوى)، ثم تظهر آثاره على جوارحك (إقامة الصلاة). (فلا تكن ممن يهتم بالمظاهر ويغفل عن إصلاح قلبه.

△ ثالثاً: "وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" - النهي عن أصل كل انحراف

قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

هذا هو النهي الحاسم الذي يربط الآية بما قبلها. بعد أن أمرهم بالإنابة والتقوى وإقامة الصلاة، نهاهم عن أصل كل بلاء: الشرك.

{وَلَا تَكُونُوا}: نهى بصيغة المضارع، يدل على استمرار ترك الشرك. فلا تكن من المشركين في أي وقت من الأوقات.

{مِنَ الْمُشْرِكِينَ}: "من" للتبعيض. أي لا تكونوا واحداً منهم، ولا تسلكوا سبيلهم، ولا تتشبهوا بهم. ف المؤمن يجب أن يكون مفارقاً للمشركين في عقيدتهم وأعمالهم.

. للمحة الدقيقة: لماذا جاء النهي عن الشرك بعد الأمر بالإنابة والتقوى والصلاة؟ لأن الشرك هو نقيض الإنابة. فالمنيب يرجع إلى الله وحده، والمشرك يرجع إلى غيره. والشرك هو مفسد التقوى، فالمشرك لا

يتقي الله حق تقاته. والشرك هو مبطل الصلاة، فالله لا يقبل صلاة مشرك. إذن، كل هذه الأوامر لا تتحقق إلا باجتناب الشرك.

الرسالة العقديّة:

. التوحيد أساس كل عمل: الآية تؤكد أن التوحيد هو الأصل الذي تبنى عليه كل الأعمال الصالحة . فإذا فسد التوحيد بالشرك، فسدت كل الأعمال . فاحرص على سلامة توحيدك قبل أن تحرص على كثرة أعمالك.

رابعاً: "مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا" - العلاقة بين الشرك والتفرق

قوله تعالى: {مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا}

هنا تأتي الصدمة التي تكشف العلاقة العضوية بين الشرك وتفريق الدين. "من المشركين" الذين هذه صفتهم: {فَرَقُوا دِينَهُمْ}.

{مِنَ الَّذِينَ}: بدل من {المُشْرِكِينَ}، أو بيان لهم . فهؤلاء المشركون فرقوا دينهم . وهذا يدل على أن تفريق الدين والتحزب من خصائص المشركين، وليس من صفات المؤمنين الموحدين .
{فَرَقُوا دِينَهُمْ}: أي جعلوه أجزاءً وأحزاباً، بعد أن كان ديناً واحداً . أصل الدين واحد) التوحيد، لكنهم فرقوه ببدعهم وأهوائهم . بعضهم عبد الأصنام، وبعضهم عبد الملائكة، وبعضهم عبد النار ... وهكذا تفرقوا.

{وكانوا شِيْعًا}: أي أحزاباً وفرقاً، كل فرقة تتعصب لما هي عليه، وتعاد غيرها . وهذا هو الانقسام الذي ينهى عنه الإسلام . قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} .
. الربط بين الشرك والتفرق: لماذا كان المشركون هم الذين يفرقون دينهم؟ لأن الشرك يعني اتباع الأهواء المتعددة . فكل مشرك له هواه الذي يعبده من دون الله . وتعدد الآلهة يؤدي حتماً إلى تعدد الأديان، ومن ثم التفرق والاختلاف . أما التوحيد، فيجمع القلوب على إله واحد، وقبله واحدة، ودين واحد . فالتوحيد يجمع، والشرك يفرق . ولذلك فإن أول ما يظهر الشرك والبدع في الأمة، تظهر معها الفرقة والانقسام.

الرسالة الاجتماعية والسياسية:

. الشرك والبدع أصل الفرقة: إذا رأيت الأمة ممزقة شيعاً وأحزاباً، فاعلم أن أصل الداء هو البعد عن التوحيد الخالص، وظهور البدع والأهواء . فكلما قوي التوحيد في القلوب، قويت الوحدة . وكلما ضعف التوحيد وكثرت البدع، كثر التفرق . هذه معادلة قرآنية دقيقة .
. لا تكن من المفرقين: احذر أن تكون سبباً في تفريق الأمة، بالتعصب لرأي أو حزب أو جماعة، ونسيان الأصل الجامع) التوحيد والسنة . (كن جامعاً لا مفرقاً .
خامساً: "كلّ حزب بما لديهم فرخون" - الفرخ بالباطل وتزيينه

قوله تعالى: {كلّ حزب بما لديهم فرخون}

وهذه هي الطامة الكبرى التي تمنعهم من الرجوع إلى الحق . لم يكتفوا بالتفرق، بل إن كل فرقة فرحة معجبة بما عندها .

{كلّ حزب}: الحزب هو الجماعة من الناس تجمعهم أهداف أو أهواء واحدة .
{بما لديهم}: أي بالذي عندهم من الدين المحرف، والمذهب الباطل، والرأي الفاسد .
{فرخون}: أي مسرورون معجبون بما هم فيه . هذا الفرخ هو أخطر شيء، لأنه يمنعهم من قبول الحق، ويجعلهم يعتقدون أنهم هم المصيبون وغيرهم المخطئون . وهذا هو حال أهل البدع في كل زمان . هم أشد الناس فرحاً ببدعتهم، وأكثرهم تعصباً لها، وأبعدهم عن قبول الحق المخالف لها .
. اللامسة البيانية: لاحظ أن الله لم يقل: "كل حزب بما لديه متمسك"، بل قال: {فرخون} . وهذا أبلغ، لأن الفرخ بالباطل يدل على الرضا التام به، والاطمئنان إليه . وهذا هو استدراج الشيطان لأهل البدع، حيث يزين لهم سوء أعمالهم فيرونها حسنة .

الرسالة النفسية والعقلية:

. الفرخ بالحق لا بالباطل: لا تفرح بمجرد كونك في جماعة أو حزب، بل افرح بأن تكون على الحق و التوحيد والسنة . الفرخ الذي يمنع من قبول الحق هو فرح مذموم، أما الفرخ بفضل الله ورحمته

وهديته فهو فرح محمود.
· الخوف من الاغترار بالباطل: الآية تحذرك من الاغترار برأيك أو جماعتك. لا تظن أن مجرد كثرة العدد أو شدة التمسك دليل على الحق. فقد يكون القوم فرحين بباطلهم. كن ناقدًا لنفسك، واسأل الله دائماً أن يريك الحق حقًا ويرزقك اتباعه.
المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيتين في حياتنا العملية؟

١. مفهوم "الإنبابة" - حياة القلب مع الله

الإنبابة هي حالة قلبية دائمة تجعلك في صلة مستمرة مع الله. هي التوبة المتجددة، والرجوع الدائم إليه في كل صغيرة وكبيرة.

· كيف تطبقه؟
· اجعل لك وردًا يوميًا من الاستغفار والتوبة. قل: "أستغفر الله وأتوب إليه" بقلب حاضر. واجعل لكل ذنب توبة خاصة.

٢. مفهوم "الشرك يفرق الجماعة" - وحدة الصف بالتوحيد

إذا أردت أن ترى وحدة الأمة، فابحث عن توحيدها. وإذا رأيت فرقتها، فابحث عن الشرك والبدع التي دخلت عليها. علاج التفرق هو العودة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع.

· كيف تطبقه؟
· كن داعيًا إلى جمع الكلمة على أصول الدين والثوابت المتفق عليها. لا تشغل بالخلافات التي تفرق الصف. ركز على ما يجمع الأمة: القرآن والسنة بفهم سلف الأمة.

٣. مفهوم "الفرح بالباطل" - خطر الغرور الفكري

لا تكن مغرورًا برأيك أو جماعتك. كن متواضعًا للحق، مستعدًا لترك رأيك إذا تبين لك أنه خطأ.

· كيف تطبقه؟
· أكثر من دعاء: "اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه".
· إذا اختلفت مع أحد، فلا تجعل هدفك الانتصار لنفسك، بل الوصول إلى الحق. كن منصفًا، واعترف بالحق ولو كان مع غيرك.
الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على الوحدة ونبذ الفرقة؟

1. تربية الطفل على التوحيد أولاً: قبل أن تعلمه الفقه والعبادات، رسخ في قلبه التوحيد. عرفه بربه، بحبه، بعظمته. فالقلب الموحد هو قلب سليم من الفرقة.
2. تعليمه حب الجماعة ونبذ التعصب: علمه أن يحب المسلمين جميعًا، وألا يتعصب لجماعة أو حزب أو طائفة. قل له: "نحن نحب كل من قال لا إله إلا الله. نتعاون معهم على الخير، ونبتعد عن الجدل الذي يفرق".

3. تدريبيه على قبول الحق: إذا أخطأت أمام طفلك، اعتذر له. هذا يعلمه التواضع وقبول الحق. وإذا اختلفت معه في رأي، ناقشه بهدوء، وعلمه أن الحق هو الذي يجب أن نتبعه، لا الرأي الذي نتمسك به.

وقفات عملية: لنعش التوحيد والوحدة

· وقفة مع النفس عند التعصب: إذا وجدت نفسك تتعصب لرأي أو جماعة، تذكر هذه الآية: {من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعًا}. (واسأل نفسك: "هل أنا الآن من المفرقين أم من الجامعين؟").
· وقفة مع الخلاف: عندما تختلف مع أخيك المسلم، تذكر أنكما تجتمعان على كلمة التوحيد. هذا الجامع المشترك أكبر من أي خلاف فرعي. قل له: "يجمعنا التوحيد، ولنختلف بالتي هي أحسن".
· وقفة مع البدع: إذا رأيت بدعة منتشرة، لا تفرح بها ولا تشارك فيها، بل أنكرها بقلبك واسع لإحياء السنة. تذكر أن البدع هي التي فرقت الأمم السابقة.
الخاتمة: التوحيد يجمع والشرك يفرق

يا أيها المؤمن، لقد كشفت لك هاتان الآيتان عن قانون إلهي ثابت: التوحيد الخالص يجمع القلوب على الله، والشرك والأهواء والبدع تفرقها شيعًا وأحزابًا. فإذا أردت أن تكون من الجامعين لا من المفرقين، فاثبت على التوحيد، وكن منيبًا إلى ربك، متقيًا له، مقيمًا لصلاته.

لا تكن من الذين فرحوا بباطلهم، وتفرقوا في دينهم. كن من أهل السنة والجماعة، الذين يجتمعون على الكتاب والسنة، وينبذون الفرقة والاختلاف.

{مُيَبِّينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \ *مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم إني أسألك توحيدًا خالصًا يجمع قلبي على حبك، ويجمع أمتي على طاعتك، ويجنبي الشرك والبدع والفرقة. اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه".

القسم الرابع المبحث الأول

أما بعد، أيها الإنسان الذي خبر الحياة وتقلباتها، يا من ذاق طعم الشدة وذاق طعم النعمة، لقد سلك بنا القرآن مسالك العقول والقلوب، وأرانا آيات الله في الآفاق والأنفس، وضرب لنا الأمثال، وأقام علينا الحجج. والآن، ينزل بنا إلى الواقع البشري الذي نعيشه جميعاً، ويكشف لنا عن تناقض عجيب في طبيعة الإنسان عندما ينسى فطرته. إنها الآيات التي تصور لك مشهدين متقابلين: مشهد الضراعة في الشدة، ومشهد الجحود في الرخاء. ثم تفضح الافتراء على الله بغير سلطان.

تعالَ معي، نعش هذه المشاهد وكأننا نراها رأي العين، ولنضرب لها أمثلة واقعية من حياتنا اليومية، لتكون هذه الآيات مرآة نرى فيها أنفسنا، فنصح مسارنا قبل فوات الأوان.

{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} (الروم: 33)

{لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۖ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} (الروم: 34)
{أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} (الروم: 35)
أولاً: المشهد الأول - الضراعة الصادقة في الشدة

قوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ}

تأمل معي هذا المشهد الذي يتكرر في كل زمان ومكان. إنه مشهد إنساني أصيل، تكشف فيه الفطرة عن وجهها الحقيقي، وتعود إلى خالقها طائعة خاضعة.

{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ: الضر هو كل ما يسوء الإنسان: مرض، فقر، خوف، غرق، زلزال، ظلم... كلمة {مَسَّ} توحي بأن الضر مجرد لمسة خفيفة، ومع ذلك تهز كيان الإنسان. فكيف إذا اشتد الضر وعظم؟! و"الناس" هنا عام يشمل المؤمن والكافر. فالضر لا يفرق بين أحد.
{دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ}: انظر إلى رد الفعل الفوري! في تلك اللحظة الحرجة، يختفي كل شيء: تختفي الأصنام، وتختفي الوسائط، وتختفي الأسباب الظاهرة. لا يبقى إلا الله وحده. يدعونه {مُنِيبِينَ}، أي راجعين إليه بكليتهم، خاشعين متضرعين. إنها لحظة صدق مطلقة، حيث تعود الفطرة إلى أصلها.
· مثال واقعي تقريبي: تخيل معي سفينة في عرض البحر، والأمواج تتلاطم من كل جانب كالجبال، و الرياح العاتية تعصف بها. الكل على متنها، المؤمن والكافر، الغني والفقير. في تلك اللحظة، ينسى الملحد إلهاده، وينسى عابد الصنم صنمه. الكل يرفع يديه إلى السماء، ويهتف من أعماق قلبه: "يا رب! يا رب!". لماذا؟ لأن الفطرة التي فطرهم الله عليها قد استيقظت، وعلمت أن لا منجى ولا ملجأ إلا إلى الله. هذا المشهد يتكرر في كل طائفة تضطرب في الجو، وفي كل مريض على فراش الموت، وفي كل مظلوم لا يجد له ناصرًا.

الرسالة النفسية:

· الشدة توظف الفطرة: الآية تعلمك أن الشدة ليست شرًا محضًا، بل قد تكون رحمة من الله، لأنها توظفك من غفلتك، وتعيدك إلى فطرتك، وتجعلك تتوجه إلى الله بصدق. فلا تجزع من الشدة، بل اعتبرها جرس إنذار يذكرك بالرجوع إلى الله.
ثانيًا: المشهد الثاني - النسيان والجحود في الرخاء

قوله تعالى: {ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}

وهنا يحدث التحول الدرامي المؤسف. بعد أن كشف الله عنهم الضر، وأنعم عليهم بالنجاة والعافية، ماذا يفعلون؟

{ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً}: "ثم" للتراخي الزمني. تمر الأيام، وينجلي الخطر، وتأتي النعمة. الرحمة هنا هي العافية، النجاة، المال، الصحة. والتعبير بـ {أَذَاقَهُمْ} يدل على أنهم تذوقوا طعم هذه الرحمة، وشعروا بها تمامًا.

{إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}: "إذا" الفجائية تصور سرعة نسيانهم لله بعد أن أنقذهم. ما إن تزول الشدة، حتى يعود فريق منهم) وليس كلهم، فالمؤمنون الصادقون يشكرون (إلى الشرك بالله. كيف؟ يجعلون له شركاء في العبادة، أو ينسبون النعمة إلى غير الله: "لولا فلان لهلكنا"، "هذا بشفاعه الكاهن الفلاني"، "هذه صدقة طبيعية!".

· مثال واقعي تقريبي: عد بذاكرتك إلى قريب لك أو صديق أصابه مرض عضال. كم كان متضرعًا إلى

الله في محرابه! كم كان يعد الله بالتوبة والاستقامة إن شفاه! فلما شفاه الله وعادت إليه عافيته، عاد إلى غفلته، بل ربما تجرأ على المعاصي أكثر من قبل، ونسب شفاهه إلى براعة الطبيب وحده، ونسي أن الله هو الشافي. أليس هذا هو الشرك الخفي الذي يحذر منه القرآن؟!
· مثال آخر: رجل كان يمر بضائقة مالية، يدعو الله ليل نهار أن يفرج عنه. فلما فتح الله عليه أبواب الرزق، قال: "هذا بذكائي وتجارتي!"، ونسي أن يذكر فضل الله عليه.

الرسالة التربوية والعملية:

· الشكر في الرخاء هو الاختبار الحقيقي: الشدة تدفعك للدعاء اضطرارًا، أما الرخاء فهو الاختبار الحقيقي لإيمانك. هل تبقى منيبًا إلى الله كما كنت في الشدة؟ أم تنساه وتنسب النعمة لغيره؟ كن عبدًا شكورًا، لا عبدًا كئودًا.
· تذكر دائمًا من أنقذك: كلما تذكرت نعمة أنقذك الله بها من شدة، قل بقلبك ولسانك: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي}. هذا يجعلك في حالة إنابة دائمة، لا تنقطع بزوال الشدة.
ثالثًا: التهديد المبطن - تمتعوا قليلاً

قوله تعالى: {ليَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ} ۖ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}

بعد أن بين فعلتهم الشنيعة (الشرك بعد النجاة)، يأتي التعقيب الإلهي المليء بالوعيد والتهديد.

{ليَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ}: اللام هنا لام العاقبة أو الصيرورة. أي أن عاقبة أمرهم ومصيرهم هو الكفر بنعم الله التي آتاهم إياها. فبدل أن تكون النعمة سببًا للشكر، صارت سببًا للكفر والجحود.
{فَتَمَتَّعُوا}: هذا أمر تهديد ووعيد. ليس أمرًا بالتمتع، بل هو إذن لهم بالتمتع مؤقتًا في هذه الدنيا الفانية. وكأنه يقول لهم: "ما دمتم مصرين على كفركم، فتمتعوا بملذاتكم الدنيوية الزائلة!"
{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}: هذا هو الختام المرعب "سوف" تفيد الاستقبال البعيد، أي في الآخرة. ستعلمون عاقبة كفركم وجحودكم عندما تواجهون العذاب الأليم. إنها كلمة تقشعر لها الأبدان، وتجعل العاقل يراجع نفسه قبل فوات الأوان.
· مثال واقعي تقريبي: تخيل أبا حكيماً قال لابنه: "انذهب العب بالنار إن شئت، فسوف تعلم!". هل هذا إذن بالعب؟ كلا! بل هو تحذير مبطن من العاقبة الوخيمة. كذلك الله يقول لهم: "تمتعوا بكفركم في هذه الدنيا القصيرة، فسوف تعلمون غداً أي عذاب ينتظركم!"

الرسالة العقلية:

· المتاع الدنيوي زائل: الآية تذكرك أن الدنيا دار متاع مؤقت، وليست دار قرار. فلا تغتر بزخارفها، ولا تنس الآخرة بسببها. تمتعك الحقيقي هو في الجنة، فاعمل لها.
· الخوف من سوء العاقبة: تذكر دائماً جملة {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}. إذا هممت بمعصية أو جحود نعمة، تذكر أن هناك يوماً ستعلم فيه عاقبة فعلك. هذا الخوف يردعك عن الاستمرار في الغفلة.
رابعًا: سؤال الإفحام - هل من حجة على الشرك؟

قوله تعالى: {أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ}

بعد كل هذه المشاهد، يعود القرآن إلى منطق الحجة العقلية الذي بنى عليه السورة كلها. إنه سؤال إنكاري بمعنى النفي والتوبيخ.

{أَمْ}: هي أم المنقطعة، وتأتي بمعنى بل للإضراب والانتقال، مع استفهام إنكاري. "بل أنزلنا عليهم...؟".
{أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا}: أي حجة وبرهانًا وكتابًا. والسلطان هو الدليل القاطع.
{فَهُوَ يَتَكَلَّمُ}: أي هذا الكتاب أو الدليل ينطق ويشهد بصحة ما هم عليه من الشرك.
{بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ}: أي بالشرك الذي يفعلونه. والمعنى: هل أنزلنا عليهم كتابًا من السماء، أو أعطيناهم دليلاً قاطعاً، يخبرهم أن الشرك حق، وأن ما يعبدون من دون الله صحيح؟! الجواب: لا، لم نفعل! إذن، من أين أتوا بهذا الشرك؟ لا مصدر له إلا الجهل والهوى والتقليد الأعمى.
· مثال واقعي تقريبي: تخيل أن رجلاً يزعم أن دواءً معيناً يعالج مرضاً خطيراً. فإذا سألته: "من أين عرفت؟ هل لديك وصفة طبية من طبيب مختص؟". فإن قال: "لا، هذا ما وجدت عليه أبائي!". فهل تصدقه؟! كلا، لأن الدليل مفقود. كذلك المشركون، يدعون أن الأصنام تشفع وتضر وتنفع. فإذا سألهم الله: {أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا}، أي هل أعطيناكم دليلاً على ذلك؟ فالجواب: لا. فدينهم بلا دليل، بل هو هوى وتقليد أعمى.

الرسالة العقديّة والعقليّة:

· وجوب الدليل في الدين: الآيّة تؤسس لقاعدة عظيمة: لا يجوز أن يُعبد الله إلا بدليل. كل عبادة أو عقيدة لا دليل عليها من كتاب أو سنة، فهي باطلة. فابحث دائماً عن الدليل في كل ما تعتقده وتفعله.

· بطلان التقليد الأعمى: الآيّة ترفض التقليد الأعمى للأبء والأجداد في العقائد. فلا يكفي أن تقول: "هذا ما وجدنا عليه آبائنا". بل يجب أن تبحث عن الدليل من عند الله.

المفاهيم المركزيّة: كيف نعيش الآيات في حياتنا العمليّة؟

١. مفهوم "الصدق في الشدة" - استثمار لحظات الاضطرار

لحظات الشدة هي لحظات صفاء روحي نادر. الفطرة فيها تكون مكشوفة، والدعاء يكون صادقاً. فلا تضيع هذه اللحظات.

· كيف تطبقه؟

· إذا مررت بشدة، لا تقتصر على الدعاء فقط. اعقد العزم على التغيير، وتب إلى الله توبة نصوحاً. اجعل من هذه الشدة نقطة تحول في حياتك. اكتب تعهداً بينك وبين الله أنك إذا أنقذك، فستكون عبداً شكوراً.

٢. مفهوم "الشكر في الرخاء" - حماية النعمة من الزوال

الشكر هو قيد النعمة. إذا شكرت الله في الرخاء، زادك من فضله. وإذا كفرت، فإن العذاب شديد.

· كيف تطبقه؟

· خصص وقتاً يومياً لعد نعم الله عليك. قل: "الحمد لله على نعمة الصحة، الحمد لله على نعمة الأمان، الحمد لله على نعمة الهداية...". هذا الاستحضار الدائم يمنعك من نسيان الله في الرخاء.

٣. مفهوم "لا دين بلا دليل" - تحرير العقل من الخرافة

كل فكرة أو عقيدة لا تستند إلى وحي من الله، فهي خرافة. الإسلام دين العلم والدليل، لا دين الخرافة والتقليد.

· كيف تطبقه؟

· كن ناقدًا بصيرًا. لا تقبل أي فكرة أو عادة إلا بعد أن تسأل: "ما دليلها من كتاب الله أو سنة رسوله؟". هذا يجعلك متحرراً من قيود التقاليد الباطلة.

**الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على الشكر ورفض التقليد الأعمى؟

1. تعليمهم الشكر العملي: إذا أنعم الله على طفلك بنعمة، لا تقل له فقط: "قل الحمد لله". بل أشركه في شكر عملي: "تعال نتصدق ببعض مصروفنا شكراً لله على هذه النعمة". هذا يربط الشكر بالسلوك.

2. تدريبهم على السؤال "ما الدليل؟": إذا سألك طفلك عن عادة اجتماعية معينة، أو رأى بدعة منتشرة، قل له: "هل تعلم أن الله سأل المشركين: {أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا؟} أي ما دليلهم؟ فتعال نبحث معاً عن الدليل في القرآن والسنة". هذا يربي فيه عقلية البحث عن الدليل.

3. حكاية قصة الغريق: احك لطفلك قصة المسافر في البحر وكيف يدعو الله. ثم اسأله: "لماذا نسيه عندما وصل إلى البر؟". هذا يجعله يفكر في تناقض الطبيعة البشرية، ويتعلم أن يكون عبداً شكوراً دائماً.

*وقفات عملية: لنعش الشكر والصدق

· وقفة مع النجاة: تذكر موقفاً صعباً مررت به، ونجّاك الله منه. اسجد لله سجدة شكر الآن. وجدد عهدك مع الله ألا تنسى فضله عليك أبداً.

· وقفة مع نعمة معتادة: خذ نعمة تتعامل معها يومياً كالهواء والماء. تأمل: ماذا لو منعها الله عنك للحظة؟ هذا يجعلك تستشعر النعمة وتشكر الله عليها بقلبك.

· وقفة مع دعاء صادق: الآن، وأنت تقرأ هذا الكلام، ادع الله بقلبك منيب. قل: "اللهم إني أسألك قلباً منيباً، ونفساً شاكراً، وعقلاً عاقلًا، يبيح عن الدليل. اللهم لا تجعلني ممن يذكر في الشدة وينسأ في الرخاء". هذا الدعاء يجعلك من المنيبين حقاً.

الخاتمة: دعوة إلى الإنابة الدائمة

يا من خبر الحياة وأطوارها، لقد كشف لك القرآن في هذه الآيات عن حقيقة نفسك. أنت في الشدة صادق، وفي الرخاء عرضة للنسيان. وهذا هو الامتحان. فهل تريد أن تكون من الفريق الذي يشرك بربه بعد النجاة، أم من الفريق الذي يشكر ويثبت على الإنابة؟

لا تنتظر حتى يأتيك الموت أو تقوم الساعة { فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } . (تب الآن . ارجع إلى فطرتك . كن عبداً شكوراً في السراء والضراء . واعلم أن أي عقيدة لا دليل عليها من الله هي باطلة، فتمسك بالكتاب و السنة، فهما السلطان الذي أنزله الله ليهديك سواء السبيل.

{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أُذِقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم إني أعوذ بك أن أكون ممن يذكرك في الضراء وينساك في السراء . اللهم اجعلني عبداً شكوراً، منيباً إليك في كل حال" . جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين في السراء والضراء . آمين.

المبحث الثاني

أيها الإنسان الذي تعيش بين مد وجزر، بين فرحة تملأ قلبك وحزن يكاد يفتك بك، بين غنى يبسط لك الدنيا وفقر يضيق عليك الحياة، لقد سير القرآن أغوار نفسك، وكشف عن تناقض عجيب فيها عندما تنسى أن الأمر كله بيد الله. في الآيات السابقة، رأينا كيف يتضرع الإنسان في الشدة، ثم إذا جاءت النعمة نسي ربه وأشرك به. والآن، تأتي هاتان الآيتان لتصورا حالتين نفسييتين متقابلتين تصيبان الإنسان عندما يغفل عن حقيقة الرزق: حالة البطر والفرح المذموم عند النعمة، وحالة اليأس و القنوط عند المصيبة. ثم تفتح لنا نافذة الرجاء وتذكرنا أن الرزق بيد الله وحده.

فلنعش معاً هذين المشهدين النفسيين، ولنضرب لهما أمثلة واقعية من حياتنا اليومية، لنصح نظرتنا إلى النعمة والمصيبة، وإلى الرزق والعطاء.

{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۗ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} (الروم: 36)

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الروم: 37)
أولاً: المشهد الأول - الفرح المذموم عند النعمة

قوله تعالى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا}

بعد أن ذكر في الآية السابقة أن فريقاً من الناس يشركون بربهم بعد زوال الشدة، تأتي هذه الآية لتصف الحالة النفسية التي يعيشونها عند النعمة.

• {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً} لاحظ التعبير بـ {أَذَقْنَا} مرة أخرى. إنه تذوق وليس إشباعاً كاملاً ۗ . فـ النعم الدنيوية كلها مجرد تذوق مؤقت، أما النعيم الحقيقي الكامل فهو في الآخرة. "الرحمة" هنا تشمل كل ما يسعد الإنسان: الصحة، المال، الأولاد، الجاه، الأمن.

• {فَرِحُوا بِهَا} : هذا فرح مذموم . لم يقل "شكروا" بل قال {فَرِحُوا} . {إنه فرح البطر والأشر، فرح النسيان للمنع . إنهم يفرحون بالنعمة لا بالمنعم . يفرحون فرحاً يصاحبه غرور واستغناء عن الله، واعتقاد بأن هذه النعمة لن تزول.

• اللمة البيانية: تقديم {بها} (على الفاعل) أي: فرحوا بها، لا: فرحوا هم بها (يوحي بأن النعمة هي التي استحوذت على قلوبهم وشغلتهم عن شكر المنعم . إنهم متعلقون بالعطاء لا بالمعطي . مثال واقعي تقريبي:

تخيل موظفاً كان في ضيق مالي، ثم حصل فجأة على ترقية كبيرة وزيادة هائلة في الراتب. بدلاً من أن يسجد شكراً لله، ويقول: "هذا من فضل ربي"، تجده قد أصابه بطر بدأ يتحدث عن "ذكائه" و "جهده"، وبدأ ينفق ماله في التفاخر والمباهاة، ونسي أقاربه الفقراء، وربما تكاسل عن الصلاة وازداد غروراً. هذا هو {فَرِحُوا بِهَا} المذموم. لقد فرح بالنعمة، لا بالمنعم.

• مثال آخر: طالب كان خائفاً من الرسوب، فلما نجح بتفوق، نسي تعبه ودعاء أمه، ونسب النجاح لحظه وذكائه فقط. هذا هو الفرح الذي يحذر منه القرآن.

الرسالة التربوية والعملية:

• الفرق بين الفرح المحمود والفرح المذموم: الفرح المحمود هو الفرح بفضل الله ورحمته، مع الشكر و التواضع والاعتراف بالمنعم. قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا}. أما الفرح المذموم فهو فرح البطر والأشر والنسيان. فانظر أي الفرحين في قلبك عندما تأتيك النعمة. ثانيًا: المشهد الثاني - القنوط واليأس عند المصيبة

قوله تعالى: {وَإِنْ تَصِيهُمُ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ}

بعد مشهد الفرح بالنعمة، يأتي مشهد القنوط عند المصيبة. وهنا يكتمل التناقض: في الرخاء بطر وأشر ، وفي الشدة يأس وقنوط. وكلاهما من أخلاق الكافرين.

{وَإِنْ تَصِيهُمُ سَيِّئَةٌ: السيئة هنا هي المصيبة: مرض، فقر، خوف، فقدان عزيز...و"إن" الشرطية تدل على أن هذا أمر محتمل الوقوع، وهو واقع بالفعل في حياة كل إنسان. {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ: هذا هو المفتاح المهم. المصيبة ليست ظلمًا من الله، بل هي بسبب ذنوبهم وخطاياهم. إنها عدل وتطهير. وهذا يعيدنا إلى قوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}. ولكنهم لا يتفكرون في هذا، بل ييأسون. {إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ: "إذا" الفجائية تدل على سرعة انتقالهم من حالة إلى حالة. ما إن تقع المصيبة، حتى ييأسوا من رحمة الله. القنوط هو شدة اليأس وانقطاع الرجاء. والمؤمن منهى عن القنوط. قال يعقوب عليه السلام: {وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}. مثال واقعي تقريبي:

تخيل تاجرًا خسر صفقة كبيرة، فخسر معظم ماله. بدلا من أن يصبر ويحتسب، ويقول: "لعل الله يعوضني خيرًا منها"، تجده قد أصابه قنوط. جلس في بيته يائسًا، يلعن حظه، ويقول: "انتهت حياتي! لن أقوم أبدًا!". هذا هو القنوط الذي يريده الشيطان. لقد نسي أن الله قادر على أن يعوضه من حيث لا يحتسب.

• مثال آخر: مريض أصيب بمرض مزمن. بدلا من أن يصبر ويسأل الله العافية، تجده قد قنط من الشفاء، وأهل الدواء، وعاش في اكتئاب دائم. هذا هو {إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ}.

الرسالة النفسية والإيمانية:

• المؤمن بين الصبر والرجاء: المؤمن عند المصيبة يصبر ويقول: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}. وهو يرجو رحمة الله وفرجه. فهو لا ييأس ولا يقنط. أما الكافر فينسى ذنوبه، وينسى قدرة الله، فيسقط في بئر اليأس. • المصيبة تذكير بالذنوب: عندما تصاب بمصيبة، لا تقنط. بل تب إلى الله، واعلم أنها بما قدمت يداك، فهي فرصة لتطهيرك ورفع درجاتك. ثالثًا: المشهد الثالث - الرزق بيد الله وحده

قوله تعالى: {أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}

بعد أن صور لنا هاتين الحالتين النفسيتين المذمومتين (البطر عند النعمة، والقنوط عند المصيبة)، يأتي العلاج الرباني لهما. إنه يفتح لنا نافذة الأمل، ويذكرنا بحقيقة الرزق.

{أُولَئِكَ يَرَوْنَ: استفهام إنكاري بمعنى التوبيخ والتعجب. "ألم ينظروا ويتأملوا؟!". {أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ: هذه هي القاعدة الإلهية. الرزق بيد الله وحده. يبسطه أي يوسعها لمن يشاء اختيارًا له، لا لمحبة فيه ولا لكرامة. ويقدره أي يضيقه على من يشاء حكمة منه، لا لبغض فيه ولا لهوان. فالأمر كله بيده، وهو المالك المتصرف.

مثال واقعي تقريبي:

انظر حولك. قد ترى رجلاً صالحًا فقيرًا، ورجلاً فاجرًا غنيًا. لا تقل: "كيف؟!". بل تذكر أن الله {يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}. الغني الفاجر مستدرج بنعمه، والفقير الصالح مرفوع الدرجات بصبره. قد يكون بسط الرزق ابتلاء، وقد يكون تقديره رحمة. فلا تحزن على ما فاتك، ولا تفرح بما أتاك فرح البطر.

• مثال شخصي: إذا ضاق رزقك هذا الشهر، تذكر أن الله يقدر عليك لحكمة. ربما ليظهرك من ذنوبك،

أو ليرفع درجاتك، أو ليردك إليه بعد غفلة. وإذا وسع عليك، فاحذر أن يكون ذلك استدرجًا، وكن شاكراً.

الرسالة العملية:

. التحرر من عبودية الرزق: الآية تحرك من التعلق بالأسباب. الرزق بيد الله، فلماذا تقلق؟ ولماذا تبطر؟ ولماذا تقنط؟ اعمل وجد واجتهد، ثم توكل على الرزاق.
. الرضا بقضاء الله: إذا علمت أن الرزق بيد الله، وأنه يبسط ويقدر بحكمته، رضيت بقضائه. لم تعد تسخط عند الضيق، ولم تعد تبطر عند السعة. هذا هو سلام النفس وطمأنينة القلب.
رابعاً: ختام الإيمان - آيات لقوم يؤمنون

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}

وهنا يأتي الختام المناسب الذي يختلف عن خواتيم الآيات السابقة. هناك قال: {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، {لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}. وهنا قال: {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}. ما السر؟

. السر: لأن هذه الآية تتحدث عن حقيقة الرزق وكونه بيد الله، وعن الصبر والشكر. وهذه المعاني لا يدركها حق الإدراك إلا المؤمنون. فالعقل قد يفهم، والسمع قد يسمع، لكن الإيمان هو الذي يجعل القلب يذعن ويرضى ويسلم. فالمؤمن هو الذي لا يبطر عند النعمة، ولا يقنط عند المصيبة، لأنه يؤمن أن الله يبسط الرزق ويقدر بحكمته.

الرسالة الإيمانية:

. الإيمان هو أساس الرضا: الرضا بقضاء الله وقدره في الرزق وغيره، لا يكون إلا بقوة الإيمان. فكما قوي إيمانك، زاد رضاك وصبرك وشكرك.
المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيتين في حياتنا العملية؟

1. مفهوم "الفرح المذموم والقنوط" - ميزان النفس المؤمنة

المؤمن في حالة توازن دائم. لا يبطره الغنى، ولا تقنطه الفاقة. هو بين الشكر والصبر.

. كيف تطبقه؟

. إذا أتتك نعمة، اسجد شكراً، وقل: "الحمد لله". وإذا أصابتك مصيبة، فصبر واحتسب، وقل: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها".

2. مفهوم "الرزق بيد الله" - تعلق بالمعطي لا بالعطاء

لا تجعل المال أو الوظيفة أو الصحة هي محور تفكيرك وقلقك. تعلق بالرزاق لا بالرزق.

. كيف تطبقه؟

. إذا ضاق رزقك، لا تقنط ولا تيأس. أكثر من الاستغفار والدعاء: "اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عن سواك". وثق أن الفرغ قريب.

3. مفهوم "الآيات لقوم يؤمنون" - زيادة الإيمان بالتفكير

كلما رأيت تقلب الأحوال، وتغير الرزق من بسط إلى قبض، فاعلم أن في ذلك آيات تزيد إيمانك. لا تكن كالغافلين الذين يرونها ولا يفقهون.

. كيف تطبقه؟

. عندما ترى غنياً افتقر، أو فقيراً استغنى، تفكر في قدرة الله. قل: "سبحان من بيده ملكوت كل شيء، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر". هذا يزيدك إيماناً و يقيناً.
*الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه المعاني؟

1. تعليمهم الشكر عند النعمة والصبر عند المصيبة: إذا جاءت لابنك هدية أو نجاح، قل له: "الحمد لله. هل تذكرت أن تسجد شكراً لله؟". وإذا خسر لعبة أو سقط في امتحان، قل له: "لا تحزن. صبراً. هذه

فرصة لتتعلم وتنتوب إلى الله. هل تعلم أن الله يبسط الرزق ويقدر؟".
 2. تدرّبهم على عدم التعلق بالمال: لا تربط قيمة ابنك بمالك أو بملابسه وألعابه. علمه أن القيمة عند الله بالتقوى. إذا رأى طفلاً فقيراً، لا تجعله يحتقر حاله، بل قل له: "الله هو الذي قدر له هذا، ولعل الله يعوضه في الجنة. نحن نساعد ونحبه في الله".
 3. حكاية قصة عن البطر والقنوط: احك لطفلك قصة قصيرة عن تاجر بطر بعد غناه فخسر كل شيء، وآخر صبر بعد فقره فأغناه الله. هذه القصص ترسخ في ذهنه قانون الرزق وأهمية الشكر والصبر.
 **وقفات عملية: لنعش الرضا بقدر الله في الرزق

. وقفة مع الراتب الشهري: عندما تستلم راتبك، لا تنظر إلى ما نقص أو زاد بنظرة مادية بحتة. قل: "اللهم بارك لي في رزقي، واجعله عوناً لي على طاعتك". هذا يجعلك تستشعر أن الرزق منة من الله ومسؤولية.
 . وقفة مع المصائب المالية: إذا خسرت مبلغاً من المال، تذكر ذنوبك وتب إلى الله. قل: "لعل الله يظهرني بهذه الخسارة من ذنوب أعظم". ولا تنس أن تقول: {عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا}.
 . وقفة مع النجاح والغنى: إذا فتح الله عليك باب رزق واسع، خف على نفسك من البطر. أكثر من قول: {مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}. واجعل للفقراء والمحتاجين نصيباً في مالك.
 الخاتمة: بين البطر والقنوط طريق المؤمن

يا من تتقلب بك الأحوال بين سعة وضيق، لقد رسم لك القرآن في هاتين الآيتين طريق النجاة. لا تكن ممن {فَرَحُوا} بالنعمة فرح البطر والأشر، ولا ممن {يَقْتَنُونَ} من المصيبة قنوط اليأس. كن مؤمناً حقاً. آمن بأن الرزق بيد الله، وأنه يبسطه ويقدره لحكمة بالغة عند النعمة اشكر، وعند المصيبة اصبر. وعش حياتك في رضا دائم عن الله، فهو العليم بما يصلحك، الحكيم في تدبيره.

{أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّ فِي تِلْكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم إني أعوذ بك من فرح البطر، ومن قنوط اليأس. اللهم ارزقني الرضا بقضائك، و الشكر على نعمائك، والصبر على بلائك. أنت ولي ذلك والقادر عليه". جعلنا الله وإياكم من المؤمنين الصابرين الشاكرين، الذين يرون آيات الله في كل شيء فيزدادون إيماناً. آمين.

المبحث الثالث

أيها المؤمن الذي فتح الله بصيرته ليدرك حقيقة المال والرزق، لقد سلك بنا القرآن طريقاً عجيبيًا في بناء النفس المسلمة. بعد أن ذكرنا بأن الرزق بيد الله يبسطه لمن يشاء ويقدر، وبعد أن حذرنا من البطر عند النعمة والقنوط عند المصيبة، يأتي الآن إلى التوجيه العملي لماذا؟ لأن الإيمان الحقيقي ليس مجرد مشاعر قلبية أو أفكار ذهنية، بل هو سلوك وعمل. والمال هو محك الاختبار الأكبر لإيمان الإنسان. فمن آمن حقاً بأن الرزق بيد الله، وأنه مستخلف فيه، فسيظهر ذلك في كيفية إنفاقه.

إنها آية تنتقل بك من عقيدة الرزق إلى فقه العطاء. إنها ترسم لك خريطة واضحة لألويات الإنفاق، وتكشف لك عن سر قبول العمل، وتبشرك بالفلاح الذي هو غاية كل مؤمن.

فلنعش معاً قوله تعالى:

{فَاتَّذَا الْقَرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ۗ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {الروم: 38}

أولاً: فاء التعقيب - الربط بين عقيدة الرزق وسلوك الإنفاق

قوله تعالى: {فَاتَّذَا}

انظر إلى حرف الفاء في بداية الآية. إنه ليس مجرد حرف عطف، بل هو فاء الفصيحة التي تربط هذه الآية بما قبلها من تقرير أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. وكأنه يقول: "بما أن الأمر كذلك، وبما أن الرزق بيد الله وحده، وبما أنكم قد فهمتم هذه الحقيقة... فاتوا الحقوق التي أوجبها الله عليكم في أموالكم".

إنها فاء النتيجة المترتبة على الإيمان. فالإيمان بأن الله هو الرزاق، يثمر السخاء والإنفاق. لأن المؤمن يعلم أن ما ينفقه لن ينقص من رزقه شيئاً، بل يخلفه الله عليه. قال النبي ﷺ: "ما نقصت صدقة من مال".

الرسالة العملية:

. إيمانك يظهر في إنفاقك: لا تقل إنك تؤمن بأن الله هو الرزاق، ثم تمسك يدك بخلا . أظهر إيمانك بالعطاء. فالبلخل علامة ضعف اليقين بوعد الله.
ثانيًا: أولوية ذوي القربى - صلة الرحم بالمال

قوله تعالى: {ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ}

بعد الأمر بالإنفاق، بدأ الله سبحانه ببيان أولويات الصرف. ولم يبدأ بالمساكين أو الغرباء، بل بدأ بـ {ذَا الْقُرْبَىٰ} أي الأقارب من ذوي الرحم.

{ذَا الْقُرْبَىٰ}: يشمل كل قريب: الوالدين، الأبناء، الإخوة، الأعمام، الأخوال... وكل من تربطك به صلة رحم.

{حَقُّهُ}: والتعبير بـ "حقه" وليس "صدقة" أو "هبة" له دلالة عظيمة. إنه يشعرك أن للقريب حقًا واجبًا في مالك. هذا الحق هو صلة الرحم التي قد تكون المال عند الحاجة، وبالهدية في غير الحاجة، وبالكلمة الطيبة والزيارة. فليس الأمر تفضلاً منك، بل أداء لواجب.
. اللمة البيانية: لاحظ أن الله قال: {حَقُّهُ}، فأضاف الحق إلى القريب. وهذا يشعرك بأنك مدين له، وأن هذا الحق ثابت له في عنقك. فإذا قمت به، فقد أديت ما عليك.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل رجلاً فتح الله عليه برزق واسع. له أخ فقير أو أخت أرملة أو ابن عم محتاج. بدلاً من أن يبدأ بالصدقة على الغرباء، تجده ينسى أقاربه المحتاجين، أو يمن عليهم إذا أعطاهم. القرآن يقول له: "لا! ابدأ بذوي القربى. هم أولى بمعروفك. ولهم حق في مالك". هذا هو التكافل الأسري الذي يبني مجتمعًا متماسكًا.

. مثال آخر: طالب جامعي حصل على مكافأة أو راتب. أول ما يفكر فيه: شراء هاتف جديد أو ملا بس. لكنه ينسى أن أمه أو أباه أو إخوته الصغار لهم حق في هذا المال. ليس فرضًا أن يعطيهم كل ماله، ولكن أن يشركهم في الفرحة، ولو بهدية بسيطة.

الرسالة التربوية والاجتماعية:

. تقوية الأواصر الأسرية: الآية تعلمك أن الأسرة هي نواة المجتمع. فإذا قويت الروابط المالية و العاطفية بين أفرادها، قوي المجتمع كله. ابدأ بإحسانك إلى أهلك وأقاربك، قبل أن تمد يدك إلى البعيد.

. الوفاء بحق القرابة: إذا كان قريبك محتاجًا، فلا تنتظر أن يسألك. بادر أنت بإيتاء حقه. فهذا من البر والصلة التي أمر الله بها.
ثالثًا: المسكين وابن السبيل - امتداد دائرة العطاء

قوله تعالى: {وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}

بعد ذوي القربى، تنتقل الآية إلى فئتين آخرين من المستحقين: المسكين وابن السبيل.

{وَالْمَسْكِينِ}: المسكين هو الفقير المحتاج الذي لا يجد ما يكفيه. وسمي مسكينًا لأن الفقر أسكنه وأذله. فإعطاؤه يرفع عنه ذل الحاجة، ويكفيه سؤال الناس.

{وَابْنِ السَّبِيلِ}: هو المسافر الغريب الذي انقطع به السبل، ونفدت نفقته، ولو كان غنيًا في بلده. فهو في هذه الحال محتاج إلى من يعينه ليواصل سفره أو يعود إلى أهله.

. اللمة البيانية: لاحظ أن العطف هنا بالواو التي تفيد التشريك. فكل من ذي القربى والمسكين وابن السبيل لهم حق في المال. وهذا الحق يتفاوت باختلاف درجة القرابة وشدة الحاجة.

مثال واقعي تقريبي:

. للمسكين: تخيل جارك الذي تعرف أنه يعاني من ضيق ذات اليد، ولا يستطيع توفير قوت يومه. أو عامل النظافة البسيط الذي يعمل بجد ولا يكفيه راتبه. هؤلاء هم المساكين. إن إعطاءهم من مالك، ولو شيئًا يسيرًا، مع الابتسامة والكلمة الطيبة، هو من الخير الذي أمر الله به.

. لابن السبيل: تخيل مسافراً أضاع حقيبته في المطار، أو سرقت نقوده، وهو في بلد غريب لا يعرف فيه أحداً يأتي إليك يطلب مساعدة. هذا هو ابن السبيل. إن مساعدته في محتته، وتوفير مأوى أو طعام أو ثمن تذكرة له، هو من أعظم القربات إلى الله.

الرسالة الإنسانية والعملية:

. توسيع دائرة العطاء: الآية توسع أفقك الإنساني. لا تقتصر في عطائك على أهلك فقط، بل ابحث عن المساكين في مجتمعك، وتعرف على أبناء السبيل المنقطعين. فالمجتمع المسلم كالجسد الواحد.
. قضاء حوائج الناس: هذه الآية تدعوك إلى أن تكون مفتاحاً للخير. تفقد أحوال الناس من حولك. من من جيرانك مسكين؟ من من معارفك ابن سبيل؟ بادر بقضاء حوائجهم، تكن من المفلحين.
رابعاً: الإخلاص شرط القبول - "لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ"

قوله تعالى: {ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ}

هذا هو قلب الآية وسر قبول العمل. بعد أن بين الفعل (إيتاء الحقوق)، بين الشرط الذي يجعل هذا الفعل خيراً.

{تلك}: أي إيتاء ذوي القربى والمساكين وابن السبيل حقوقهم.
{خَيْرٌ}: أي خير عظيم في الدنيا والآخرة. في الدنيا بركة في المال، وسعة في الرزق، ومحبة في القلوب. وفي الآخرة أجر مضاعف، وجنة عرضها السماوات والأرض.
{لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ}: هذا هو القيد المهم. الخيرية ليست في كمية المال المنفق، ولا في نوعه، بل في نية المنفق. هل فعل ذلك يبتغي به وجه الله، أي رضا الله وثوابه؟ أم فعله رياءً وسمعةً، أو منةً وأذى؟ إن كان لله، فهو خير. وإن كان لغير الله، فهو هباء منثور.
. اللمة البيانية: التعبير بـ {وَجْهَ اللَّهِ} فيه تجسيد للمعنى وتقريب للذهن. فالمؤمن يريد رضا الله، وكأنه يتوجه بقلبه إلى الله، يطلب وجهه الكريم. وهذا يذكرنا بقوله تعالى: {إِنَّمَا تُطَعَّمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا تَرِيدُونَ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}.
*منال واقعي تقريبي:

رجلان تصدق كل منهما بألف درهم. الأول تصدق بها لوجه الله، لا يريد من أحد جزاءً ولا شكوراً. أعطاهما سراً، لم يعلم بها أحد إلا الله. الثاني تصدق بها ليقال: "ما أكرمه! ما أطيب قلبه!". أعطاهما أمام الناس، وذكر بها في كل مجلس. الأول: فعله خير. والثاني: فعله لا قيمة له عند الله. فالنية هي الفيصل.

الرسالة التربوية والإيمانية:

. الإخلاص هو روح العمل: الآية تعلمك أن تراقب نيتك في كل عمل تعمله، وخاصة في الإنفاق. قبل أن تخرج الصدقة، اسأل نفسك: "لمن أتصدق؟ أله أم للناس؟". طهر نيتك، واجعلها خالصة لله.
. العمل بلا إخلاص كالجسد بلا روح: كثرة الأعمال مع فساد النية لا تنفع. والقليل مع الإخلاص يبارك الله فيه. فاحرص على إخلاص النية أكثر من حرصك على كثرة العمل.
خامساً: بشرى الفلاح - ثمرة العطاء الخالص

قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

هذه هي الخاتمة المباركة للآية. إنها تبشر الذين يؤتون الحقوق ابتغاء وجه الله، بـ الفلاح المطلق.

{وَأُولَئِكَ}: اسم إشارة للبعيد، للدلالة على علو منزلتهم ورفعة شأنهم.
{هُمُ}: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد. أي هم وحدهم المفلحون حقاً، لا غيرهم ممن ينفقون رياءً وسمعةً.
{الْمُفْلِحُونَ}: الفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب. وهو يشمل الفلاح في الدنيا حياة طيبة، وسعة صدر، وبركة في الرزق (والفلاح في الآخرة) رضوان الله، والجنة، والنجاة من النار. (إنها كلمة جامعة لكل خير.
الرسالة التحفيزية:

. الفلاح في العطاء الخالص: إذا أردت الفلاح الحقيقي، فابدل مالك لوجه الله. لا تنتظر شكر الناس وثناءهم. انتظر الجزاء من رب الناس. هذا هو طريق المفلحين.

. بشرى للمخلصين: هذه الآية بشرى لكل من أنفق سرًا، وأعطى بيمينه ما لا تعلم شماله. أنت من المفلحين بإذن الله. فافرح بهذه البشارة، واستمر في عطاءك الخالص.
المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

١. مفهوم "أولويات الإنفاق" - القريب ثم البعيد

الآية تعلمك فقه الأولويات. لا تبدأ بالبعيد وتنسى القريب. اجعل ذوي القربى في مقدمة من تنفق عليهم.

. كيف تطبقه؟
. خصص جزءًا من مالك لصلة الرحم المالية. ابحث عن أقاربك المحتاجين، وتفقد أحوالهم. حتى إن لم يكونوا محتاجين، فالهدية للقريب صدقة وصلة.

٢. مفهوم "الحق في المال" - المال مال الله وأنت مستخلف

التعبير بـ {حقه} يذكرك أن في مالك حقًا مفروضًا للآخرين. فإذا أنفقت، فأنت تؤدي واجبًا، لا تتفضل.

. كيف تطبقه؟
. عندما تخرج الزكاة أو الصدقة، استشعر أنك تؤدي حقًا لله ولعباده. هذا يزيل عنك المنة والأذى.

٣. مفهوم "إرادة وجه الله" - الإخلاص مفتاح القبول

لا قيمة لعملك بدون إخلاص. اجعل وجه الله هو غايتك في كل إنفاق.

. كيف تطبقه؟
. أكثر من إخفاء الصدقة. الصدقة في السر تطفئ غضب الرب.جاهد نفسك على أن لا تخبر أحدًا بصدقتك.
الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآية؟

1. تعليمهم صلة الرحم المالية: اصطحب ابنك عند زيارة قريب فقير، أو عند إرسال هدية لجدته. قل له: "الله أمرنا أن نعطي ذي القربى حقه. نحن بهذا نطيع الله، ونصل رحمنًا، ونكون من المفلحين". هذا يربطه بالقرآن وبأخلاق العطاء.
2. غرس الإخلاص في نفوسهم: إذا تصدق طفلك، لا تمدحه أمام الناس مبالغًا في الثناء. بل قل له سرًا: "ما شاء الله! هذه صدقة رائعة. هل تذكر أن تجعلها لله؟ الله يحب الصدقة السرية". هذا يعلمه الإخلاص منذ الصغر.
3. التعرف على أبناء السبيل: في السفر، إذا رأيتم عاملاً بسيطًا أو مسافرًا محتاجًا، أعطه طفلك ما لا يعطيه إياه بنفسه. قل له: "هذا ابن سبيل. الله أمرنا بمساعدته. تخيل شعوره عندما نساعده!". هذا يربي الذكاء العاطفي والإحساس بالآخر.
وقفات عملية: لنعش العطاء الخالص

. وقفة مع قائمة الأقارب: اجلس مع نفسك، واكتب قائمة بأقاربك. من منهم محتاج؟ من منهم لم تزره منذ فترة؟ خطط لزيارتهم، واصطحب معك ما تيسر من مال أو هدية. هذا تطبيق عملي لـ {فَاتَ ذَا الْقَرْبَىٰ حَقَّهُ}.

. وقفة مع النية قبل الإنفاق: كلما هممت بإخراج مال، قف لحظة. اسأل نفسك: "لمن هذا؟". إذا وجدت في قلبك شائبة رياء، فطهرها. قل: "اللهم إني أريد وجهك الكريم". ثم أنفق.
. وقفة مع المسافرين: في المطار أو محطة القطار، انظر حولك. قد ترى مسافرًا حائرًا أو محتاجًا. بادر بمساعدته ولو بكلمة طيبة أو شربة ماء. فربما كان ابن سبيل، وأجره عظيم.
الخاتمة: طريق الفلاح في العطاء

يا من تريد الفلاح، لقد بين لك القرآن في هذه الآية خريطة العطاء وسر القبول. العطاء يبدأ من الأ قرب فالأقرب. العطاء يجب أن يكون خالصًا لوجه الله. والعطاء الخالص هو طريق الفلاح.

لا تبخل على نفسك. أنفق مما رزقك الله. أت ذا القربى حقه، والمسكين، وابن السبيل. واجعل وجه الله غايتك. وابشر، فأنت من المفلحين.

{فَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّذَيْنِ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۗ وَأَوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم إني أسألك قلبًا سخيًا، ونية خالصة، ويدا منفقة. اللهم اجعلني من الذين يؤتون الحقوق ابتغاء وجهك، واكتبني من المفلحين الفائزين برضوانك". جعلنا الله وإياكم من أهل العطاء الخالص، ومن الفائزين بالفلاح في الدنيا والآخرة. آمين

المبحث الرابع

أيها المؤمن الذي يريد أن ينمي ماله ويزكي نفسه، يا من سمعت نداء القرآن في الآية السابقة: {فَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ}، وأقبلت على العطاء. لقد أراك الله طريق الخير والفلاح في الإنفاق لوجهه. وهنا، في هذه الآية الكريمة، يأتي ليكشف لك عن طريق آخر يظن الناس أنه طريق النماء والزيادة، وهو في الحقيقة طريق المحق والدمار. إنه طريق الربا. إنها آية تضع أمامك موازنة دقيقة بين معاملتين مبيتين: الربا الذي يلهث وراءه أهل الدنيا ليزدادوا مالا، والزكاة والصدقة التي يبتغي بها المؤمنون وجه الله. وتخبرك بالنتيجة الحاسمة: الربا لا يربو عند الله، بل يمحق البركة. والصدقة هي التي تزكو وتنمو، وتضاعف أضعافًا كثيرة.

فلنعش معًا هذا القانون الإلهي في المال، ولنضرب له أمثلة واقعية من حياتنا، لنذكر أن البركة والنماء الحقيقيين ليسا في أكل أموال الناس بالباطل، بل في إرضاء الله وإيتاء الزكاة.

{وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} {الروم: 39}

أولاً: وهم النماء - الربا الذي لا يربو عند الله

قوله تعالى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ}

تبدأ الآية بضربة قاضية على الوهم الذي يعيش فيه المرابون. إنهم يظنون أن الربا ينمي المال ويزيده، فيلهثون وراءه بكل جشع. فيكشف الله لهم الحقيقة المرة: إن هذا النماء ظاهري فقط، وهو وبال عليهم في الدنيا والآخرة.

{وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا} الربا في اللغة هو الزيادة. وفي الشرع: هو زيادة مشروطة في أصل القرض مقابل الأجل. والآية هنا، كما قال كثير من المفسرين، تتحدث عن ربا الجاهلية الذي كانوا يمارسونه، حيث كان الدائن يقول للمدين إذا حل الأجل: "إما أن تقضي وإما أن تربني"، فإن لم يقض، زاده في المال وأخر الأجل. فكان الفقير يزداد فقرًا، والغني يزداد غنى على حساب إخوانه.

{لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ} هذه هي نية المرابي وقصده. هو يريد أن يزيد ماله على حساب أموال الآخريين. يريد أن ينمو ماله من خلال امتصاص أموال المحتاجين. إنها نية أنانية واستغلالية بحتة.

{فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} هذا هو الحكم الإلهي القاطع. "لا يربو" أي لا ينمو ولا يزيد ولا يبارك فيه. عند الله {أي في حكمه وتقديره وفي ميزان الآخرة. فمهما كثر هذا المال في الدنيا، فهو محقق البركة، وصاحبه آثم، وسيكون وبالاً عليه يوم القيامة. أما عند الناس فقد يربو في الظاهر، لكنه سرعان ما يذهب في المهالك والمصائب والأمراض.

. اللمة البيانية: لاحظ التناقض بين ظاهر اللفظ وحقيقة المعنى. هم يسمونه ربا أي زيادة، والله يقول: {فَلَا يَرْبُو}. {فكأن الحقيقة أن الربا ليس زيادة، بل هو نقصان ومحقق. هذا الأسلوب يهز النفس، ويجعلها ترى الربا على حقيقته: حرام، ومدمر.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل رجلين: المرابي: أقرض فقيرًا عشرة آلاف درهم، على أن يردها اثني عشر ألفًا بعد سنة. جلس في بيته، والمال "يعمل" لديه، ويزيد كل يوم دون تعب! لكن انظر إلى حاله: قلبه قاس، لا ينام الليل من الخوف على ماله، قد يمرض ولده أو يحترق متجره، فيخسر أضعاف ما ربحه من الربا. هذا هو {فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ}. المال نما في الظاهر، لكن البركة نزعت منه.

. مثال آخر: في عصرنا، بطاقات الائتمان الربوية. المستخدم يشتري سلعة بسعر، ثم إذا تأخر في السداد، تتراكم عليه الفوائد الربوية. إنه يظن أنه يقبلي ما يريد، لكنه في الحقيقة يغرق في دين لا ينتهي، وتضيق عليه الدنيا. هذا هو الربا الذي لا يربو عند الله.

الرسالة النفسية والعقلية:

. تحرير العقل من وهم الربا: الآية تعالج الوهم النفسي الذي يجعل الإنسان يلهث وراء الربا ظنًا منه

أنه يزيد ماله. هي تقول لك: "لا تنخدع بالمظهر! البركة هي الزيادة الحقيقية، وهي لا تأتي من الحرام".
الطمأنينة في الحلال: إذا تركت الربا وابتغيت الحلال، فسيرزقك الله من حيث لا تحتسب. وستشعر بطمأنينة وسكينة لا يشعر بها المرابي أبدًا. مالك القليل المبارك خير من الكثير المحقوق.
ثانيًا: حقيقة النماء - الزكاة التي تضعف وتنمو

قوله تعالى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}

بعد أن نفى النماء عن الربا، ينتقل إلى إثبات النماء الحقيقي للزكاة والصدقة. وهنا المفارقة العجيبة: المال الذي تنقصه بالصدقة، هو الذي يزيد وينمو في ميزان الله.

{وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ} الزكاة في اللغة: النماء والظهور. فهي تطهر المال من الشح، وتطهر النفس من البخل. وسميت زكاة لأنها سبب في نماء المال وبركته. والمراد بها هنا الزكاة المفروضة، ويدخل في معناها عموم الصدقات.

{تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ} هذا هو الشرط الأساسي لقبولها ومضاعفتها. كما رأينا في الآية السابقة: {تِلْكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ}. {فالمزكي لا يريد من الناس جزاءً ولا شكورًا، بل يريد رضا الله وثوابه. هذا الإخلاص هو سر المضاعفة.

{فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}: هذه هي البشارة العظمى. "أولئك" أي المخلصون في زكاتهم. "هم" ضمير فصل يفيد الحصر، أي هم وحدهم أصحاب المضاعفة الحقيقية. "المضعفون" أي الذين يضاعف الله لهم أجرهم ومالهم أضعافًا مضاعفة. قال تعالى في موضع آخر: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ} وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ. {هذه هي المضاعفة الحقيقية التي لا يرقى إليها أي ربا أو استثمار ربوي.

. اللمة البيانية: لاحظ التقابل البلاغي العجيب:

{ آتَيْتُمْ مِّنْ رَبًّا } { آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ }. {الفعل واحد، لكن المفعول مختلف. العطاء في الربا عطاء مشروط بزيادة، والعطاء في الزكاة عطاء خالص لله.

{ لَيْرَبُّو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ } {نية دنيئة} {تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ} {نية سامية}.

{ قَلَّا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ } {نفي النماء} {فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} {إثبات المضاعفة العظمى}.
هذا التقابل يوضح الصورة كاملة، ويجعل الحق ناصعًا لا يحتمل الشك.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل مزارعًا عنده حبة قمح. الأول: أخذ الحبة ووضعها في كيس وربط عليه، ظنًا منه أنه يحافظ عليها. الحبة بقيت واحدة، ثم جفت وماتت. هذا هو الربا: مال محبوس، لا بركة فيه، ومصيره إلى الزوال.

الثاني: أخذ الحبة فأعطاه الله (أي زرعها في الأرض). ضحى بها، ودفنها في التراب، وسقاها. انتظر أيامًا. فإذا بالحبة الواحدة قد أصبحت سبع سنابل، في كل سنبله مائة حبة! هذا هو المضعفون. لقد نقص ماله في الظاهر (الحبة التي زرعها)، لكن الله أضعفه له أضعافًا مضاعفة.

. مثال آخر: رجل يخرج زكاة ماله كل عام. يظن البعض أن ماله ينقص. لكنه في الحقيقة يجد بركة عجيبة في ماله. يكفيه القليل، ويأتيه الرزق من حيث لا يحتسب. هذا هو معنى {الْمُضْعِفُونَ}.
الرسالة الإيمانية والعملية:

. الصدقة استثمار حقيقي: الآية تغير مفهومك عن الصدقة. إنها ليست خسارة، بل هي أعظم استثمار وأكثره ربحًا. هي تجارة مع الله لا تبور. فإذا أردت أن تكون مضعفًا، فأنفق في سبيل الله.
. الإخلاص يضاعف الأجر: كلما كان إخلاصك أعظم، كانت مضاعفة الله لك أكبر. فراقب نيتك، واجعلها خالصة لوجه الله.

المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

1. مفهوم "الربا لا يربو" - قطع دابر الطمع

الآية تقطع عليك الطريق إلى الحرام. لا تلتفت إلى المظاهر الخادعة. الربا محق ودمار، ولو كثرت أرقامه في البنوك.

. كيف تطبقه؟

· ابتعد عن كل معاملة ربوية. ابحث عن بدائل حلال، ولو كانت أقل ربحًا في الظاهر. ثق بأن البركة في الحلال.

٢. مفهوم "الزكاة إضعاف" - ثقافة الاستثمار في الآخرة

انظر إلى مالك على أنه بذرة. إذا أمسكتها، تلتفت. وإذا زرعته في أرض الله (بالصدقة)، أثمرت أضعافًا.

· كيف تطبيقه؟

· كلما هممت بإخراج زكاة أو صدقة، تذكر قوله: { فَأَوْلِيكَ هُمْ الْمُضْعِفُونَ } {استشعر أنك تستثمر في بنك الله، الذي لا يفلس، والذي يعطي أرباحًا ٧٠٠ ضعف وأكثر.

٣. مفهوم "إرادة وجه الله" - ضابط النية في المعاملات

سواء في ترك الربا (وهو واجب) أو في إيتاء الزكاة (وهو واجب)، النية هي الفيصل. فالذي يترك الربا خوفًا من الله ليس كمن يتركه عجزًا. والذي يزكي ابتغاء وجه الله ليس كمن يزكي رياءً.

· كيف تطبيقه؟

· جدد نيتك باستمرار. قبل أن تودع مالك في بنك إسلامي، أو قبل أن تخرج زكاتك، قل: "اللهم إني أريد بذلك وجهك الكريم".
*الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآلية؟

1. تعليمهم كراهية الربا وحب الصدقة: إذا رأى طفلك إعلًا عن قرض ربوي، قل له: "هذا ربا. الله لا يحبه. إنه مثل أكل أموال الناس بالباطل". وإذا رأى فقيرًا فأعطيته مالا ليتصدق به، قل له: "هذه زكاة. الله يضاعفها لنا. كل درهم نعطيه لله، يردده لنا أضعافًا".

2. تجربة البذرة والسنبلة: ازرع مع طفلك حبة فول أو عدس في كأس قطن. دعه يراقبها وهي تنبت وتكبر. اقرأ له: { كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ }، وقل له: "هكذا الصدقة. الدرهم الذي نعطيه للفقير، يضاعفه الله لنا مثل هذه الحبة!".

3. تدريبهم على الصدقة من مصروفهم: شجعهم على تخصيص جزء بسيط من مصروفهم للصدقة. وقل لهم: "هذا المال الذي أخرجتموه لوجه الله، سيضاعفه الله لكم. أنتم من المضعفين!". هذا يبني لديهم عقلية العطاء منذ الصغر.
وقفات عملية: لنكن من المضعفين

· وقفة مع كشف حسابك البنكي: إذا كان لديك حساب ربوي، فسارع إلى إغلاقه. قد تخسر بعض الفوائد، لكنك ستربح البركة والطمأنينة ورضا الله.
· وقفة مع زكاتك: إذا حان وقت الزكاة، لا تحسبها على ماضٍ. احسبها بفرح، وقل: "اللهم هذه بذوري التي ألقيتها في أرضك. فأضعفها لي أضعافًا مضاعفة".
· وقفة مع نيتك في كل صدقة: قبل أن تمد يدك بالصدقة، اسأل نفسك: "لمن هذه؟". أخلص النية لله، واخفها ما استطعت. فصدقة السر تطفئ غضب الرب.
الخاتمة: أي التجارتين تختار؟

يا من تريد النماء الحقيقي، لقد خيرك الله بين تجارة رابحة وتجارة خاسرة.

· تجارة الربا: مكسبها ظاهري، وهي محق وإثم ووبال. تجعلك قاسي القلب، بخيلًا، مستغلاً، حاجة إخوانك.
· تجارة الزكاة: مكسبها حقيقي، وهي بركة وطهرة ومضاعفة. تجعلك كريمًا، رقيق القلب، محبوبًا عند الله وعند الناس.

اختر لنفسك. كن من {المضعفون} الذين يزرعون الحسنات ليحصدوا الجنة. ولا تكن ممن خدعهم الشيطان بالربا، فخسروا الدنيا والآخرة.

{ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّرَبْوٍ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ }^ط وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ }

فليكن شعارك: "اللهم طهر مالي من الربا، وبارك لي في الحلال. اللهم اجعلني من المضعفين، الذين

يؤتون الزكاة ابتغاء وجهك، فتضاعف لهم الحسنات وترفع لهم الدرجات". جعلنا الله وإياكم من التجار الرابحين في تجارة الآخرة. آمين.

المبحث الخامس.

أيها العاقل الذي يريد أن يضع قدمه على أرض اليقين الثابتة، يا من سمعت الحجج والبراهين في آيات السابقة، لقد أن لك أن تقف على حقيقة التوحيد في أوضح صورها، وأن ترى حقيقة الشرك في أبشع تجلياتها. إنها آية تضع النقاط على الحروف، وتقيم الحجة البالغة على كل من أشرك بالله شيئاً. إنها آية تجمع لك أركان الوجود الإنساني الأربعة: الخلق، والرزق، والموت، والحياة. ثم تسألك سؤالاً " لا تملك له إلا جواباً واحداً: "من يفعل ذلك كله؟". فإذا أقررت بأنه الله وحده، فقد قامت عليك الحجة، وتبين لك بطلان الشرك.

فلنعش معاً قوله تعالى:

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ {الروم: 40}

أولاً: افتتاح بالجلالة - تقرير الحقيقة العظمى

قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}

انظر إلى هذا الافتتاح المهيب باسم الجلالة {الله}. إنه ليس مجرد إخبار، بل هو إعلان عن الذات المستحقة للعبادة وحدها. ثم يأتي الوصف بأربع صفات فعلية عظيمة، كل واحدة منها كافية للدلالة على وحدانيته، فكيف إذا اجتمعت؟!

{ خَلَقَكُمْ}: هذا هو المبدأ. أنتم أيها البشر لم تخلقوا أنفسكم، ولم تخلقكم الطبيعة الصماء، بل الله خلقكم من عدم. أخرجكم من ظلمة عدم إلى نور الوجود. هذه هي المنة الأولى التي توجب عليكم عبادته وشكره.

{ ثُمَّ رَزَقَكُمْ}: "ثم" للتراخي الزمني. بعد أن خلقكم، لم يترككم هملاً، بل رزقكم. هياً لكم أسباب الحياة: الطعام والشراب والهواء والكساء. كل ما تحتاجونه لبئائكم هو من رزقه. وهذه هي المنة الثانية المستمرة.

{ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ}: وهذه حقيقة لا مفر منها. بعد أن خلقكم ورزقكم، يميتكم. يقبض أرواحكم حين تنتهي أجالكم. فهل أحد من شركائكم يملك الموت أو الحياة؟! هذه هي النهاية الحتمية للجسد.

{ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}: وهذا هو البعث الذي طالما أنكروه المشركون. بعد الموت، يحييكم من جديد للحساب و الجزاء. هذه هي الحلقة الأخيرة في سلسلة الوجود البشري.

. اللمة البيانية: لاحظ استخدام { ثُمَّ } (في كل انتقال). إنها تفيد التراخي الزمني والتدرج المنطقي. الخلق أولاً، ثم الرزق في الحياة، ثم الموت عند انتهاء الأجل، ثم الإحياء يوم القيامة. هذا الترتيب البديع يصور لك مراحل الرحلة البشرية كاملة، وكل مرحلة منها بيد الله وحده.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل مصنعاً ضخماً لإنتاج السيارات. هناك من صمم السيارة، وهناك من زودها بالوقود، وهناك من يوقف محركها، وهناك من يعيد تشغيلها. هل يمكن أن يقوم بهذه المهام الأربعة شخص واحد؟ نعم، هو المالك المدبر. فكيف بالله سبحانه، هو الذي خلقك (صممك وأنشأك)، ثم رزقك (زودك بالطاقة والغذاء)، ثم يميتك (يوقف حياتك)، ثم يحييك (يعيدك للحياة). كل هذا بيده وحده.

ثانياً: سؤال الإفحام والتحدي - إبطال الشرك بالمنطق

قوله تعالى: {هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء}

بعد أن عدد هذه الأفعال العظيمة، يأتي السؤال الصاعق الذي لا جواب له إلا بالنفي. إنه استفهام إنكاري بمعنى النفي والتوبيخ.

{ هل}: استفهام بمعنى "ما". أي: ما من شركائكم من يفعل شيئاً من ذلك.
{ من شركائكم}: أي من آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله في العبادة. سواء كانت أصناماً، أو بشرًا، أو ملائكة، أو جنًا.

{ من يفعل من ذلكم من شيء}: أي أي جزء من هذه الأفعال العظيمة. لا نقول يفعلها كلها، بل هل يفعل شيئاً منها؟! هل خلقوكم؟ هل يرزقونكم؟ هل يميتونكم؟ هل يحييونكم؟ الجواب: لا، ولا شيء! . فكيف تعبدونهم من دون الله؟! كيف تجعلونهم شركاء لله، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فض

لا عن أن يملكو شيئاً من هذه الأفعال العظيمة؟!
· اللمة البيانية: لاحظ التأكيد على النفي بـ { من {الزائدة في} مَن شَيْءٌ .{فهي تنفي أي شيء، ولو كان حقيراً. فلا قدرة لشركائهم على أقل القليل من هذه الأمور. إنه إفحام تام، يخرس الألسنة، ويقيم الحجة.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل ملكاً عظيماً له جيش جرار، وخزائن ملاء، وعبيد وخدم. ثم يأتي أحدهم ويجعل نملة شريكة للملك في ملكه وسلطانه! أليس هذا منتهى السفه والظلم؟! كذلك المشركون، يجعلون جمادات لا تسمع ولا تبصر، أو بشراً فقراء إلى الله، شركاء لله في عبادته، مع أن الله هو الذي خلقهم ورزقهم ويميتهم ويحييهم. أليس هذا أعظم الظلم وأشد السفه؟! {إِنَّ الشَّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ}.
ثالثاً: ختام التنزيه والتقدیس - تبرئة الله من الشرك

قوله تعالى: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

بعد أن أقام الحجة الدامغة، وبين بطلان الشرك، ختم الآية بـ تنزيه الله وتقديسه عن هذا الافتراء العظيم.

{سُبْحَانَهُ}: أي تنزهه وتقديسه عن كل نقص وعيب، وعن أن يكون له شريك. فهو الكامل المطلق الذي لا يحتاج إلى شريك ولا إلى معين.
{وَتَعَالَىٰ}: أي تعالى وارتفع عن شركهم وكفرهم. فهو العلي الأعلى بذاته وصفاته وسلطانه، وشركاؤهم أسفل سافلين.
{عَمَّا يُشْرِكُونَ}: أي عن شركهم الذي يشركون به. فالله منزّه عن أن يكون له شريك، وشرك المشركين لا يضره شيئاً، بل يضرهم هم أنفسهم.
· اللمة البيانية: الجمع بين {سُبْحَانَهُ} و{وَتَعَالَىٰ} يفيد التنزيه المطلق من جميع الوجوه. فـ {سُبْحَانَهُ} تنزيه عن النقائص، و{وَتَعَالَىٰ} إثبات للعلو والكمال. فكأن الآية تقول: "تنزه الله عن كل نقص، واتصف بكل كمال، وعلا وارتفع عن أن يكون له شريك". إنه ختام يليق بجلال الآية وعظمتها.
المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

١. مفهوم "تفرد الله بالأفعال الكبرى" - التوحيد في الربوبية

الآية تثبت أن الخلق والرزق والإماتة والإحياء بيد الله وحده. هذا هو توحيد الربوبية الذي يقر به المشركون أنفسهم، لكنهم لم يستدلوا به على توحيد الألوهية (أي إفراد الله بالعبادة).

· كيف تطبيقه؟

· إذا علمت أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، فأفرده بالعبادة. لا تدع إلا إياه، ولا تستغث إلا به، ولا تتوكل إلا عليه. فهو وحده الذي بيده كل شيء.

٢. مفهوم "عجز الشركاء" - تحرير القلب من التعلق بغير الله

كل ما يُعبد من دون الله، سواء كان صنماً أو بشراً أو مالا، أو هوى، هو عاجز لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً. فكيف يملك لك؟!

· كيف تطبيقه؟

· حرر قلبك من التعلق بأي مخلوق. لا ترجأ أحداً كرجائك لله، ولا تخف أحداً كخوفك من الله. فكلهم مخلوقون محتاجون، والله هو الغني الحميد.

٣. مفهوم "التسبيح والتنزيه" - دوام ذكر الله بالتعظيم

ختم الآية بـ {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ} يعلمك أن تختتم تأملك وتدبرك بتسبيح الله وتنزيهه.

· كيف تطبيقه؟

· كلما قرأت آية في خلق الله أو تدبيره، أو رأيت مشهداً كونياً، فاختم تأملك بقولك: "سبحان الله وتعالى عما يشركون". هذا يجعلك ذاكراً لله في كل حين.

*الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآية؟

1. تعليمهم مراحل الحياة: ارسم لطفلك خطأ زمنيًا: خلقك الله) وأنت جنين، ثم رزقك) الطعام و الشراب، ثم سيميتك) عندما تكبر، ثم ستحيها) يوم القيامة. (قل له: "من يفعل هذا كله؟ الله وحده! لا أحد غيره يقدر على ذلك!".

2. سؤالهم عن الأصنام: إذا رأى طفلك تمثالا "أو صنمًا، أسأله: "هل هذا الصنم خلقنا؟ هل يرزقنا؟ هل يستطيع أن يحيي أحدًا؟". سيقول: "لا". فقل له: "إذن لماذا يعبد الناس؟ هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه!".

3. تعليمهم التسييح بعد التأمل: عندما تخرج مع طفلك إلى الطبيعة وتأملان في خلق الله، علمه أن يقول في نهاية تأمله: "سبحان الله وتعالى عما يشركون". هذا يعوده على ربط التأمل بالتسييح. وقفات عملية: لنعش التوحيد الخالص

· وقفة مع الخلق: انظر إلى يدك، إلى عينك، إلى قلبك. تأمل دقة الصنع. قل: "اللهم أنت خلقتني. لك الحمد. سبحانك وتعاليت عما يشركون".

· وقفة مع الرزق: قبل أن تأكل، تذكر أن هذا الرزق من الله. قل: "اللهم أنت رزقتني هذا الطعام. بارك لي فيه. سبحانك وتعاليت عما يشركون".

· وقفة مع الموت: عندما تمر بمقبرة، تذكر أن الله يميت ويحيي. قل: "اللهم أنت المميت المحيي. أحييني حياة طيبة، وأمتني على الإسلام. سبحانك وتعاليت عما يشركون".

الخاتمة: لا إله إلا الله

يا من خلقه الله ورزقه، ويميته ثم يحييه، لقد بان لك الحق. لا إله إلا الله. لا خالق إلا هو، لا رازق إلا هو، لا مميت إلا هو، لا محيي إلا هو. فكيف تشرك به غيره؟!

ظهر قلبك من كل شريك. أخلص عبادتك لله وحده. كن موحدًا خالصًا. وردد دائمًا: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} ^ط هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَقُولُ مِنْ ذَلِكُمْ مَن شَيْءٌ

{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

فليكن شعارك: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. سبحانه وتعالى عما يشركون". جعلنا الله وإياكم من الموحدين المخلصين، الذين لا يشركون به شيئًا، ويدخلون الجنة بسلام. آمين.

القسم الخامس

أيها الإنسان الذي يعيش في عالم متقلب، بين رخاء وشدة، بين أمن وخوف، بين صحة ومرض. يا من تدير شؤون حياتك، أو أسرة، أو مؤسسة، أو دولة، وتواجه من الأزمات ما يهدد كيانك ويهز استقرارك. لقد ساقنا القرآن في سورة الروم عبر رحلة إيمانية عميقة، من غلبة الروم ووعد النصر، إلى آيات الله في الأنفس والأفاق، إلى تقرير التوحيد وإبطال الشرك. والآن، يصل بنا إلى قمة الوعي الحضاري، إلى آيات تكشف لنا عن سنة إلهية ماضية، وتقدم لنا منهجًا متكاملًا لإدارة الأزمات قبل وقوعها وأثناءها وبعدها.

إنها آيتان ليستا مجرد إخبار عن فساد في البر والبحر، بل هما بوصلة حضارية ومدرسة تربية تعلمنا كيف نقرأ إشارات الإنذار المبكر التي يرسلها الله لعباده، لعلهم يصححون مسارهم قبل فوات الأوان.

تعالَ معي نعيش هاتين الآيتين، ونستخرج منهما مراحل إدارة الأزمات الخمس، ونضرب لذلك أمثلة واقعية من حياتنا ومن حولنا، لنخرج من هذه الرحلة بقواعد عملية تنير لنا الطريق في زمن كثرت فيه الفتن والاضطرابات.

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} {الروم: 41}

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ} ^ط كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ} {الروم: 42}

أولاً: تفسير الآية 41 - سنة الله في ظهور الفساد

قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}

هذه الآية العظيمة هي قاعدة كلية في فلسفة التاريخ والاجتماع البشري. إنها تفسر لنا السبب الجذري

لكل ما نراه من أزمات وكوارث ومصائب تحل بالفرد والمجتمع والدولة.

- {ظَهَرَ الْقَسَادُ}: الفساد نقيض الصلاح. وهو كل ما يخل بنظام الحياة وطبيعتها التي فطر الله الناس عليها. وظهوره يعني بروزه وانتشاره حتى صار واضحًا لا يخفى على أحد.
- {فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}: يشمل كل مكان في هذا الكون. البر: اليابسة بكل ما عليها من مدن وقرى وزرع وضرع وإنسان وحيوان. البحر: المسطحات المائية وما فيها من كائنات وما يجري عليها من سفن. وظهور الفساد فيهما يشمل:
- . الفساد البيئي: كالصحرا، والتلوث، وثقب الأوزون، والاحتباس الحراري، وانقراض الكائنات.
- . الفساد الصحي: كالأوبئة والجوائح والأمراض المستعصية.
- . الفساد الاقتصادي: كالأزمات المالية العالمية، والكساد، والتضخم، والربا.
- . الفساد الاجتماعي والأخلاقي: كتفكك الأسر، وانتشار الجريمة، والمخدرات، والظلم، والحروب و الدمار.

- {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ}: هذا هو مكنم الداء وجذر المشكلة. الفساد الظاهر ليس عقابًا إلهيًا عشوائيًا، بل هو نتيجة طبيعية وحتمية لأعمال البشر السيئة وذنوبهم ومعاصيهم. إنها سنة السببية: كل فعل له رد فعل. الذنوب والمعاصي والظلم والبغي والفساد في الأرض، كلها أسباب تؤدي إلى ظهور الفساد في البر والبحر.
- {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا}: وهذه هي الحكمة الإلهية من هذا الابتلاء. إنها إذاعة وتذوق لبعض جزاء أعمالهم في الدنيا قبل عذاب الآخرة. والله أرحم بعباده من أن يعاجلهم بالعقوبة الكاملة، بل يذيقهم بعض ما عملوا، لتكون هذه الإذاعة جرس إنذار وصفارة تحذير.
- {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}: وهنا الهدف الأسمى والغاية العظمى. "لعل" للترجي، أي لعلهم يرجعون إلى الله، ويتوبون عن ذنوبهم، ويصلحون ما أفسدوا. فالأزمة ليست للتدمير والإبادة، بل هي فرصة للتصحيح ودعوة للعودة إلى الفطرة والصراط المستقيم.

مثال واقعي شامل) للفرد والمجتمع والدولة):

- . على مستوى الفرد: رجل مدمن على التدخين، يهمل صحته، ويأكل الحرام. الإشارات التحذيرية: سعال متقطع، ضيق في التنفس، ضعف في الجسم) هذا هو ظهور الفساد في بدنه بما كسبت يده. فإذا التقط الإشارة، رجع إلى الله، وأقلع عن التدخين، وأصلح غذاءه، عوفي بإذن الله. وإذا استمر، تفاقم المرض إلى أن يصبح سرطانًا) فساد عظيم (يذيقه العذاب الأليم، لعله في هذه المرحلة المتأخرة يرجع!
 - . على مستوى المجتمع: مجتمع شاع فيه الربا والغش والظلم وقطيعة الأرحام. الإشارات التحذيرية: كساد اقتصادي، انتشار للبطالة، ارتفاع لمعدلات الجريمة والطلاق) هذا هو ظهور الفساد بما كسبت أيديهم. (فإذا تنبه قادة المجتمع وعلماءه، ودعوا إلى التوبة والرجوع إلى شرع الله في المعاملات والأخلاق، انفرجت الأزمة. وإذا استمروا في غفلتهم، تفاقم الفساد إلى حروب أهلية ومجاعات) ليذيقهم بعض الذي عملوا.
 - . على مستوى الدولة: دولة تسلطت على الشعوب، وسفكت الدماء، ونهبت الثروات، ونشرت الفساد الأخلاقي. الإشارات التحذيرية: كوارث طبيعية مدمرة) زلازل، فيضانات، أوبئة تفكك بالحرث والنسل، هزات اقتصادية عنيفة) هذا هو ظهور الفساد بما كسبت أيديهم. (فإن رجعوا عن ظلمهم وأصلحوا، رفع الله عنهم. وإن أصروا، أهلكهم الله كما أهلك الأمم من قبلهم. ثانيًا: مراحل إدارة الأزمات الخمس في ضوء الآية الكريمة
- تأمل معي كيف أن هذه الآية الواحدة ترسم لنا منهجًا متكاملًا لإدارة الأزمات بخمس مراحل واضحة، وهي اليوم تدرّس في أعظم معاهد الإدارة والاستراتيجية.

المرحلة الأولى: اكتشاف إشارات الإنذار المبكر
الآية تقول: {ظَهَرَ الْقَسَادُ}. هذا الظهور هو الإشارة والإنذار. الفساد لا يظهر فجأة من العدم، بل له مقدمات وإرهاصات تظهر على السطح. مهمة الفرد والمجتمع والدولة الواعية هي التقاط هذه الإشارات مبكرًا قبل أن تتحول إلى أزمة عاصفة.

- . كيف نلتقط الإشارات؟
- . مراقبة سنن الله: من سنن الله أن الظلم والفساد يؤديان إلى الخراب. فظهور مؤشرات الظلم والاكتئاب الأخلاقي هو إشارة إنذار.
- . التحليل العلمي للواقع: رصد الظواهر السلبية) مثل ارتفاع معدلات التلوث، زيادة الجريمة، ظهور أمراض جديدة (وتحليلها وفهم ارتباطها بالسلوك البشري).

. التفكير والاعتبار: ألا نتفكر في أحوالنا؟ ألا نعتبر بما حل بغيرنا؟ هذا التفكير هو أداة التقاط الإشارات.

. مثال واقعي) مؤسسة تجارية: شركة بدأت شكاوى العملاء تتزايد بشكل طفيف، ونسبة المبيعات تتراجع بشكل غير مفسر. هذه إشارة إنذار مبكر. المدير الناجح هو من يلتقط هذه الإشارة بسرعة، ويبحث عن الخلل) الفساد (في جودة المنتج أو خدمة العملاء، فيصلحه قبل أن تخسر الشركة سمعتها وتقلس.

المرحلة الثانية: الاستعداد والتخطيط للوقاية

الآية تقول: {لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}. هذه الإذاعة هي فرصة ذهبية للوقاية من العذاب الأكبر. بمجرد ظهور الفساد (الإشارة)، يجب أن تنتقل فوراً إلى مرحلة الاستعداد والوقاية.

. كيف نستعد ونقي أنفسنا؟

. التوبة والاستغفار: أعظم وقاية وأقوى درع. قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.
. إصلاح مواطن الخلل: تشخيص ما كَسَبَتِ أيدي الناس (بدقة، والعمل على إزالة هذه الأسباب).
. بناء أنظمة وقائية: على مستوى الدولة، وضع خطط طوارئ لمواجهة الكوارث، وتشريعات تحمي البيئة، وأنظمة تحارب الفساد.

. مثال واقعي) دولة: دولة بدأت تعاني من أزمة اقتصادية) إشارة إنذار. (بدلاً من الانتظار حتى تنهار العملة، تقوم الحكومة بالاستعداد والوقاية: ترشيد الإنفاق، مكافحة الفساد، دعم القطاعات الإنتاجية، التوجه إلى الله بالاستغفار والدعاء. هذا هو التصويب المبكر.

**المرحلة الثالثة: احتواء الضرر والحد منه

الآية تقول: {لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا}. لاحظ كلمة {بَعْضٌ}. إنها رحمة من الله! الأزمة قد تقع، وقد يكون الضرر واقعاً لا محالة. لكن الحكمة تقتضي احتواء الضرر والحد من انتشاره، بحيث لا يكون كل الجزاء، بل بعضه.

. كيف نحوي الضرر؟

. سرعة الاستجابة: عند وقوع الأزمة، التحرك الفوري لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.
. تخفيف الآثار: مساعدة المتضررين، وتوفير البدائل، وإدارة الأزمة بحكمة لمنع تفاقمها.
. مثال واقعي) زلزال: عند وقوع زلزال مدمر) أزمة، لا يمكن منع وقوعه. لكن يمكن احتواء الضرر من خلال: فرق الإنقاذ السريعة، المستشفيات الميدانية، توفير المأوى للمشردين. هذا هو الحد من الضرر، ليكون بعض ما كان يمكن أن يكون.

*" المرحلة الرابعة: استعادة النشاط

الآية تقول: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}. الرجوع هنا ليس فقط رجوعاً قلبياً، بل هو رجوع إلى حالة الصلاح و العافية. بعد احتواء الضرر، تبدأ مرحلة التعافي واستعادة النشاط الطبيعي للحياة والمجتمع والاقتصاد.

. كيف نستعيد النشاط؟

. إعادة الإعمار: إعادة بناء ما دمرته الأزمة.
. الدعم النفسي والاجتماعي: معالجة آثار الصدمة، وإعادة الروح المعنوية للمجتمع.
. الرجوع إلى الله: هذا هو أساس التعافي الحقيقي. مجتمع رجع إلى ربه، هو مجتمع سينهض بقوة.

. مثال واقعي) جائحة: بعد انحسار جائحة عالمية) احتواء الضرر، تبدأ الدول في استعادة نشاطها: إعادة فتح الاقتصاد، عودة الطلاب إلى المدارس، تعافي القطاع الصحي. هذا هو الرجوع إلى الحياة الطبيعية.

**المرحلة الخامسة: التقييم والتعلم

الآية تقول: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}. الرجوع الحقيقي يتضمن مراجعة الذات وتقييم التجربة وتعلم الدروس. "رجوع" يعني أنهم لن يعودوا إلى نفس الأخطاء التي أوصلتهم إلى الأزمة.

. كيف نتعلم من الأزمة؟

. تحليل أسباب الأزمة: لماذا وقعت؟ ما هي؟ ما كَسَبَتِ أيدينا (التي أدت إليها؟
. تقييم أداء إدارة الأزمة: ما الذي نجح؟ وما الذي فشل؟ وكيف تطور خططنا للمستقبل؟
. بناء أنظمة أكثر منعاً: جعل المجتمع والدولة أقوى وأكثر قدرة على مواجهة الأزمات المستقبلية.
. مثال واقعي) مؤسسة: بعد نجات شركة من أزمة مالية كادت تعصف بها، تجتمع الإدارة لتقييم الدروس المستفادة: كيف وقعنا في الأزمة؟ ما هي نقاط ضعفنا؟ كيف نحسن أداءنا؟ هذا التقييم هو

الذي يضمن عدم تكرار الخطأ، وهو معنى} لَعْلَهُمْ يَزْجَعُونَ {عن الخطأ إلى الصواب.
ثالثاً: تفسير الآية 42 - درس التاريخ وأهمية التقييم الاستراتيجي

قوله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ}

بعد أن بين الله سنة ظهور الفساد، يأتي الأمر الإلهي: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ}. هذا الأمر هو بمثابة التوجيه العملي لتنفيذ المرحلة الخامسة من إدارة الأزمات: التقييم والتعلم. إنه أمر بالبحث والدراسة والتأمل في التاريخ، الذي هو أعظم مختبر للتجارب البشرية.

{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ: ليس سيرةً سياحياً، بل سير بحث واستقراء واعتبار. انظروا إلى آثار الأمم السابقة، وادرسوا تاريخهم.

{ فَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ: تأملوا نهايتهم ومصيرهم. كيف دمرت حضاراتهم العظيمة؟ كيف زالت مدنهم وقصورهم؟ لماذا هلكوا؟

{ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ: هذا هو الجواب والسبب الجامع. إنه الشرك! الشرك بالله، والخروج عن منهجه، واتباع الأهواء، والظلم، والفساد في الأرض. هذا هو جذر كل الأزمات التي حلت بهم.

. الربط بمراحل إدارة الأزمات: هذه الآية تأمرنا بـ التقييم الاستراتيجي الشامل من خلال دراسة التاريخ. إنها تقول: "لا تكتفوا بتحليل أزماتكم الحالية فقط. انظروا إلى أزمات الأمم السابقة. تعلموا من أخطائهم. ما سبب هلاكهم؟ الشرك والفساد. فاجتنبوا ما فعلوه، وارجعوا إلى الله، لئلا يصيبكم ما أصابهم".

**مثال واقعي) درس من التاريخ):

انظر إلى حضارة سبأ. أنعم الله عليهم بجنتين عن يمين وشمال، وأرض خصراء يانعة. فكفروا بأنعم الله، وأعرضوا عن شكره، وفسدوا في الأرض. فماذا كانت العاقبة؟ أرسل الله عليهم سيل العرم، فدمر جناتهم، وأبدلهم مكانها أرضاً قاحلة. {ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا}. هذا هو التقييم التاريخي الذي يأمرنا به القرآن. فهل نعتبر؟!
** القواعد التربوية المهمة في الآيتين لمواجهة الأزمات

من خلال هذا التحليل، نستخلص قواعد تربوية ذهبية للفرد والمجتمع والدولة:

1. التربية على ربط الأسباب بالمسببات: كل أزمة هي نتيجة لأعمالنا. فلا نلعن الظروف، بل نراجع أنفسنا. هذا يبني المسؤولية الفردية والجماعية.
 2. التربية على فقه الإنذار المبكر: تعليم الأجيال قراءة الإشارات وعدم تجاهلها. تغيير المناخ، ظهور الأمراض، تفشي الظلم... كلها إنذارات تستوجب التحرك.
 3. التربية على الاستجابة الإيجابية للأزمات: الأزمة ليست للنواح والبكاء، بل هي جرس تذكير وفرصة للتغيير. "لعلهم يرجعون" يعني أن الأزمة تحمل في طياتها بذور الحل.
 4. التربية على دراسة التاريخ والاعتبار به: التاريخ ليس قصصاً للتسلية، بل هو مختبر مفتوح. من لم يتعلم من تاريخ غيره، حكم على نفسه بتكرار أخطائه.
 5. التربية على التوحيد كحصن منيع: جذر كل فساد وهلاك هو الشرك) بمعناه الواسع: تقديم الهوى على شرع الله. (فتربية الأجيال على التوحيد الخالص هي أعظم وقاية من الأزمات.
- **كيف نربي أبنائنا على هذه المعاني؟

1. حكاية القصة القرآني: احك لطفلك قصة قوم سبأ أو فرعون بطريقة مشوقة. اسأله: "لماذا أهلكهم الله؟ ماذا فعلوا؟ كيف ننجو نحن؟". هذا يبني وعياً تاريخياً.
 2. ربط الأحداث الجارية بالقرآن: إذا حدث زلزال أو فيضان، لا تقل فقط "كارثة طبيعية". بل قل: "الله يذكرنا بقدرته. هذه دعوة لنا لندرج إليه ونتوب من ذنوبنا". هذا يربي الوعي بالسنن الإلهية.
 3. التدريب على تحليل الأسباب: إذا حدثت مشكلة في البيت) مثلاً: تكسرت الألعاب بسبب الإهمال) ، قل له: "انظروا! الإهمال سبب الفساد. بما كسبت يداك. هيا نصلح ونعدكم ألا نهمل مرة أخرى". هذا تطبيق عملي للآية.
- *الخاتمة: العودة إلى الله هي طريق النجاة

يا من تواجه الأزمات في حياتك، لقد أنزل الله لك في هاتين الآيتين دليل إدارة الأزمات الشامل. علمك كيف تكتشف الإشارات، وكيف تستعد، وكيف تحتوي الضرر، وكيف تستعيد نشاطك، وكيف تتعلم وتتقي المستقبل.

المفتاح في كل هذه المراحل هو كلمة واحدة: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}. الرجوع إلى الله، الرجوع إلى الفطرة، الرجوع إلى الصلاح. فما لم نرجع، سنظل ننتقل من أزمة إلى أزمة أشد منها.

سر في الأرض بصيرتك. انظر إلى آثار الأمم السابقة. واسمع نداء ربك: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ} قلن تجد لسنن الله تبديلاً^ط ولن تجد لسنن الله تحويلاً.

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} ٨ * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل^ط كان أكثرهم مشركين.

فليكن شعارك في كل أزمة: "اللهم إني أسألك أن تردنا إليك رداً جميلاً". اللهم اجعل هذه الأزمة رحمة لا نقمة، وفرصة للرجوع لا سبباً للهلاك. واهدنا لاستخلاص الدروس والعبر، واجعلنا ممن يسبرون في الأرض فيعتبرون، ويرجعون إليك فيفلحون". جعلنا الله وإياكم من المتعطين بآياته، المستجيبين لإنذاراته، الراجعين إليه في كل حين. آمين.

المبحث الثاني

أيها المؤمن الذي سار معنا في رحاب سورة الروم، متأملاً في آياتها البيّنات، متدبراً في حججها الساطعات، ها نحن نقف على ختام مبارك لهذه السورة العظيمة. بعد أن أَرَانَا اللهُ مشاهد الكون و النفس، وضرب لنا الأمثال، وحذرننا من عواقب الشرك والفساد، يأتي هذا الختام ليضع أمامنا الطريق الواضح، وليذكّرنا بـ الحقيقة الكبرى التي يجب أن تملأ قلوبنا وعقولنا: حقيقة يوم الفصل والجزاء.

إنها آيات ثلاث تجمع بين الأمر بالاستقامة، والتحذير من عاقبة الكفر، والبشارة برحمة الله، والتذكير بآياته في الآفاق. إنها خاتمة تتناسب مع فاتحة السورة التي بدأت بالوعد بالنصر، وتنتهي هنا بالوعد بـ الجزاء الأوفى.

فلنعش معاً قوله تعالى:

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} ^ط {يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ} {الروم: 43}
{مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} ^ط {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ يَمْهَدُونَ} {الروم: 44}
{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ} ^ط {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} {الروم: 45}
أولاً: الأمر الحاسم - إقامة الوجه للدين القيم

قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ}

تأمل معي فاء التعقيب {ف} في بداية الآية. إنها فاء الفصيحة التي تربط هذا الأمر بكل ما سبق في السورة من حجج وبراهين وآيات. وكان الله يقول لنا بعد هذه الرحلة الإيمانية الطويلة: "بما أنكم قد رأيتم آياتي في الآفاق والأنفس، وعلمتم أن وعدي حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الشرك باطل والفساد مهلك... فأقيموا وجوهكم للدين القيم". إنها نتيجة حتمية واستجابة منطقية لكل ما مضى.

١- {فَأَقِمْ وَجْهَكَ}: هذا التعبير القرآني البليغ تكرر في السورة (الآية 30) إنه أمر بـ الاستقامة التامة و التوجه الكامل لله وحده. "أقم وجهك" أي اجعله مستقيماً متوجهاً إلى الدين، لا تلتفت يمنة ولا يسرة. إنه أمر بـ الثبات على الحق، والإخلاص في الطلب، والعزيمة في المسير.

٢- {لِلدِّينِ الْقَيِّمِ}: الدين القيم هو الإسلام، دين التوحيد والفطرة. وهو "القيم" بمعنى المستقيم الذي لا عوج فيه، والقائم على مصالح العباد في دنياهم وأخراهم. إنه الدين الذي يصلح عليه أمر الإنسان، وتستقيم به حياته. وهذا الوصف يملأ قلب المؤمن طمأنينة، فهو على دين قيم لا يتغير ولا يتبدل.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل أنك في سفينة تتلاطم بها الأمواج من كل جانب، والضباب كثيف يحجب الرؤية. أنت في حيرة وخوف. وفجأة، يظهر أمامك نور منارة ثابتة على الشاطئ، توجهك إلى بر الأمان. هذا النور هو {الدين القيم}. والأمر {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} يعني: "ثبت بصرك على تلك المنارة، ووجه سفينتك نحوها مباشرة، ولا تلتفت إلى الأمواج والضباب من حولك". إن التفاتك قد يجعلك تنحرف فتهلك، أما إقامة وجهك نحو المنارة فتنجيك.

ثانياً: الدافع والرادع - يوم لا مرد له

قوله تعالى: {مَنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} ^ط {يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ}

بعد الأمر بالاستقامة، يأتي السبب والدافع الذي يحفزك على المبادرة والمسارة. إنه يوم القيامة، اليوم الذي لا مفر منه ولا مهرب.

{ من قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ } : "من قبل" تدل على ضرورة المبادرة واغتنام الوقت. العمر محدود، والفرصة سانحة الآن. فقبل أن يأتي ذلك اليوم الذي تنقطع فيه الأعمال، أقم وجهك للدين القيم.
{ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ } : أي لا يمكن رده ولا صرفه ولا تأخيره. إذا جاء أمر الله، فلا يستطيع أحد أن يردّه. { مِنْ اللَّهِ } أي أن مجيئه من عند الله حتم لا ريب فيه. وهذا يقطع كل أمل بالتسويف أو التأجيل.

{ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ } : هذه الكلمة تصور لك هول المشهد "يصدعون" من الصدم، وهو التفرق والانشقاق . في ذلك اليوم، يتفرق الناس تفرقاً لا اجتماع بعده. يتفرقون إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير. هذا التفرق هو لحظة الحسم الأبدي. وهذا يذكرنا بقوله في فاتحة السورة: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُ بِتَنَزُّلِهَا } .

مثال واقعي تقريبي:

تخيل أن رئيسك في العمل أخبرك أن هناك مراجعة نهائية لملفات الموظفين بعد أسبوع، وبعدها سيتم تقسيمهم: فريق يكافأ ويترقى، وفريق يعاقب ويطرده. ولن تكون هناك أي فرصة للمراجعة بعد ذلك. ماذا ستفعل؟ ستسارع إلى إقامة وجهك لعملك، ومراجعة ملفاتك، وإصلاح أخطائك، وتقديم أفضل ما عندك قبل أن يأتي ذلك اليوم الذي لا مرد له. هذا هو حال المؤمن مع يوم القيامة.
﴿ثالثاً: قانون العدالة - كل نفس بما كسبت رهينة﴾

قوله تعالى: { مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ } ^ط وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ {

بعد أن ذكر تفرق الناس، بين مصير كل فريق بمنتهى العدل والوضوح. إنها قاعدة إلهية مطلقة: لا تزر وازرة وزر أخرى.

{ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ } : أي عليه وحده عقوبة كفره ووباله. لن يتحمل أحد عنه شيئاً. وهذا رد على المشركين الذين قالوا: { إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } . {يوم القيامة، كل نفس مسؤولة عن نفسها.}

{ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ } : "يمهدون" من المهاد، وهو الفراش الوثير الذي يهيأ للنوم و الراحة والمعنى: أن المؤمنين الذين يعملون الصالحات، يعدون لأنفسهم في الدنيا فراشاً وثيراً في الجنة بأعمالهم الصالحة. كل حسنة، كل صدقة، كل صلاة، هي لبنة في بناء قصورهم وتمهيد فرشهم في الجنة. وهذا أبلغ من أن يقال: "فلأنفسهم يكسبون"، لأن فيه تصويراً لما ينتظرهم من نعيم مقيم بدأوا في إعداده من الآن.
*مثال واقعي تقريبي:

تخيل طالبين في المدرسة. الأول: كسول، لا يذاكر، يضيع وقته في اللهو. الثاني: مجتهد، يذاكر دروسه، ويؤدي واجباته. عندما يأتي يوم الامتحان، الطالب الأول عليه هو وحده نتيجة كسله، ولن ينفعه بكاء ولا ندم. أما الطالب الثاني، فقد مهد لنفسه طريق النجاح والتفوق، بل إنه استمتع براحة البال والثقة أثناء الامتحان. هذا هو الفرق بين من كفر ومن عمل صالحاً.
رابعاً: الختام بالرحمة والعدل - جزاء الفضل وعدم محبة الكافرين

قوله تعالى: { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ } ^{هـ} إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ {

هذه هي الآية الأخيرة في السورة، وهي خاتمة جامعة بين الترغيب والترهيب، بين الرحمة والعدل.

{ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ } : هنا بيان لسبب خلق السماوات والأرض وإقامة يوم القيامة. إنه ليجزى الله المؤمنين. لاحظ أنه قال: { مِنْ فَضْلِهِ } . فالجنة ليست ثمناً للأعمال، بل هي فضل من الله ورحمة. فمهما عمل المؤمن، فلن يبلغ شكر نعمة واحدة، وإنما يدخله الله الجنة بفضلِهِ . وهذا يعلم المؤمن التواضع وعدم الاغترار بالعمل.

{ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } : وهذه هي الضابطة الإلهية. الله لا يحب الكافرين، أي أنهم ليسوا أهلاً لمحبته ورضوانه. وهذا الختام يبين أن أساس النجاة هو محبة الله، وأساس الهلاك هو سخط الله. والكافرون بمخالفتهم للفطرة ورفضهم لدين الله، قد استحقوا عدم محبته.
مثال واقعي تقريبي:

تخيل أبًا غنيًا كريمًا. قال لأبنائه: "من يذاكر ويجتهد، فسأعطيه من فضلي وكرمي جائزة عظيمة لا يستحقها بعمله وحده، بل هي من كرمي". ثم قال: "أما من يكسل ويبعث ويسيء الأدب، فأنا لا أحبه، ولن يكون له نصيب في عطاياي وفضلي". هذا الأب هو الله، وفضله هو الجنة، وعدم محبته هو الخسران المبين.
المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيات في حياتنا العملية؟

١. مفهوم "إقامة الوجه للدين القيم" - تحديد البوصلة

في زمن كثرت فيه المشتتات والفتن، يجب أن تكون بوصلة حياتك مضبوطة على الدين القيم. هذا يعني أن كل قراراتك، كل علاقاتك، كل أهدافك، يجب أن تكون منسجمة مع هذا الدين.

. كيف تطبقه؟

. اسأل نفسك عند كل خطوة: "هل هذا يرضي الله؟ هل هذا يوافق الدين القيم؟". إذا كان الجواب لا، فاتراجع فورًا.

٢. مفهوم "اليوم الذي لا مرد له" - استثمار العمر

تذكر دائمًا أن عمرك محدود، وأن هناك ساعة صفر لا رجعة بعدها. هذا الوعي يجعلك تستثمر كل لحظة في طاعة الله.

. كيف تطبقه؟

. احرص على ألا يمر عليك يوم إلا وقد ازددت فيه خيرًا. ضع لك أهدافًا يومية وأسبوعية للعبادة والعمل الصالح. تذكر أن كل يوم يمر يقربك من ذلك اليوم.

٣. مفهوم "يمهدون" - صناعة المستقبل الآن

أنت الآن تمهد لفراشك في الجنة أو لفراشك في النار. كل عمل صالح هو لبنة في قصرك، وكل معصية هي حفرة في طريقك إلى النار.

. كيف تطبقه؟

. انظر إلى أعمالك الصالحة على أنها استثمار حقيقي لمستقبلك الأبدي. كلما أكثرتها منها، كان مهالك في الجنة أوفر وأطيب.

٤. مفهوم "من فضله" - التواضع في العمل

مهما اجتهدت في العبادة، فلا تغتر بعملك. تذكر أن دخولك الجنة هو بفضل الله ورحمته، لا بعملك وحده.

. كيف تطبقه؟

. أكثر من قول: "اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار". ولا تقل: "بعلمي سأنجو". بل قل:

*الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الخواص؟

1. تعليمهم أن لكل شيء نهاية: علم طفلك أن الحياة الدنيا لها نهاية، وأن هناك يومًا عظيمًا سيحاسب فيه الناس. هذا يبني لديه الوعي بالآخرة.

2. ربط العمل الصالح بالجنة: عندما يفعل طفلك خيرًا، قل له: "ما شاء الله! أنت الآن تمهد لفراشك في الجنة. هذا العمل سيكون سريرًا جميلًا تنام عليه هناك". هذا التصوير الجميل يجعل العمل الصالح محبوبًا إليه.

3. تعليمهم أن الجنة بفضل الله: حتى لا يصاب طفلك بالغرور، ذكره دائمًا أن الجنة هي هدية من الله وفضل منه، ونحن نعمل لنكون أهلاً لهذا الفضل.
وقفات عملية: لنستعد ليوم التفرق

. وقفة مع الصباح: عندما تستيقظ، قل: "اللهم إني أسألك أن تثبت وجهي لدينك القيم، واجعل هذا اليوم خيرًا لي مما مضى، واجعلني ممن يمهدون لأنفسهم في الجنة".

. وقفة مع المساء: قبل النوم، حاسب نفسك: "ماذا أعددت اليوم ليوم لا مرد له؟". هذه المحاسبة

تجعلك تنام بقلب مطمئن أو تحفزك للاستغفار والتوبة.
· وقفة مع كل عمل صالح: عندما تتصدق، أو تصلي، أو تقرأ قرآناً، تذكر أنك تمهد لفراسخ في الجنة .
استشعر هذا المعنى، وستجد لذة في العمل الصالح لم تعهدها من قبل.
الخاتمة: إلى بر الأمان

يا من سار معنا في رحاب سورة الروم، لقد بدأت السورة بوعدها للنصر للمؤمنين، وانتهت بوعدها للجزاء والفضل للمؤمنين. إنها دائرة كاملة تبدأ من اليقين بوعدها الله، وتنتهي إلى العمل لدين الله.

لقد بان لك الطريق. إنه {الدين القيم}. فأقم وجهك له، ولا تلتفت. اعمل صالحاً، وامهد لنفسك في الجنة. واستعد ليوم {يصدعون}، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ \ *مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۗ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ \ *لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَّا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}

فليكن شعارك: "الله م ثبت وجهي على دينك القيم، وارزقني العمل الصالح الذي أمهد به لنفسي في جنات النعيم، وأكرمني بفضلك ورحمتك، ولا تجعلني من الكافرين الذين لا يحبون". جعلنا الله وإياكم ممن يقيمون وجوههم للدين القيم، ويمهدون لأنفسهم بالصلوات، ويفوزون بفضل الله ورحمته يوم القيامة. آمين.

المبحث الثالث

أيها المتأمل في آيات الله في الأفاق، يا من ترنو إلى السماء عندما يلوح السحاب، وتستبشر بالغيث عندما تهب الرياح، لقد وصلنا في رحلتنا مع سورة الروم إلى آية من آيات النعم الإلهية التي نعيشها ونلمسها في حياتنا اليومية. بعد أن ختم الله السورة بالحث على إقامة الوجه للدين القيم، يعود بنا في هذه الآية إلى الأفاق الكونية، ليرينا آية جديدة من آيات قدرته ورحمته. إنها آية الرياح، تلك القوة الخفية التي لا تراها العين، ولكنك ترى أثرها واضحاً في كل مكان. إنها آية تحمل في طياتها البشارة والنعمة والدعوة إلى الشكر.

فلنعش معاً قوله تعالى:

{وَمِنَ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مَبْشِرَاتٍ وَلِيَذِّبَ كُفْرًا بِأَمْرِهِ وَلِيَتَّبِعُوا مِن فَضْلِهِ وَتَلَكُمْ تَشْكُرُونَ} {الروم: 46}

1. الافتتاح بالآية: {وَمِنَ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مَبْشِرَاتٍ} - بشارة الخير قبل نزوله

مرة أخرى، يأتي النداء القرآني العظيم: {وَمِنَ آيَاتِهِ}. إنه يوقظ فيك روح التأمل والتدبر. "ومن دلائل قدرته ووحدانيته ورحمته...". هذه الافتتاحية تجعلك تستعد لاستقبال آية جديدة من آيات الله في الكون.

{أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ}: الرياح هي هواء متحرك. إنها قوة غير مرئية، لكنها فاعلة ومؤثرة. تأمل كيف يرسلها الله! لا تملك أنت ولا أي مخلوق أن تخلق ريحاً أو تحركها. هي جند من جنود الله، يرسلها كيف يشاء. وقد تأتي بصيغة الجمع "رياح" للدلالة على تنوعها: رياح الشمال ورياح الجنوب، رياح الصبا ورياح الدبور. كلها بأمره وتدبيره.

{مَبْشِرَاتٍ}: هذا هو الوصف الأول للرياح. إنها مبشرات، أي تحمل البشرى والخبر السار. بماذا تبشر؟ تبشر بالمطر. فقبل أن ينزل الغيث، يرسل الله الرياح لتثير السحاب، وتشره في السماء، فتراها أيها الإنسان فتهتز نفسك فرحاً، وتستبشر برحمة الله. إنها رسل الرحمة تسبق الرحمة.

· اللمسة البيانية: لاحظ دقة التعبير: {يُرْسِلَ}. {الفعل يدل على أن الرياح مأمورة ومرسلة من عند الله. ووصفها بـ {مَبْشِرَاتٍ} {وهو جمع مؤنث سالم، فيه إشارة إلى أن هذه الرياح تحمل الخير الكثير و البشارات المتعددة: بشارة بالمطر، بشارة بتلقيح النبات، بشارة بتجديد الهواء.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل مزارعاً خرج من بيته بعد شهور من الجفاف، والسماء صافية قاحلة، والأرض يابسة مهمومة. وفجأة، هبت ريح باردة، تحرك أوراق الشجر اليابسة. انظر إلى وجهه! لقد تحول حزنه إلى فرح وأمل. لم ينزل المطر بعد، ولكن هذه الرياح هي {مَبْشِرَاتٍ} بالنسبة له. إنها تخبره أن الغيث قادم، وأن رحمة الله على الأبواب. وهذا يذكره بقول الله: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قُتِلُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ}. الرياح المبشرات هي التي تبعد قنوطه.

٢. الغاية الأولى: {وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ} - تذوق الرحمة الإلهية

بعد أن ذكر أن الرياح مبشرات، ذكر الغاية الأولى من إرسالها والمطر الذي تبشر به.

{وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ}: "اللام" هنا للتعليل، أي لأجل أن يذيقكم. والمقصود بـ {رَحْمَتِهِ} هو الغيث و المطر وما يتبعه من خيرات. والمطر نفسه رحمة. تأمل كلمة {لِيُذِيقَكُمْ} إنها توحى بأن هذه الرحمة محسوسة وملموسة، كالطعام والشراب الذي يذاق. فالمطر يذيق الناس طعم الحياة بعد موت الأرض، ويذيقهم طعم الرزق بعد الفقر، ويذيقهم طعم الفرح بعد القنوط. و"من" في {مِّن رَّحْمَتِهِ} للتبعيض، أي بعض رحمته. فرحمة الله في الدنيا، مهما عظمت، فهي مجرد تذوق ونموذج مصغر من رحمته الكاملة في الآخرة.

مثال واقعي تقريبي:

عندما تشرب كوبًا من الماء البارد العذب في يوم حار، فإنك تذوق نعمة الماء. وعندما ترى الأرض الخضراء اليانعة بعد أن كانت صفراء قاحلة، فإنك تذوق رحمة الله بالمطر. هذا التذوق يجعلك تشكر الله، ويدفعك إلى أن تطلب الرحمة الكبرى في الآخرة، حيث الأثوار الجارية والنعيم المقيم.

٣. الغاية الثانية: {وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ} - تسخير البحار للتجارة والمنافع

هذه هي الغاية الثانية لإرسال الرياح. إنها لا تقتصر على إنزال المطر، بل تمتد لتشمل تسيير السفن في البحار.

{وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ}: الفلك هي السفن. والرياح هي المحرك الرئيسي للسفن الشراعية قديمًا، ولا تزال تلعب دورًا هامًا في الملاحة حتى اليوم. والله يرسل الرياح لتجري هذه السفن في البحر.

{بِأَمْرِهِ}: هذا هو القيد المهم. جريان الفلك ليس عشوائيًا، ولا هو بقوة الرياح وحدها، بل هو بأمر الله وتسخيره وتديره. هو الذي يأمر الرياح أن تهب، وهو الذي يأمر الماء أن يحمل السفينة، وهو الذي يحفظها من الغرق. فإذا أراد الله، سكنت الريح فوقفت السفن على ظهر البحر.

• اللمسة البيانية: لاحظ الجمع بين {الرِّيحِ} {التي هي هواء} {وَالْفُلُكِ} {التي تجري على الماء} {وَبِأَمْرِهِ} الذي يجمع بينهما. (الهواء والماء عنصران متضادان، لكن أمر الله يجمعهما ويسخرهما لخدمة الإنسان. هذا من بديع قدرته.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل تاجرًا في العصور القديمة، يحمل سفينته بالبضائع الثمينة، وينتظر في الميناء الرياح المواتية. فإذا هبت الريح المناسبة، رفع أشرعته، وجرت به السفينة في عرض البحر، تحمله إلى بلاد بعيدة ليتاجر ويربح. إنه يعلم أن هذه الريح ليست صدفة، بل هي بأمر الله، وأن الله هو الذي يسخرها له. وهذا يملأ قلبه شكرًا وتواضعًا.

٤. الغاية الثالثة: {وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ} - السعي في منابك الأرض طلبًا للرزق

هذه هي الغاية الثالثة والنتيجة المباشرة لجريان الفلك.

{وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ}: أي لتطلبوا من فضل الله ورزقه الواسع. فبالرياح تجري السفن، وبالسفن تنتقل البضائع، وتقوم التجارة، وينتشر الرزق. فالرياح إذن سبب من أسباب الرزق. والمؤمن يتبغى فضل الله لا فضل البشر. فهو يعلم أن الرزق من عند الله، وهذه الأسباب (الرياح، السفن، التجارة) ما هي إلا وسائل أوصها الله إليه.

مثال واقعي تقريبي:

في عصرنا الحالي، قد لا نستخدم الرياح مباشرة لتسيير السفن الكبيرة، ولكن الرياح لا تزال تؤثر في حركة الطائرات، وتساعد في توليد الطاقة الكهربائية (طاقة الرياح). والتجارة العالمية التي تنقل البضائع عبر البحار والمحيطات، هي في جزء منها استجابة لهذه الآلة. فأنت عندما تشتري سلعة من بلد بعيد، فأنت تتبغى من فضل الله، والرياح جزء من منظومة الأسباب التي سخرها الله لك.

٥. الغاية العظمى: {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} - ثمرة النعم كلها

بعد كل هذه النعم (البشارة، تذوق الرحمة، جريان الفلك، ابتغاء الفضل)، تأتي الغاية العظمى والحكمة الكبرى.

١. ولعلكم تشكروُن: "لعل" للترجي. أي أن الله أرسل الرياح وفعل كل هذه النعم رجاء أن تشكروه . الشكر هو الغاية من النعمة فالنعمة وسيلة، والشكر هو الهدف. والشكر ليس مجرد كلمة تقال باللسان، بل هو عبادة قلبية) اعتراف بالنعمة للمنعم (وقولية) حمد الله والثناء عليه (وعملية) استعمال النعمة في طاعة الله.

. اللمة البيانية: لاحظ أن كل الغايات السابقة مرتبطة بالدنيا) إذاعة الرحمة، جريان الفلك، ابتغاء الفضل، أما الغاية الأخيرة فهي روحية: تشكروُن. (وهذا يدل على أن الإسلام يربط الدنيا بالدين، و المادة بالروح. فأنت تستمتع بنعم الله في الدنيا، وتستخدمها في معاشك، ولكن الهدف الأسمى هو أن تقودك هذه النعم إلى شكر الله وعبادته.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل طفلاً أعطاه والده هدية جميلة (دراجة). الهدف من الهدية ليس فقط أن يلعب بها الطفل ويمرح، بل أن يشكر والده، ويقدر تعبته، ويحبه أكثر، ويطيعه. فإذا أخذ الطفل الدراجة وجرى بها بعيداً، ولم يلتفت إلى والده، ولم يشكره، بل ربما استخدمها في إزعاج الآخرين، فهل حقق الهدف من الهدية؟ كلا! كذلك نعم الله علينا، الهدف منها أن نشكره. المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

١. مفهوم "الرياح مبشرات" - التفاؤل واستشراف الخير

تعلم من الرياح أن بعد كل عسر يسراً، وأن بشارات الخير تسبق نزوله. لا تيأس من روح الله.

. كيف تطبقه؟

. عندما تمر بضائقة، ابحث عن مبشرات الفرج. قد تكون كلمة طيبة، أو حلماً صالحاً، أو تيسيراً في أمر ما. هذه المبشرات من رحمة الله، فتفاعل بها.

٢. مفهوم "تذوق الرحمة" - استشعار النعم الصغيرة

نحن نعيش في بحر من رحمة الله، ولكننا لا نستشعرها إلا عندما نفقدها. تعلم أن تتذوق رحمة الله في كل لحظة.

. كيف تطبقه؟

. عندما تشعر بنسمة هواء باردة في يوم حار، تذوق رحمة الله. قل: "الحمد لله على هذه النعمة". عندما ترى المطر ينزل، تذوق رحمة الله. هذا الاستشعار يزيد من شكرك لله.

٣. مفهوم "الأمر لله" في الأسباب - التوكل الصادق

الرياح تهب بأمره، والسفن تجري بأمره. أنت تأخذ بالأسباب (تنتظر الريح، تتركب السفينة)، ولكن أمر الله هو الذي يدبر كل شيء.

. كيف تطبقه؟

. في كل عمل تقوم به، خذ بالأسباب بجد وإتقان، ثم توكل على الله. ثق أن النجاح ليس بقوة الأسياب وحدها، بل بأمر الله.

٤. مفهوم "الشكر" - تحويل النعمة إلى عبادة

اجعل من كل نعمة تصيبك سبباً للشكر. لا تكن ممن يأكل النعمة ويتمتع بها وينسى المنعم.

. كيف تطبقه؟

. خصص دفتراً لكتابة نعم الله عليك كل يوم. ثم اسجد لله سجدة شكر، أو قل: "الحمد لله عدد خلقه". هذا يحول حياتك كلها إلى عبادة. الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآية؟

1. مراقبة الرياح: عندما تهب ريح قوية، لا تجعل طفلك يخاف فقط. بل قل له: "هذه رياح مبشرات يا حبيبي. إنها تأتي بالمطر والخير. هيا ندعو الله أن يجعلها رحمة لا عذاباً". هذا يعلمه ربط الظواهر

الطبيعية بالله.

2. قصة السفينة والرياح: احك له قصة سفينة شراعية قديمة، كيف كانت تعتمد على أمر الله في الرياح لتسير. قل له: "انظر! الله يسخر لنا الرياح لركب السفن ونسافر ونأتي بالأشياء الجميلة. فهل شكرت الله على هذه النعمة؟".

3. تدريبهم على الشكر العملي: إذا أكل طفلك طعامًا يحبه، قل له: "من أين جاء هذا الطعام؟ من الأرز. من أنزل المطر على الأرض؟ الله. من أرسل الرياح لتحمل السحب؟ الله. إذن، من الذي يستحق الشكر؟ الله. هيا نقول: الحمد لله". هذا التدريب يجعله شكورًا بالفطرة.
وقفات عملية: لنعش مع الرياح مبشرات

. وقفة مع نسمة الهواء: في أي وقت تشعر بنسمة هواء، توقف لحظة. استشعر أنها {مُبَشِّرَاتٍ}. {تنفس بعمق، وقل: "الحمد لله الذي أرسل الرياح مبشرات، رحمة منه وفضلا".}
. وقفة عند رؤية السفن أو الطائرات: إذا رأيت سفينة في البحر، أو طائرة في السماء، تذكر أنها تجري {بأمره}. {وأن الله سخر الرياح والبحار والسماء لخدمتك. فاشكره على هذه النعم.
. وقفة مع دعاء الريح: تعلم دعاء النبي ﷺ عند هبوب الريح: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به». {ردد هذا الدعاء بقلب حاضر.
الخاتمة: الرياح آية تستحق الشكر

يا من تعيش في ملكوت الله، وتتنفس هواءه، وتشرب مائه، وتركب بحاره، لقد جعل الله لك في الرياح آية تستحق التأمل. إنها ليست مجرد هواء يتحرك، بل هي رسل رحمته، وأدوات تدبيره، وأسباب رزقه.

فإذا هبت الرياح، فافرح باستبشارها، وتذوق رحمة الله في غيبتها، وتأمل قدرته في تسييرها للفلك، وابتغ من فضله في تجاراتك وأسفارك. ولا تنس الغاية العظمى: {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}. فالشكر هو مفتاح المزيد، وهو دأب الأنبياء والصالحين.

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْرِيَ الْفَلَكَ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْتَلُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم لك الحمد على نعمك التي لا تعد ولا تحصى. اللهم اجعلني من الشاكرين، وارزقني تذوق رحمتك، ويسر لي أسباب فضلك، وأجرني من شر رياحك وعذابك". جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين، المستبشرين برحمته، الفائزين بفضله. آمين.

المبحث الرابع

أيها المؤمن الذي يسير في دروب الحياة، وتواجه العقبات، وتحيط به جحافل الباطل، فتظن أحيانًا أن الحق مهزوم، وأن الباطل منصور. لقد ساقتك سورة الروم في رحلة إيمانية طويلة، بدأت بالوعد بنصر الروم وفرح المؤمنين، ومرت بآيات الله في الأنفس والأفاق، وأقامت الحجة على المشركين، وحذرت من عاقبة الفساد. وها نحن نقترّب من ختام السورة، لنقف على قانون إلهي ثابت، وسنة ماضية لا تتخلف ولا تتبدل. إنها آية تختصر لك قصة الصراع الأزلي بين الحق والباطل، وتكشف لك النتيجة الحتمية لهذا الصراع، لتزرع في قلبك الطمأنينة والثبات، وتملأ روحك باليقين والرجاء.

فلنعش معًا قوله تعالى:

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْتَمَنَّا مِنْ الَّذِينَ أُجْرَمُوا ۗ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ} (الروم: 47)
1. الافتتاح بالقسم الضمني: {ولقد أرسلنا} - تأكيد الخبر وتثبيت القلب

تبدأ الآية بواو القسم، ولام التوكيد، وقد التحقّق. {ولقد أرسلنا}. هذا الافتتاح المهيّب ليس مجرد إخبار عادي، بل هو توكيد مضاعف، وكأن الله يقسم لرسوله ﷺ وللمؤمنين من بعده على هذه الحقيقة. لماذا كل هذا التوكيد؟ لأن المخاطبين (الرسول والمؤمنين) كانوا في أمس الحاجة إلى تثبيت القلوب وتقوية اليقين. إنهم يواجهون تكذيبًا واضطهادًا، ويحتاجون إلى من يذكرهم بأن هذه هي السنة، وأن العاقبة للمتقين.

{من قبلك}: أي من قبلك يا محمد. هذا يذكر النبي ﷺ بأنه ليس بدعًا من الرسل، بل هو حلقة في سلسلة مباركة من الأنبياء والمرسلين. وما يعانیه من تكذيب قومه، قد عانى منه إخوانه الرسل من قبله. وهذا فيه تسلية للنبي ﷺ، وتخفيف من وطأة الأذى عليه.
{رسلنا إلى قومهم}: أرسلنا رسلا كثيرين إلى أقوامهم خاصة. وهذا يدل على رحمة الله بعباده،

حيث يرسل إليهم من أنفسهم من يدعوهم ويهديهم.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل قائداً عظيماً يقود جيشاً في معركة شرسة. يرسل إليه القائد الأعلى رسالة يقول فيها: "أقسم لك ، لقد أرسلنا قادة من قبلك إلى جيوشهم، واجهوا نفس ما تواجهه، لكن النصر كان حليفهم في النهاية!". هذه الرسالة ترفع معنويات القائد، وتجعله يصمد ويثبت، لأنه يعلم أن ما يمر به هو سنة الصراع، وأن العاقبة معروفة.

٢. مهمة الرسل: {فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} - إقامة الحجّة القاطعة

بعد ذكر الإرسال، تذكر الآية وسيلة الرسل في دعوتهم: البيّنات.

{فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}: البيّنات هي المعجزات الواضحات والآيات القاطعات والحجج الدامغات التي لا تدع مجالاً للشك في صدق الرسل. إنهم لم يأتوا بكلام فارغ، بل جاءوا بالبراهين والأدلة التي تثبت أنهم مرسلون من عند الله. فلم يبق لأقوامهم عذر في تكذيبهم. وهذا يشبه قوله تعالى في آيات سابقة: {وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ} {الآية 9}

. اللّمسة البيّانية: لاحظ أن الفعل {جاءوهم} يدل على أن الرسل بادروا إلى أقوامهم، وسعوا إليهم بالحق، ولم ينتظروهم ليأتوا هم. وهذا من كمال نصحتهم وحرصهم على هداية أقوامهم.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل طبيباً ماهراً يأتي إلى قرية ينتشر فيها وباء خطير. لا يكتفي بالجلوس في عيادته، بل يخرج إلى الناس، ويطرق أبوابهم، ويحمل معه الأدوية والأجهزة الطبية (البيّنات). يشرح لهم خطورة المرض، ويقدم لهم العلاج المجاني. هذا هو حال الرسل. جاؤوا أقوامهم بالبيّنات (المعجزات والشرائع) لشفائهم من أمراض الكفر والجهل.

٣. الجزاء العاجل: {فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} - سنة الله في المكذبين

بعد أن بين أن الرسل جاؤوا بالبيّنات، يذكر مآل المكذبين المجرمين.

{فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا}: الفاء هنا للتعقيب. أي فكانت النتيجة بعد مجيء الرسل بالبيّنات وإصرار القوم على التكذيب، أن انتقم الله منهم. الانتقام هنا ليس ظلماً، بل هو عدل وجزاء وفاق. وقد وصفهم بـ {الَّذِينَ أَجْرَمُوا} للدلالة على أن سبب الانتقام هو إجرامهم وتكذيبهم. والإجرام يشمل كل ذنب عظيم، وعلى رأسه تكذيب الرسل والصد عن سبيل الله.

. الربط بالواقع: هذا هو التحذير الإلهي لكفار مكة ولكل مكذب إلى يوم القيامة. إن الله قادر على أن ينتقم منكم كما انتقم من الأمم السابقة. وكما قال في الآية 9: {فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.

مثال واقعي تقريبي) من التاريخ:

انظر إلى قوم نوح، كذبوه واستهزؤوا به. فماذا كانت العاقبة؟ {فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ} بالطوفان العظيم. انظر إلى عاد وثمود وفرعون... كلهم جاؤوهم رسلهم بالبيّنات، فأجروا، وكذبوا، فانتقم الله منهم انتقاماً جعله عبرة للعالمين. هذه ليست قصصاً خيالية، بل هي وقائع تاريخية يؤكدها القرآن ويراهها الناس في آثارهم.

٤. الوعد الحق: {وكانَ حقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} - قانون النصر الإلهي

بعد ذكر انتقامه من المجرمين، يختم الله الآية بـ. البشارة العظمى والقانون الثابت الذي لا يتغير.

{وكانَ}: فعل ماض يدل على الثبوت والاستمرار. أي أن هذا الأمر كان في علم الله وقضائه، ولا يزال ثابتاً إلى يوم القيامة.

{حقًا عَلَيْنَا}: كلمة {حقًا} تفيد الوجوب والثبوت. ليس واجباً على الله إلزاماً، بل هو حق وأوجه الله على نفسه تفضلاً منه ورحمة. إنه وعد منه لا يتخلف. وهذه غاية في الكرم والفضل.

{نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}: هذا هو الوعد والقانون. نصر المؤمنين حق على الله. وقد يكون هذا النصر في الدنيا بالغلبة والتمكين، كما حدث للرسل وأتباعهم. وقد يكون بتأييدهم وثباتهم، ثم يكون النصر الأكبر في الآخرة بالجنة والرضوان. ولكن النصر في النهاية هو للمؤمنين.

. اللّمسة البيّانية: لاحظ التقابل البلاغي بين {فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} و{وكانَ حقًا عَلَيْنَا نَصْرُ

المؤمنين. {الانتقام للمجرمين، والنصر للمؤمنين. وهذا هو العدل الإلهي الكامل.

مثال واقعي تقريبي) قصة بدر):

انظر إلى غزوة بدر. المسلمون قلة ضعفاء، والمشركون كثرة مدججة بالسلاح. ولكن {وكانَ حَقًّا عَلَيْنَا تَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}. أمدهم الله بملائكته، وثبت أقدامهم، ونصرهم نصرًا مؤزرًا. هذا النصر لم يكن بسبب قوتهم المادية، بل لأن وعد الله حق. وكذلك كل مؤمن يسير على طريق الحق، ويتوكل على الله، ف النصر معه، عاجلاً أم آجلاً .
المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

١. مفهوم "سنة الابتلاء" - طريق الأنبياء ليس مفروشا بالورد

الآية تذكرنا أن التكذيب والأذى هما طريق الدعوة. فلا تحزن إذا واجهت صعوبات في طريق الحق، فأنت تسير على درب الأنبياء.

. كيف تطبقه؟

. إذا أوديت في الله، أو سخر منك بسبب تمسكك بدينك، تذكر قوله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا}. هذه تسلية لك، وتثبيت لقلبك.

٢. مفهوم "الحجة البالغة" - قوة الحق لا تحتاج إلى عنف

الرسول جاؤوا {بِالْبَيِّنَات}. هذا يعلمنا أن قوة الحق في وضوحه وبراهينه، لا في الإكراه والعنف. اعتمد على الحجة والمنطق والحسنى في دعوتك.

. كيف تطبقه؟

. عندما تدعو إلى الله، أو تناقش أحداً في أمر دينك، قدم له البيّنات من القرآن والسنة والعقل . كن واضحاً ومقنعاً.

٣. مفهوم "النصر حق" - الثقة في وعد الله

لا تشك لحظة في أن النصر للمؤمنين. هذا حق على الله. حتى لو تأخر، وحتى لو اشتدت المحنة، ف النصر قادم.

. كيف تطبقه؟

. في أحلك الظروف، ردّد بقلبك ولسانك: {وكانَ حَقًّا عَلَيْنَا تَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}. هذه الكلمة تملأ قلبك طاقةً وأملاًً ويقيناً.

٤. مفهوم "الانتقام للمجرمين" - لا تغتر بإمهالهم

إذا رأيت المجرمين يصلون ويجولون، فلا تحزن. إن {فانتقمنا} هي نهايتهم المحتومة. إمهالهم ليس إهمالاً ، بل هو استدراج.

. كيف تطبقه؟

. لا تشغل بالك بالظالمين. ثق أن يوم الانتقام آتٍ. فوض أمرهم إلى الله، واطلب منه أن ينتقم لك منهم.

**الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآية؟

1. قصص الأنبياء: احك لطفك قصص الأنبياء مع أقوامهم. ركز على صبرهم على الأذى، وثقتهم بوعده الله، ثم نصر الله لهم. قل له: "هذا هو قانون الله: {وكانَ حَقًّا عَلَيْنَا تَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}."

2. تعليمهم الصبر والثقة: إذا تعرض طفلك لموقف ظلم في المدرسة، أو سخر منه أحد بسبب دينه، لا تعلمه رد الإساءة بالإساءة. بل علمه أن يصبر، وأن يثق بأن الله سينصره. قل له: "الله يقول: النصر للمؤمنين. فاصبر وكن مؤمناً قوياً."

3. تدريبهم على تقديم البيّنات: علم طفلك أن يدافع عن دينه بالحجة والمنطق. إذا سأله أحد: "لماذا تصلي؟"، لا يقل فقط: "هكذا علمني أبي". بل علمه إجابة مقنعة: "لأن الله خلقني وأمرني بذلك، والصلاة نور لقلبي". هذا هو {بِالْبَيِّنَات} المناسب لعمره.

*وقفات عملية: لعش وعد النصر

. وقفة مع الذات عند الشدة: إذا شعرت بالضعف أو اليأس، تذكر هذه الآية. قل لنفسك: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ}. {أنا مؤمن، إذن النصر قادم. اصبر وثابر.
. وقفة مع التاريخ: اقرأ في سير الأنبياء والصحابة والعلماء المجاهدين. كيف نصرهم الله بعد صبر طويل؟ هذا يزيدك يقينًا بصحة هذا القانون الإلهي.
. وقفة مع الدعاء: اجعل من دعائك الدائم: "اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .
اللهم انتقم من أعدائك أعداء الدين". هذا الدعاء هو من أسباب النصر.
*الخاتمة: الطريق إلى النصر

يا من تريد النصر في الدنيا والآخرة، لقد بين لك الله الطريق. إنه طريق الإيمان. آمن بالله ورسوله، واتبع البينات التي جاء بها، واصبر على الأذى، وثق بوعده الله. ولا تلتفت إلى جبروت المجرمين، فإن الانتقام لهم بالمرصاد.

إن هذه الآية هي خاتمة المطاف في قصة الصراع بين الحق والباطل. إنها تضع النقطة الأخيرة في السطر، وتعلن بكل وضوح: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ}. فكن من المؤمنين، تكن من المنصورين.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْتَمَنَّا مِنَ الَّذِينَ أُجْرَمُوا ۗ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ}

فليكن شعارك: "اللهم إني أشهد أن وعدك حق، وأن لقاءك حق، وأن نصرك للمؤمنين حق. فاجعلني من المؤمنين الصادقين، وانصرتني على نفسي وهواي وعدوي، واجعلني ممن تنصرهم في الدنيا والآخرة". جعلنا الله وإياكم من المؤمنين المنصورين، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. آمين

القسم السادس

أيها المتأمل في آيات الله في الأفق، يا من يبحث في أسرار هذا الكون عن دلائل قدرة الخالق وعظمته، لقد وصلنا في رحلتنا مع سورة الروم إلى مجموعة من الآيات الباهرات، التي تجمع بين روعة البيان القرآني ودقة الحقائق العلمية التي لم تكتشفها البشرية إلا في العصور المتأخرة. إنها آيات تنقلك من حال القنوط واليأس إلى حال الرجاء والأمل، وترسم لك صورة حية لدورة الماء في الطبيعة، وتكشف لك عن أسرار الرياح والسحاب والمطر، وتجعلك تعيش مشهد إحياء الأرض بعد موتها وكأنك تراه رأي العين. ثم تختتم بتحذير يهز القلوب: احذر أن تكون ممن يفرحون بالخير ثم يكفرون عند أول محنة.

فلنعش معًا هذه الآيات البينات:

{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۗ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} (الروم: 48)

{وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} (الروم: 49)

{فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْفِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ ذَلِكَ لَمُخْبِي الْمَوْتَىٰ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الروم: 50)

{وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} (الروم: 51)
١. الرياح والسحاب والمطر: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} - بداية رحلة الماء

تبدأ الآية الكريمة بلفت الأنظار إلى الفاعل الحقيقي لكل هذه الظواهر الكونية: {الله}. إنه ليس الطقس، ولا الصدفة، ولا قوانين الطبيعة العمياء، بل هو الله الذي يرسل الرياح ويدبر الأمر.

. {يُرْسِلُ الرِّيحَ}: الرياح هي الهواء المتحرك. وتأمل معي كلمة {يُرْسِلُ} التي تدل على أن الرياح مأمورة ومرسلة من عند الله بمهمة محددة. وهي هنا بصيغة الجمع "رياح" لتدل على تنوعها وتعدد وظائفها. وقد أثبت العلم الحديث أن للرياح دورًا حيويًا في نقل حبوب اللقاح، وتلقيح النباتات، وتجديد الهواء، وتحريك السفن، وتوليد الطاقة. ولكن الآية تركز هنا على أهم وظيفة لها: إثارة السحاب.

. {فَتُثِيرُ سَحَابًا}: "تثير" من الإثارة، وهي التهييج والتحريك. الرياح تمر على أسطح البحار والمحيطات، فتحمل معها كميات هائلة من بخار الماء. وعندما تصل إلى طبقات الجو العليا الباردة، يتكاثف هذا

البخار ويتحول إلى سحب. إنها عملية فيزيائية دقيقة وصفها القرآن بأبلغ عبارة: {فَتَثْبِيرُ سَحَابًا}. ف السحاب لم يكن موجودًا، ثم أثارته الرياح. وهذا يتفق مع العلم الحديث الذي يؤكد أن الرياح هي العامل الرئيسي في تكوين السحب ونقلها.

الإعجاز العلمي الأول: دور الرياح في تكوين السحب

لقد كشف العلم الحديث أن الرياح تحمل بخار الماء من المسطحات المائية إلى طبقات الجو العليا، حيث يتكاثف مكونًا السحب. وهذا ما عبر عنه القرآن بدقة متناهية: {اللَّهُ الَّذِي يُزِيلُ الرِّيحَ فَتَثْبِيرُ سَحَابًا}. فالفاء في {فَتَثْبِيرُ} تدل على السببية المباشرة: الرياح هي سبب إثارة السحاب وتكوينه.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل قدرًا كبيرًا من الماء يغلي على النار. البخار يتصاعد منه. لو وضعت مروحة أمام هذا البخار، فإنها تثير البخار وتدفعه إلى الأمام، فيتجمع ويكثف على الأسطح الباردة. هذا مثال مبسط جدًا لكيفية إثارة الرياح للسحاب. الرياح تمر على المحيطات الدافئة، فتحمل بخار الماء، ثم تدفعه إلى طبقات الجو الباردة حيث يتكاثف ويتحول إلى سحب ضخمة.

٢. بسط السحاب وتجميعه: {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا} - تنوع أشكال السحب

بعد أن تثير الرياح السحاب، يأتي دور التصريف والتشكيل الإلهي البديع.

· {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ}: "يبسطه" أي ينشره ويمده في أرجاء السماء. فالسحاب بعد تكوينه، ينتشر في السماء بأشكال وأحجام مختلفة، حسب مشيئة الله. قد يكون سحابًا رقيقًا كالقطن، وقد يكون سحابًا كثيفًا ممتدًا عبر آلاف الكيلومترات. وكل ذلك {كَيْفَ يَشَاءُ} أي وفق حكمته وتديبره.

· {وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا}: "كسفا" أي قطعًا متفرقة. وهذا وصف دقيق آخر لأنواع السحب. فالسحاب قد يكون طبقة واحدة واسعة (وهذا معنى {فَيَبْسُطُهُ})، وقد يكون قطعًا متفرقة بعضها فوق بعض (وهذا معنى {كِسْفًا}). والعلم الحديث يصنف السحب إلى أنواع عديدة: السحاق (الرقيقة)، والركامية (المتفرقة المنتفخة)، والطبقية (المسطحة الممتدة). وكل هذه الأنواع تدخل تحت وصف {يَبْسُطُهُ} و{كِسْفًا}. قال الحافظ ابن كثير: "فتارة يجعله كسفاً أي: قطعاً متفرقة، كما قال تعالى: {وَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِالِهِ} أي: من بين قطعه". [L5-L3+1]

الإعجاز العلمي الثاني: تنوع أشكال السحب وطبقاتها

يؤكد العلم الحديث أن السحب ليست كلها على شكل واحد، بل تتنوع بشكل مذهل. فهناك سحب ركامية ضخمة تشبه الجبال، وسحب طبقية تمتد لمسافات شاسعة، وسحب سمحاقية رقيقة على ارتفاعات عالية. والتعبير القرآني {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا} يجمع بين هذين النوعين الرئيسيين: المبسوط والمتفرق، في إيجاز معجز.

٣. نزول المطر: {فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِالِهِ} - دقة الوصف القرآني

بعد أن وصف تكوين السحاب وبسطه وتجميعه، يصف لنا مشهد نزول المطر.

· {فَتَرَى الْوَدْقَ}: "الودق" هو المطر. والتعبير بـ {فَتَرَى} يجعل المشهد حيًا أمام عينيك. كأنك ترى المطر وهو يخرج من بين السحاب.

· {يَخْرُجُ مِنْ خِالِهِ}: "خلاله" أي من بين فتحاته وثناياه. وهذا وصف دقيق جدًا. فالسحاب الكثيف ليس كتلة صلبة، بل هو مليء بالفراغات والمسام. والمطر يخرج من بين هذه الفراغات. وهذا هو عين ما يحدث في السحب الركامية: قطرات الماء تنمو داخل السحابة حتى تصبح ثقيلة جدًا، فتبدأ في السقوط من بين فتحات السحابة. قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: "فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِالِهِ" أي: من بين السحاب، نقطًا صغارًا متفرقة، لا تخرج دفعة واحدة، فتهلك ما مَرَّتْ عليه". [L9-L8+2]

الإعجاز العلمي الثالث: دورة الماء في الطبيعة

وصف القرآن لدورة الماء: تبخر - تكاثف - سحب - مطر، هو وصف دقيق يتوافق تمامًا مع ما توصل إليه العلم الحديث. قال تعالى في آيات أخرى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُنزِلُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِالِهِ} (النور: 43). هذه الدقة في وصف مراحل تكون المطر، من إرسال الرياح، إلى إثارة السحاب، إلى بسطه وتجميعه، إلى خروج الودق من خلاله، لم تكن معروفة

للشبية قبل قرون من نزول القرآن. وهذا من أعظم وجوه الإعجاز العلمي.
4. الاستبشار بالمطر: فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ - فرحة النعمة

بعد هذا الوصف البديع لتكون المطر، يأتي وصف أثر المطر في نفوس الناس.

. {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ: "أصاب به" أي أنزل المطر على من يشاء من عباده. فالمطر ليس عشوائياً، بل هو بتدبير إلهي يصيب أقواماً ويخطئ آخرين. وهذا من كمال قدرته وحكمته.
. {إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}: "يستبشرون" أي يفرحون وتبدو على وجوههم أمارات البشر والسرور. وهذا فرح طبيعي محمود، فرح بنعمة الله ورحمته. وقد وصفهم الله في آية سابقة بأنهم كانوا من قبل المطر في حالة يأس وقنوط: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} (الآية 49).
5. حالهم قبل المطر: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} - اليأس قبل الغيث

هذه الآية تصف الحالة النفسية للناس قبل نزول المطر.

. {مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنزَلَ عَلَيْهِمْ}: أي قبل نزول المطر.
. {مِنْ قَبْلِهِ}: أي من قبل نزوله. وهذا التكرار {مِنْ قَبْلُ} مرتين يفيد التوكيد على طول مدة القنوط و اليأس. فقد طال عليهم الجفاف، وانقطع رجاؤهم في المطر.
. {لَمُبْلِسِينَ}: "مبلسين" أي يائسين قانطين، ساكتين من شدة الحزن واليأس. وهذا هو حال الإنسان عندما تنقطع عنه أسباب الرزق، يظن أن لا فرج. فإذا نزل المطر، انقلب حاله من الإبلاس إلى الا ستبشار. وفي هذا تذكير للمؤمن بالأ يأس من رحمة الله، فبعد العسر يسراً، وبعد القنوط فرجاً.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل مزارعاً خرج من بيته بعد شهور من الجفاف، والسماء صافية قاحلة، والأرض يابسة مهمومة. كان مبلساً، أي يائساً قانطاً، لا يتكلم إلا بصوت حزين. وفجأة، هبت ريح باردة، وتلبدت السماء بالغيوم ، ثم نزل المطر. انظر إلى وجهه! لقد تحول حزنه إلى فرح واستبشار. لقد كان من قبل مبلساً، والآن هو يستبشر. وهذا التغير السريع يذكرنا بقول الله: {وَهُوَ الَّذِي يُنزلُ الغيثَ من بَعْدِ ما قَنطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ}. [L8-L6+5]

6. النظر إلى آثار الرحمة: {فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ} - دعوة للتأمل والاعتبار

بعد أن وصف مشهد نزول المطر واستبشار الناس، يأمرنا الله بالنظر والتأمل في آثار هذه الرحمة.

. {فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ}: "انظر" ليس نظر الغفلة، بل نظر التدبر والاعتبار. "آثار رحمة الله" هي ما يحدثه المطر في الأرض من حياة ونماء واخضرار. انظر كيف تتحول الأرض من صفراء قاحلة إلى خضراء يانعة. هذا التحول هو من آثار رحمة الله.
. {كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}: هذا هو الاستفهام التعجبي الذي يثير في نفسك الدهشة والإعجاب. كيف تحيا الأرض بعد موتها؟! من الذي يخرج هذا النبات الأخضر من هذه التربة الميتة؟! إنه الله. وهذه الآية تكررت في القرآن كثيراً للدلالة على قدرة الله على البعث.
. {إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي المَوْتِ}: هذا هو الاستنتاج المنطقي والدليل العقلي. الذي يحيي الأرض بعد موتها، قادر على إحياء الموتى بعد موتهم. بل إن إحياء الموتى أهون عليه. قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}. فانظر إلى الأرض الميتة كيف تحيا، واعتبر بحالك بعد الموت.
. {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}: هذه هي الخاتمة العظيمة. بعد أن أقام الدليل على البعث، أكد على شمول قدرة الله. فهو قدير على إحياء الموتى، وقدير على كل شيء.

الإعجاز العلمي الرابع: دورة الحياة في التربة

إحياء الأرض بعد موتها ليس مجرد مشهد جميل، بل هو عملية بيولوجية معقدة اكتشف العلم الحديث بعض أسرارها. فعندما ينزل المطر، تنشط البكتيريا والكائنات الدقيقة في التربة، وتتحلل المواد العضوية، وتنطلق العناصر الغذائية، فتنبت البذور وتنمو النباتات. إنها دورة حياة متكاملة يصفها القرآن بكلمة واحدة: {يُحْيِي}. وهذا من بديع الإعجاز.
7. التحذير من الكفران: {وَلَنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا قَرَأُوهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} - تناقض الطبيعة البشرية

بعد أن صور لنا مشهد الاستبشار بالمطر، يعود ليصور لنا تناقض الطبيعة البشرية وجودها.

• {وَلَيْسَ أُرْسَلْنَا رِيحًا}: اللام في {وَلَيْسَ} هي لام القسم. يقسم الله أنه لو أرسل ريحًا ضارة (حارة أو باردة أو محملة بالآفات) على زرعهم.
• {فَرَأَوْهُ مُصْفَرًا}: أي رأوا الزرع قد اصفر وييس بعد أن كان أخضر يانعًا. وهذا من شدة تأثير الريح الضارة.

• {لِظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ}: أي ليظلمن هؤلاء من بعد نزول الضرر بالزرع يكفرون بالله ويجحدون نعمه السابقة. لقد كانوا بالأمس القريب يستبشرون بالمطر، واليوم هم يكفرون بسبب ريح أصابت زرعهم. هذا هو تناقض الإنسان الجاحد، الذي يعبد الله على حرف، إن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه.

• اللمة البيانية: لاحظ دقة التعبير: {فَرَأَوْهُ} أي رأوا الزرع والأثر، وليس الريح نفسها. فالريح لا ترى، ولكن أثرها يرى. وهذا يذكرنا بقوله: {فَتَرَى الْوَدْقَ}. فالبصر هو الحاسة المعنية في هذه المشاهد. واصفرار الزرع بعد اخضراره هو آية مرئية تدعو إلى التفكير، ولكن الجاحدين لا يتفكرون، بل يكفرون. قال ابن القيم رحمه الله: "فوصفهم بأنهم إذا رأوا آثار رحمته استبشروا، وإذا رأوا آثار محنته كفروا".

[L9-L6+3]

المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيات في حياتنا العملية؟

1. مفهوم "التفكير في آيات الله" - طريق زيادة الإيمان

الآيات مليئة بالأمر بالنظر والتأمل: {فَانظُرْ}. هذا يعلمنا أن التفكير في خلق الله هو عبادة عظيمة، وهو طريق لزيادة الإيمان.

• كيف تطبقه؟ خصص وقتًا للتأمل في الطبيعة. انظر إلى السماء، إلى السحاب، إلى المطر، إلى النبات. اربط كل ما تراه بالله. قل: "هذا من آثار رحمة الله".

2. مفهوم "الرجاء وعدم اليأس" - درس من تقلب الأحوال

{وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مَنَّ قَبْلَهُ لِمُبْلِيسِينَ}. هذه الآية تذكرك بالأ تياس من رحمة الله. فبعد الإبلas يأتي الاستبشار، وبعد القنوط يأتي الفرج.

• كيف تطبقه؟ في أوقات الشدة والضيق، تذكر أن الفرج قريب. أكثر من الدعاء والاستغفار، وثق بأن الله سيرسل لك غيث رحمته كما يرسل المطر للأرض الميتة.

3. مفهوم "الشكر على النعم" - دوام النعمة وبقاؤها

{إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}. الاستبشار بالمطر نعمة، ولكن الأهم هو الشكر بعدها. فالآية التالية تحذر من الكفران عند زوال النعمة. فالشكر يحفظ النعمة ويزيدها، والكفر يزيلها.

• كيف تطبقه؟ كلما أنعم الله عليك بنعمة (صحة، مال، مطر، أمن)، بادر بالسجود شكرًا، وقل: "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات".

4. مفهوم "الإيمان بالبعث" - درس من إحياء الأرض

{إِنَّ ذَلِكَ لَمُحِيبي المَوْتَى}. إحياء الأرض بعد موتها هو الدليل المادي على البعث. فلا تشك في قدرة الله على إحيائك بعد موتك.

• كيف تطبقه؟ عندما ترى الربيع وقد ألبس الأرض حلة خضراء، تذكر أن ربيعك قادم بعد موتك. استعد لهذا اليوم بالعمل الصالح.

*الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآيات؟

1. تعليمهم مراحل تكون المطر: ارسم لطفلك رسمًا مبسطًا: بحر ← شمس ← بخار ← رياح ← سحاب ← مطر ← نبات. اقرأ عليه الآيات، وشرح له كل مرحلة. هذا يدمج العلم بالإيمان.

2. تدریبهم على التفكير: عندما تمطر السماء، قف مع طفلك عند النافذة. تأملا معًا السحاب، وكيف ينزل المطر. قل له: "انظر! هذا هو الودق يخرج من خلاله. الله هو الذي يفعل هذا. هل رأيت كيف يحيي الله الأرض بعد موتها؟".

3. تحذيرهم من الكفران: إذا حدثت خسارة في حديقة المنزل بسبب ريح شديدة، قل له: "انظر يا حبيبي! بالأمس كنا نفرح بالزرع الأخضر، واليوم اصفر. هذا اختبار من الله. يجب أن نشكره على كل

حال، ولا تكفر بنعمه. المؤمن يشكر في السراء ويصبر في الضراء".
وقفات عملية: لنعش مع آيات الله في الأفاق

. وقفة مع السحاب: في يوم غائم، ارفع رأسك إلى السماء. تأمل في قوله: {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا}. انظر إلى أشكال السحب المختلفة. سبح الله القائل: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ}.
. وقفة مع المطر: عند نزول المطر، اخرج إليه قليلاً. بلل يديك ووجهك، وقل: "اللهم صيبًا نافعًا". تذكر أن هذا المطر هو {آثار رَحْمَتِ اللَّهِ}. واسأل الله أن يحيي قلبك كما أحيا الأرض.
. وقفة مع الربيع: عندما ترى الأرض مخضرة، تذكر قوله: {إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى}. آمن بأن الله سيبعثك من قبرك كما أخرج هذا النبات من الأرض. واستعد لهذا اليوم.
. وقفة مع المصائب: إذا أصابتك مصيبة في مالك أو بدنك، تذكر قوله: {ظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ}. لا تكن من الجاحدين. كن من الصابرين الشاكرين.
الخاتمة: آية تستحق الشكر والتأمل

يا من تعيش في ملكوت الله، وتتنفس هواءه، وتشرب ماءه، وترى آثار رحمته في كل مكان، لقد جعل الله لك في الرياح والسحاب والمطر آيات بينات تستحق منك وقفة تأمل. هذه الظواهر التي تراها كل يوم، هي في حقيقتها معجزات إلهية، تدل على قدرته وعظمته ورحمته وحكمته. فإذا رأيت السحاب ينتشر في السماء، فاعلم أن الله هو الذي يبسطه كيف يشاء. وإذا رأيت المطر ينزل، فاعلم أنه من آثار رحمة الله. وإذا رأيت الأرض تحيا بعد موتها، فتيقن أن الذي أحياها قادر على أن يحيي الموتى.

فلا تكن ممن يستبشرون بالنعمة ثم يكفرون عند المحنة. كن عبدًا شكورًا في السراء والضراء. تأمل في آيات الله، وازدد إيمانًا و يقينًا. واعلم أن كل قطرة مطر، وكل نسمة ريح، وكل سحابة تمر، هي رسالة من الله إليك، تذكرك بقدرته، وتدعوك إلى شكره.

{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

فليكن شعارك: "اللهم لك الحمد على نعمك التي لا تعد ولا تحصى. اللهم اجعلني من الشاكرين في السراء والضراء، ومن المتأملين في آياتك، ومن الموقنين بلقائك. اللهم أحييني حياة طيبة، وأمتني على الإسلام، وابعثني مع الأبرار. إنك على كل شيء قدير". جعلنا الله وإياكم ممن يستبشرون برحمة الله، ويشكرون نعمه، ويوقنون بلفائه. آمين..

المبحث الثاني

أيها الداعي إلى الله، يا من تحمل همّ هداية الناس، وتمتلئ نفسك حزناً وأسى حين تراهم يعرضون عن الحق ويصرون على الباطل. لقد طوفت بنا سورة الروم في رحاب التوحيد، وأرانا آيات الله في الأفاق والأنفس، وأقامت الحجج الدامغة على المشركين. والآن، في ختام السورة، تأتي هذه الآيات لتضع قاعدة كلية في أمر الهداية والضلال، ولتخفف عن قلب النبي ﷺ وقلوب الدعاة من بعده. إنها تكشف لنا عن سر إعراض المعاندين، وتذكرنا بأن الهداية بيد الله وحده، وأن مهمتنا هي البلاغ، أما القلوب فبيد مقلبيها.

فلنعش معاً هاتين الآيتين الكريمتين:

{فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَذْبُورِينَ} {الروم: 52}

{وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ} ^{٥٣} {إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} {الروم: 53}.
{التسليّة الإلهية للنبي:} {فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ} - حقيقة الإعراض وعلاجه

تبدأ الآية بفاء التعقيب {فَإِنَّكَ} التي تربطها بما قبلها من ذم الكافرين وبيان تناقضهم. وكأن الله يقول لنبيه ﷺ بعد أن وصف أحوالهم: "إذا كان هذا حالهم، فلا تحزن عليهم، فإنك لن تستطيع هدايتهم".

{فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ}: هذا هو التشبيه البليغ والضرب بالمثل. الكفار المعاندون، الذين ماتت قلوبهم وفسدت فطرهم، هم بمنزلة الموتى. فكما أن الميت لا يسمع صوت الحي ولا يستجيب له، فكذلك هؤلاء لا يسمعون كلام الله ولا يستجيبون لدعوة الحق. إن سمعهم سمع الأذان فقط، أما سمع القلوب فقد مات.

{وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدَّعَاءَ}: ثم يضرب مثلاً آخر: الصم. الصمم هو فقدان حاسة السمع. والكفار صم عن سماع الحق، لا تصل إليه كلمات الهداية. فكيف تسمع من أصمته الشهوات والشبهات؟!
{إِذَا وَلُوا مَذْبُورِينَ}: هذا قيد مهم. فالصم قد يسمعون بعض الشيء إذا واجهتهم ورفعت صوتك، ولكن

إذا ولوا مدبرين، أي أعرضوا بوجوههم وأجسادهم وقلوبهم، فأنى لهم أن يسمعوا؟! وهكذا الكفار، لقد ولوا مدبرين عن الحق، وأعرضوا بكل جوارحهم، فصار إسماعهم مستحيلًا. قال الشيخ السعدي رحمه الله: "فإتكَ لا تسمعُ الموتى ولا تسمعُ الصمَّ الدُعَاءَ إِذَا وُلُّوا مُدْبِرِينَ، فَهَؤُلَاءِ قَدْ سَلَبُوا حَيَاةَ الْقُلُوبِ، وَسَمِعَ الْأَسْمَاعِ، وَبَصَرَ الْعَيُونِ، فَلَا سَبِيلَ لِهَدَايَتِهِمْ".

مثال واقعي تقريبي:

تخيل رجلا يقف أمام قبر، ويخاطب الميت بصوت عال، ويدعوه للقيام والذهاب معه هل يستجيب الميت؟ كلا! فالميت فقد القدرة على السمع والاستجابة. كذلك حال الكافر المعاند الذي أصر على كفره وأعرض عن الحق. قلبه ميت، وأذنه صماء، وعينه عمياء. فلا تحملهما فوق طاقتك، فالهداية بيد الله وحده.

الرسالة التربوية والنفسية:

. تخفيف الحزن على الداعية: هذه الآية تسلية عظيمة للدعاة والمصلحين. عندما تبذل كل ما في وسعك لدعوة الناس، ولا يستجيبون، فلا تبتئس ولا تحزن. تذكر أنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم. مهمتك هي البلاغ، أما الهداية فمن الله.
. عدم تحميل النفس فوق طاقتها: الداعية الناجح هو من يدرك حدود مسؤوليته. مسؤوليته أن يبلغ، لا أن يهدي. إذا فهمت هذا، ارتحت نفسيًا، واستمررت في عملك بحب وطمأنينة، دون قلق أو إحباط.
٢. التأكيد على حصر الهداية بالله: {وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ} - لا هادي إلا الله

بعد أن بين أنه لا يسمع الموتى ولا الصم، انتقل إلى مثل ثالث: العمي.

{وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ}: العمي هم الذين فقدوا البصر. والكفار عمي القلوب، لا يبصرون الحق ولا يميزون بين الهدى والضلال. وأنت يا محمد، مهما أوتيت من بيان وحجة، فلن تستطيع أن تهدي هؤلاء العمي عن ضلالهم. أي لن تستطيع أن تصرفهم عن ضلالهم وتردهم إلى الهدى. وهذا نفي مؤكد بـ {و} بهادي، ليقطع كل وهم بأن النبي ﷺ يملك الهداية. فالهداية هداية التوفيق وهداية القلوب بيد الله وحده.

. اللمة البيانية: لاحظ التدرج في الأمثال: الموتى) فقدان الحياة، ثم الصم) فقدان السمع، ثم العمي) فقدان البصر. (وقد اجتمعت هذه الصفات الثلاث في الكافرين: {صَمٌّ بِكُمْ غَمَىٰ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ}. وهذا التدرج يصور انغلاق جميع منافذ الهداية فيهم. فكيف يهتدون؟! لا سبيل إلا أن يفتح الله لهم قلوبهم.

مثال واقعي تقريبي:

تخيل إنسانًا ولد أعمى، وتريد أن تصف له جمال الطبيعة: الألوان الزاهية، والورود المتفتحة، والسماء الصافية. هل يستطيع أن يرى ما تصف؟ كلا! فعينه لا تبصر. أنت تستطيع أن تصف له، ولكنك لا تستطيع أن تريه. كذلك الداعية، يستطيع أن يصف الحق ويبينه، ولكنه لا يستطيع أن يهدي القلوب لرؤيته وقبوله. تلك مهمة الله وحده.

٣. من هم المستحقون للسمع والهداية؟ {إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} - صفات القلوب الحية

بعد أن نفى أن يسمع الموتى والصم والعمي، استثنى فئة واحدة فقط هم الذين ينتفعون بالدعوة.

{إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا}: هذا استثناء منقطع بمعنى لكن. أي أنك لا تسمع أحدًا إلا هؤلاء المؤمنين. والمقصود بالسمع هنا سمع الاستجابة والقبول. فهم يسمعون بقلوبهم كما يسمعون بأذانهم. وعلامتهم أنهم {يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا} أي يصدقون بآيات الله الكونية والقرآنية، ويعترفون بها.
{فَهُمْ مُسْلِمُونَ}: أي منقادون خاضعون لله. الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة. فهؤلاء المؤمنون قد أسلموا وجوههم لله، ففتح الله قلوبهم لسماع الحق. وهذا هو الفرق الجوهرى بينهم وبين الكافرين: الكافر معاند مكابر، والمؤمن منيب مسلم. ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله: "جعل الله للهدى أهلاً، وللضلال أهلاً. فطوبى لأهل الهدى، وويل لأهل الضلال".

مثال واقعي تقريبي:

تخيل أرضًا طيبة، وأرضًا سبخة. عندما ينزل المطر، الأرض الطيبة تهتز وتربو وتنبث من كل زوج بهيج. أما الأرض السبخة، فالمطر يمر عليها ولا تنبت إلا نكدًا. كذلك القلوب: قلب المؤمن حيّ مبال

إلى الحق، فإذا سمع آيات الله، آمن بها واهتدى. وقلب الكافر ميت قاس، فإذا سمع آيات الله، مرت عليه كأن لم يسمعها.
*المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيتين في حياتنا العملية؟

١. مفهوم "تفويض الهداية إلى الله" - راحة البال للداعية

أنت لست مسؤولاً عن هداية الناس. مسؤوليتك هي البلاغ والبيان. إذا علمت هذا، ارتحت من عناء الحسرة على من لم يهتد.

. كيف تطبقه؟
. بعد كل دعوة تقوم بها، قل: "اللهم هذه بضاعتي، والهداية هدايتك. فاهد من تشاء برحمتك". هذا الدعاء يجعلك تفوض الأمر لله.

٢. مفهوم "الاستمرار في الدعوة رغم الإعراض" - عدم اليأس من رحمة الله

كونك لا تسمع الموتى، لا يعني أن تتوقف عن الدعوة. فالقلوب بيد الله، وقد يفتح الله قلباً كان ميتاً فيحييه بكلمة منك.

. كيف تطبقه؟
. لا تيأس من أحد. استمر في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. رب كلمة كانت سبباً في هداية ضال بعد سنين.

٣. مفهوم "معرفة صفات القابلين للهداية" - تركيز الجهد

الآية ترشدك إلى أن {مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} هم الذين ينتفعون. فركز جهدك على القلوب الحية التي تبحث عن الحق وتسال عنه.

. كيف تطبقه؟
. استثمر وقتك مع الجادين في طلب الحق. لا تضيع وقتك كله في جدال المعاندين الذين لا يريدون إلا المراء. قال تعالى: {فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}.
**الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآيات؟

1. تعليمهم أن الهداية من الله: إذا وجدت طفلك يحزن لأن صديقه لا يصلي أو لا يصوم، قل له: "لا تحزن يا حبيبي. الهداية من الله. نحن ندعوه وننصحه، والله يهدي من يشاء. مهمتنا أن نحب الخير للناس، لا أن نهديهم".

2. غرس حب الخير والدعوة: شجع طفلك على أن يكون داعية صغيراً بين أصدقائه. علمه أن يقول الكلمة الطيبة، ويدعو ربه لأصدقائه بالهداية. قل له: "أنت لا تستطيع أن تهديهم، لكنك تستطيع أن تدعو لهم. وهذا عمل الأنبياء".

3. التعامل مع العناد: إذا كان طفلك يعاندك في أمر ما، لا تغضب. بل استخدم معه هذا الأسلوب القرآني: "حبيبي، عندما تعاندي، فأنت كأنك لا تسمعي. هل تحب أن تكون أصم عن الخير؟ أرجو أن تفتح قلبك وأذنيك للحق". هذا الأسلوب يربي على الإنصات والمرونة.
*وقفات عملية: لنعش فقه الدعوة والهداية

. وقفة مع النفس: إذا كنت حزيناً على عدم استجابة أحد لدعوتك، قل لنفسك: {فَاتَكَ لَأ تَسْمَعُ الْمَوْتَى}. {أنت لست أفضل من رسول الله ﷺ، وقد قال له ربه ذلك. ففوض الأمر لله، وارتح.

. وقفة مع الدعاء: اجعل دعاءك لهداية الناس سلاحاً دائماً. "اللهم اهد فلاناً وفلاناً، وافتح على قلوبهم، ويسر لهم سبل الهدى". فالدعاء أقوى من كل جدال.

. وقفة مع القرآن: عندما تقرأ القرآن، استشعر أنك من {مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا}. {اجعل قلبك مسلماً مناقداً، تسمع الآيات فتتهز لها وتخشع.
*الخاتمة: الهداية بيد الله وحده

يا من تحمل همّ الدعوة والهداية، لقد كشف لك القرآن في هاتين الآيتين عن قاعدة عظيمة تريح قلبك، وتوجه عملك. اعلم أنك لا تملك من أمر الهداية شيئاً. الهداية بيد الله وحده. مهمتك هي البلاغ بالحكمة والموعظة الحسنة. فإذا أدبت مهمتك، فلا تحزن على من أعرض، ولا تيأس من روح الله.

كن كالغيث أينما وقع نفع. اعرض بضاعتك على القلوب، فإن وجدت قلبًا حيًا مسلمًا، فازدد من بذل الخير له. وإن وجدت قلبًا ميتًا صمًا عميًا، فلا تحمل همه، وفوض أمره إلى الله. وتذكر دائمًا قول ربك:

{إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم إني عبدك، لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا، ولا هداية ولا ضلالًا. اللهم اهد قلبي وقلوب عبادك المؤمنين. واجعلني ممن يسمعون الحق فيتبعون أحسنه، ويسلمون وجوههم لك. إنك على كل شيء قدير". جعلنا الله وإياكم من المؤمنين بآياته، المسلمين له، المهتمين بهداه.

القسم السابع المبحث الأول

أيها الإنسان الذي تقلب في أطوار الخلق، وتنقل بين مراحل الحياة، من ضعف إلى قوة، ومن قوة إلى ضعف. يا من رأيت نفسك طفلًا صغيرًا لا تملك لنفسك نفعًا ولا ضرًا، ثم صرت شابًا قويًا تتصلب وتجتهد، ثم دبت إليك الشيخوخة فعاد إليك الضعف من جديد. لقد ساقتك سورة الروم في رحلة إيمانية عميقة، والآن تضع أمامك آية من آيات الأنفس، لتري في نفسك وتقلباتها أعظم دليل على قدرة الله وعلمه وحكمته. إنها آية تذكرك بحقيقة وجودك، وتدعوك للاستعداد لرحيلك، وترتبط كل ذلك باسمي العليم القدير.

فلنعش معًا قوله تعالى:

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} (الروم: 54)
الافتتاح باسم الجلالة: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ} - رحلة البدء من العدم والوهن

تبدأ الآية بلفظ الجلالة {الله}، إشارات بأن هذا الفعل العظيم (تطوير الإنسان في أطواره) لا يمكن أن يكون إلا من الله وحده. فهو الخالق المدبر.

. {خلقتكم مِّنْ ضَعْفٍ}: الضعف هنا هو الضعف الأول الذي خلقنا منه. فما هو هذا الضعف؟
. قيل: هو النطفة (الماء المهين). قال تعالى: {لَمَّا تَخَلَقْتُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ}. فمن هذا الماء الضعيف المهين خلقنا الله.

. وقيل: هو الطفولة والصب. فالإنسان في أول حياته يكون في غاية الضعف: لا يستطيع أن يمشي، ولا أن يحمي نفسه، ولا أن ينطق. يحتاج إلى من يحمله ويرعاه.

. والمعنى الأعم يشمل الحالتين معًا: أصل الخلقة ضعيف، وأول أطوار الحياة ضعيف.
. اللمسة البيانية: لاحظ التعبير بـ {مِّنْ ضَعْفٍ}. "من" هنا للابتداء، أي أن أصل خلقكم وبداية نشأتكم كانا من ضعف. وهذا تذكير للإنسان بحقيقته الأولى، ليكسر فيه الكبر والغرور. "لماذا تتكبر وأنت أصلك من ماء مهين، وأول حياتك كنت طفلًا ضعيفًا؟!" قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالًا بعد حال، فأصله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظامًا، ثم يكسى لحمًا، ثم ينفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفًا نحيفًا".
٢. الطور الثاني: {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} - مرحلة الشباب والاكتمال

"ثم" للتراخي الزمني. بعد مرحلة الضعف الأولى (الطفولة والصب)، تأتي مرحلة القوة.

. {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً}: هذه هي مرحلة الشباب وبلوغ الأشد. وهي مرحلة اكتمال القوى البدنية والعقلية. ففيها يشتد العود، وتكتمل العضلات، ويقوى البدن، ويشتد الذكاء، وتقوى الحواس. وهي المرحلة التي يكون فيها الإنسان في ذروة عطائه وإنتاجه وقوته. قال تعالى في موضع آخر: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً}.

. اللمسة البيانية: لاحظ أن الله لم يقل: "ثم جعل القوة من بعد ضعف"، بل قال: {جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً}. تقديم {ضعف} وتأخير {قوة} يفيد أن الضعف هو الأصل، والقوة طارئة عليه. فمهما بلغ الإنسان من القوة، فعليه أن يتذكر أن أصله ضعف، وأن هذه القوة عارية ستزول.
٣. الطور الثالث: {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} - العودة إلى الوهن والكبر

بعد مرحلة القوة والشباب، تأتي مرحلة الضعف الثاني والشيب.

. {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً}: هذا هو الضعف الأخير الذي يصاحب الشيخوخة والهرم. فبعد أن كان الإنسان قويًا، يعود ضعيفًا كما كان في طفولته. تعود إليه براءة الأطفال وضعفهم، ويحتاج

إلى من يرعاه. ويظهر الشيب في رأسه علامة على نضج العمر واقتراب الأجل. قال تعالى: {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا}. إنها دورة الحياة الكاملة: ضعف - قوة - ضعف. وكان الإنسان يعود إلى حيث بدأ.

• اللمة البيانية: لاحظ عطف {وَشَيْبَةً} على {ضَعْفًا}. الشيب هو علامة ظاهرة على هذا الضعف، وهو رسول الموت الذي يذكر الإنسان بأن رحيله قد اقترب. فكل شعرة بيضاء هي إنذار.

الإعجاز العلمي في أطوار الخلق والضعف

هذه الآية الكريمة تشير إلى حقيقة علمية في غاية الدقة: وهي منحى القوة البدنية للإنسان عبر العمر. العلم الحديث يثبت أن:

1. الضعف الأول: الخلية المخصصة) النطفة الأمشاج (ضعيفة جدًا، وتحتاج إلى رحم الأم لتكبر. ثم يولد الطفل ضعيفًا، ويكون جهازه المناعي والعضلي في أدنى مستوياته.
2. مرحلة القوة: تبدأ القوة البدنية والعقلية في الازدياد تدريجيًا من الطفولة إلى البلوغ، وتبلغ ذروتها في منتصف العمر) بين العشرين والأربعين تقريبًا. (حيث تكون كتلة العضلات في أقصاها، وكثافة العظام في أعلى مستوياتها، والقدرات العقلية في أوجها).
3. الضعف الثاني والشيب: بعد سن الأربعين تقريبًا، تبدأ القوى البدنية في التدهور التدريجي. تتناقص الكتلة العضلية، وتقل كثافة العظام، وتضعف الحواس) البصر والسمع، وتقل القدرة على التجدد الخلوي. وهذا هو الضعف الذي يعقب القوة. والشيب هو توقف الخلايا الصغية في بصيلات الشعر عن إنتاج الميلانين، وهو علامة بيولوجية على تقدم العمر وشيخوخة الخلايا. هذا الوصف الدقيق لأطوار الضعف والقوة ثم الضعف والشيب، لم يكن ممكنًا لولا أنه وحي من {العليم} بأسرار خلقه.

مثال واقعي تقريبي:

انظر إلى نفسك وإلى من حولك. تذكر طفلاً صغيرًا في المهد، لا يستطيع حمل رأسه. هذا هو {ضَعْفٌ}. ثم انظر إلى شاب في العشرين من عمره، يمارس الرياضة، ويرفع الأثقال، ويجري في الماراتون. هذا هو {قُوَّةٌ}. ثم انظر إلى رجل عجوز، قد انحنى ظهره، واشتكى عظمه، وابيض شعره، وعاد يحتاج إلى من يساعده في المشي كما كان في طفولته. هذا هو {ضَعْفًا وَشَيْبَةً}. إنها قصة حياتك أيها الإنسان ملخصة في آية واحدة!

4. الإطلاق بعد التقيد: {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} - إثبات عموم القدرة الإلهية

بعد أن ذكر هذا التدرج العجيب في خلق الإنسان (ضعف - قوة - ضعف)، أطلق المشيئة الإلهية: {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ}. وكأنه يقول: "لا تظنوا أن قدرتي مقصورة على هذا التدرج فقط. بل يخلق ما يشاء". يخلق الضعيف والقوي، يخلق من يموت طفلاً ومن يعمر حتى أرذل العمر، يخلق من يمر بهذه الأطوار ومن لا يمر بها. فالمشيئة الإلهية مطلقة، لا يحدها شيء.

5. الختام باسمي العلم والقدرة: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} - ختام يليق بالجلال

وهذا هو التعقيب الإلهي الذي يختم به الآية. وهو تعقيب في غاية المناسبة.

• {وَهُوَ الْعَلِيمُ}: أي العليم بتفاصيل خلقه، العليم بأطوارهم، العليم بما يصلح لهم في كل طور. عليم بأسرار الضعف والقوة، عليم بعدد شعر الرؤوس وبياضها. هذا العلم المطلق هو الذي اقتضى هذا التدبير المحكم.

• {القدِيرُ}: أي الكامل القدرة الذي لا يعجزه شيء. هو الذي أخرج القوة من الضعف، والضعف من القوة. هو القادر على أن يخلق ما يشاء، وعلى أن يحيي ويميت، وعلى أن يبعث من في القبور. فإذا كان هو القدير، فلماذا تستبعدون البعث أيها المنكرون؟! أليس الذي قدر على تقليبكم في هذه الأطوار، بقادر على إعادتكم بعد الموت؟!

• اللمة البيانية: الجمع بين {العليم} و{القدِير} في هذا الموضع في غاية الروعة. فالعلم وحده لا يكفي لولا القدرة، والقدرة وحدها لا تكفي لولا العلم. فهو سبحانه يعلم كيف يخلق، وهو قادر على ذلك. يعلم متى ينقل العبد من طور إلى طور، وهو قادر على ذلك. يعلم أسرار الضعف والشيب، وهو قادر على تدبيرها بحكمة. {العليمُ القديرُ} اسمان كريمان يملآن القلب طمأنينة ويقينًا.

المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

1. مفهوم "الاعتبار بأطوار الحياة" - الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة

تقلب الإنسان بين الضعف والقوة ثم الضعف، يذكره بأن الدنيا دار زوال. فلا يغتر بقوته وشبابه، ولا

يبأس عند ضعفه وهرمه.

. كيف تطبيقه؟

. إذا كنت في مرحلة القوة والشباب، فاستثمر هذه النعمة في طاعة الله قبل أن يأتي الضعف. اغتنم شبابك قبل هرمك، وقوتك قبل ضعفك.

٢. مفهوم "التواضع لله" - كسر الكبر والغرور

تذكر أنك بدأت ضعيفًا، وستعود ضعيفًا. فلماذا الكبر والغرور؟! تواضع لله ولخلقه.

. كيف تطبيقه؟

. كلما شعرت بالكبر أو العجب، تذكر أصلك من نطفة، وضعف طفولتك، وقادم شيخوختك. هذا يذيب جبال الكبر في نفسك.

٣. مفهوم "رعاية الضعفاء" - قانون التكافل الاجتماعي

إذا كان الله قد جعل الضعف طوقًا في حياتك (في الطفولة والهرم)، فهذا يعلمك رحمة الضعفاء. كما رحمت والدك في طفولتك، فارحم والديك في شيخوختهما. وكما تحب أن يرحمك أبناؤك إذا ضعفت، فارحم الضعفاء من حولك.

. كيف تطبيقه؟

. أحسن إلى والديك المسنين. ارفق بهم. تذكر قوله تعالى: {إِنَّمَا يَلْعَنُ عِنْدَكَ الْكِبَرَ إِحْدَهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًّا}.
٤. مفهوم "التعلق بالعليم القدير" - مصدر القوة الحقيقي

القوة التي وهبك الله إياها في الشباب، هو القادر على سلبها. والقوة الحقيقية هي قوة الإيمان و التعلق بـ {العليم القدير}.

. كيف تطبيقه؟

. في كل أطوار حياتك، تعلق بالله. في ضعفك، اطلب منه القوة. وفي قوتك، اشكره عليها واستعملها في طاعته.
الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآية؟

1. التعليم بالمشاهدة: اصطحب طفلك لزيارة دار للمسنين، أو لزيارة جده المسن. دعه يرى ضعف الشيخوخة. ثم ذكره بقوته هو. اقرأ عليه الآية: {ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا}. قل له: "أنت الآن قوي، فاشكر الله. وجدك كان قويًا مثلك، والآن ضعف. هكذا هي الحياة".

2. غرس بر الوالدين: اربط الآية ببر الوالدين. قل له: "عندما كنت طفلًا، ضعيفًا، كان والداك يحملانك ويرعيانك. والآن قد يضعفان ويحتاجان إليك. هذه هي سنة الله: {ضَعْفًا وَشَيْبَةً}. {فهل تنسى جميلهما؟!".

3. تدریبهم على استثمار الشباب: شجع ابنك على حفظ القرآن، وطلب العلم، وممارسة الرياضة النافعة في شبابه. قل له: "هذه هي مرحلة {قُوَّة}. {استثمرها في طاعة الله قبل أن يأتي} {ضَعْفًا}." وقفات عملية: لنعش أطوارنا مع الله

. وقفة مع مرآتك: عندما تنظر في المرآة وترى أول شعرة بيضاء، لا تحزن. قل: "هذه {شَيْبَةٌ} من الله. تذكرني بقرب لقائه. اللهم اجعلها نورًا لي يوم القيامة".

. وقفة مع والديك: قبل رأس والدك أو والدتك المسنة. تأمل ضعفهم. قل في نفسك: "لقد كانا في قوة، وها هما في ضعف. اللهم ارحمهما كما ربياني صغيرًا".

. وقفة مع قوتك: إذا كنت في مرحلة الشباب والقوة، فاشكر الله عليها. وقل: "اللهم هذه قوة منك. أعني على استعمالها في طاعتك. ولا تجعلها وبالاً علي".

. وقفة مع ضعفك: إذا كنت في مرحلة الضعف (مرض، هرم)، فلا تقنط. تذكر أن هذا الضعف بأمر العليم القدير، وأنه يكفر عنك السيئات ويرفع درجاتك. صبر جميل.

الخاتمة: العليم القدير يدبر الأمر

يا من تقلب في أطوار الحياة، لقد أراك الله في نفسك آية عظمى. إن انتقالك من ضعف إلى قوة ثم

إلى ضعف، هو برهان ساطع على قدرة الله، وتذكرة دائمة بفناء الدنيا، ودعوة ملحة للاستعداد للآخرة.

لا تغتر بقوة الشباب، فهي زائلة. ولا تياس من ضعف الشيخوخة، ففيها تكفير السيئات ورفع الدرجات. وتذكر دائماً أن الذي قلبك في هذه الأطوار، هو {العليم} بحالك، {القدير} على تغييرك. ففوض أمرك إليه، واستعن به في كل أطوارك. واجعل من قوتك زاداً لضعفك، ومن شبابك استثماراً لهرمك.

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}

فليكن شعارك: "اللهم يا عليم يا قدير، لك الحمد على ما أوليت. أسألك قوة في طاعتك، وصبراً على بلائك، وشكراً على نعمائك. واجعل خير أيامي يوم لقاك. إنك على كل شيء قدير". جعلنا الله وإياكم ممن يستثمرون القوة في الطاعة، ويصبرون على الضعف، ويلقون الله بقلب سليم. آمين.

المبحث الثاني

أيها الإنسان الذي يعيش في غمرات الحياة الدنيا، تلهو وتلعب، وتظن أن الأيام ستبقى على حالها، وأن الساعة بعيدة المنال. لقد بلغت بنا سورة الروم ذروتها، وها هي تضع أمامنا المشهد الأخير، مشهد يوم القيامة، لتوقظنا من غفلتنا، وتذكرنا بحقيقة أعمارنا، وتكشف لنا عن الخدعة الكبرى التي يعيشها الكافرون: خدعة الزمن! إنهم يظنون أنهم عاشوا دهرًا طويلًا، فإذا بهم يوم القيامة يرون أن حياتهم الدنيا لم تكن إلا ساعة من نهار! فما أشدها من حسرة! وما أعظمها من صحوه متأخرة! في هذه الآيات، نعيش مشهد الندم والاعتراف المتأخر، ونقف على حقيقة العلم الحقيقي الذي ينفع صاحبه، ونرى كيف تسقط كل الأعذار في ذلك اليوم العصيب.

فلنعش معاً قوله تعالى:

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۗ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} (الروم: 55)

{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ۗ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (الروم: 56)

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} (الروم: 57)
{. وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ - مشهد الإقسام والندم على ضياع العمر

تبدأ الآية بـ {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ}، وهو افتتاح مهيب تكرر في السورة (الآيات 12، 14، 55). إنه يعلق المشهد بذلك اليوم العظيم الذي تتغير فيه الأكوان، ليكون السياق مهيباً لاستقبال أول رد فعل من المجرمين حين يرون الحق رأي العين.

· {يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ}: لاحظ التعبير بـ {يُقْسِمُ}. إنهم لا يقولون فحسب، بل يقسمون! أي يحلفون بالله! في ذلك اليوم العظيم، يوم لا ينفع فيه الكذب، تراهم يقسمون على أنهم ما لبثوا غير ساعة. لماذا يقسمون؟ لأن هول الموقف ودهشتهم جعلاهم يظنون حقاً أن الدنيا كانت قصيرة جداً. إنها ليست محاولة للكذب، بل هو تعبير عن يقينهم الجديد الذي كشف عنه زوال الحجب. لقد رأوا الآخرة، فصغرت الدنيا في أعينهم حتى صارت كأنها ساعة من نهار.

· {مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ}: "اللبث" هو مدة الإقامة والمكث. وهم ينفون أي مكث طويل، ويحصرونه في {غَيْرَ سَاعَةٍ}. والساعة هنا مبهمه، أي مدة قصيرة جداً من الزمن، وليس بالضرورة ستين دقيقة. هذا التعبير يصور لك حقيقة الدنيا في ميزان الآخرة. فالدنيا مهما طالت، فهي قصيرة. قال تعالى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}. فكل ما مضى من عمر الإنسان، من آلاف السنين أو مئاتها، سيبدو له يوم القيامة كلمح البصر أو كساعة واحدة.

· اللمسة البلاغية: استعمال فعل المضارع {يُقْسِمُ} يدل على استحضار المشهد وكأنه يحدث الآن. و القسم من المجرمين يدل على شدة دهشتهم وتيقنهم من قصر الدنيا. ولفظ {غَيْرَ سَاعَةٍ} فيه إيجاز بالغ، حيث اختصر كل تلك الحياة الطويلة في كلمتين.

الرسالة التربوية والنفسية والعقلية:

· الرسالة التربوية: اغتنم وقتك! العمر الحقيقي ليس عدد السنوات، بل ما أودعته فيها من صالح الأعمال. تذكر أنك يوم القيامة ستشعر أن حياتك كانت ساعة. فهل أعددت لهذه الساعة ما ينجيك؟
· الرسالة النفسية: لا تحزن على ما فات من عمرك. حتى لو كنت في أواخر العمر، فباب التوبة

مفتوح. فما دمت في دار العمل، فأنت تستطيع أن تجعل هذه "الساعة" المتبقية خيرًا لك من عمر طويل ضائع.

. الرسالة العقلية: هذه الآية تقدم برهانًا نفسيًا على حقيقة الآخرة. شعور المجرمين بقصر الدنيا هو نتيجة طبيعية لرؤيتهم الأبدية. فكل متناهٍ قصير إذا قيس بما لا يتناهى. هذا يدفع العقل إلى حسن الاستثمار.

{كذلك كانوا يُؤفكون} - خدعة الدنيا التي صرفتهم عن الحق

بعد أن حكى عن إقسامهم، علق الله على ذلك بقوله: {كذلك كانوا يُؤفكون}. هذا هو التفسير الإلهي لتناقض حالهم (إقسامهم الآن بأن الدنيا ساعة، وقد كانوا في الدنيا يظنونها طويلة أو لا يؤمنون بالآخرة).

. {كذلك}: أي مثل هذا الصرف والخداع الذي هم فيه الآن من إنكار طول الليل، كانوا في الدنيا {يؤفكون} عن الحق. فكما أنهم الآن مخطئون في تقديرهم (لأنهم لبثوا أطول مما يظنون، لكن هول الآخرة أنساهم)، كانوا في الدنيا مأفوكين عن الحق، مصروفين عن الإيمان بالبعث والحساب.

. {يؤفكون}: من الإفك، وهو الكذب والصرف والخداع. والمعنى: كان الشيطان ونزغاته، وزينة الدنيا، وتقليد الآباء، تصرفهم عن الحق، وتخدعهم، وتجعلهم يعيشون في أوهام طول الدنيا وخلودها، أو عدم وجود آخرة. فهم في الدنيا كانوا مقلوب العقول، يرون الحق باطلاً والباطل حقًا. وهذا هو معنى {يؤفكون}، أي يصرفون عن وجه الصواب. قال قتادة: "كذلكم كانوا في الدنيا يؤفكون، يقول: يكذبون".

الرسالة التربوية والنفسية:

. انتبه لمصادر الإفك: الشيطان يزين لك الدنيا ليشغلك عن الآخرة. النفس الأمارة بالسوء تهون عليك المعاصي وتنسيك الموت. الصحة السيئة تصرفك عن طريق الهداية. كن يقظًا، ولا تكن ممن {يؤفكون}.

. الصحة قبل فوات الأوان: سؤال نفسي مهم: ما الذي يمنعك الآن من التوبة والعمل الصالح؟ هل هو "سوف" و"غدا"؟ هذه هي الإفكة التي يوقعك فيها الشيطان. تذكر أن يوم القيامة، ستشعر أن كل ذلك كان ساعة. فلا تؤفك عن الحق!

٣. وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث - صوت الحق والحكمة

في وسط هذا المشهد الحزين للمجرمين، يبرز صوت الحق وصوت العلم والإيمان. هم {الذين أوتوا العلم والإيمان}. لم يقل "الملائكة"، بل قال {الذين أوتوا العلم والإيمان} ليشمل علماء الأمة ومؤمنيها، الذين أدركوا حقيقة الدنيا والآخرة، في الدنيا نفسها. إنهم يشهدون عليهم في ذلك اليوم، أو يقولون ذلك تقريبًا لهم، أو تعجبًا من حالهم.

. {لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث}: هذا هو التصحيح لمقالتهم. أنتم لستم في حاجة إلى قسمكم، فالأمر معلوم في {كتاب الله}. وما هو كتاب الله؟ هو اللوح المحفوظ، أو علم الله الأزلي، أو ما كتبه الله وقدره من أجلكم. لقد مكثتم في الدنيا المدة التي كتبها الله لكم، حتى جاءكم {يوم البعث} هذا. فقسمكم بأنه ساعة هو من شدة الهول، لا من حقيقة المدة.

. {فهذا يوم البعث}: أي ها أنتم أولاء ترونه رأي العين، بعد أن كنتم به تكذبون.

. {ولكنكم كنتم لا تعلمون}: هذا هو مكمن الداء. أنتم لم تكونوا في الدنيا من {الذين أوتوا العلم}. كنتم في غفلة وجهل. ولهذا أنكرتم البعث. أما المؤمنون العالمون، فقد علموا في الدنيا أن هذا اليوم حق، وأن الدنيا قصيرة مهما طال، فعملوا لها. وهذا يذكرنا بقوله في الآية 7: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}. هؤلاء هم {لا يعلمون}، وأولئك هم {الذين أوتوا العلم}.

الرسالة العقلية والتربوية:

. العلم الحقيقي هو الذي ينفع: العلم النافع ليس علم الدنيا الظاهر فقط، بل هو العلم بالله واليوم الآخر. هذا العلم هو الذي يجعل صاحبه يعيش في الدنيا وهو مستعد للآخرة. فاطلب العلم والإيمان معًا، فهما جناح النجاة.

. شهادة العلماء والمؤمنين: هذه الآية ترفع من قدر العلماء والمؤمنين، وتجعلهم حجة على الغافلين يوم القيامة. فكن منهم، تكن من الشاهدين بالحق، لا من المشهود عليهم.

٤. فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعْطَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذرتَهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ - إغلاق باب التوبة والأعدار

هذا هو الختام الذي يغلق كل أبواب الأمل أمام المجرمين. في ذلك اليوم، تنتهي كل فرصة للنجاة.

· {فَيَوْمَئِذٍ}: أي في ذلك اليوم العظيم، يوم البعث.
· {ثُمَّ يَنْقَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتَهُمْ}: أي لا تنفعهم اعتذاراتهم ولا حججهم. مهما قالوا: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا}، أو {مَا لِيُثْوَا غَيْرَ سَاعَةٍ}، فلن ينفعهم شيء. لقد فات الأوان. قال تعالى: {قَلِمٌ يَكْتُبُ يَنْقَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}.
· {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}: هذه الكلمة من أبلغ كلمات الآية. "يستعتبون" من العتبي، وهي طلب إزالة العتب وإعادة الرضا. أي أنهم لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم، ولا يمهلون لذلك. لقد أغلق باب التوبة، وانتهى زمن العمل. وهذا هو معنى قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}. قال الزجاج: "لا يسألون أن يرجعوا إلى ما يرضي الله". فهو اليأس التام من أي فرصة للنجاة.
· اللمة البلاغية: النفي بـ {ثُمَّ} و{وَلَا} يفيد الاستغراق والشمول. فلا أي معذرة تنفع، ولا أي استعتاب يطلب منهم. وفي وصفهم بـ {الَّذِينَ ظَلَمُوا} تذكير بأن سبب حرمانهم من النفع والاستعتاب هو ظلمهم في الدنيا.

الرسالة النفسية والعملية:

· الفرصة الآن: طالما أنت في دار الدنيا، فباب المعذرة والاستعتاب مفتوح. بادر بالتوبة. لا تسوف. لا تقل غداً. فإن "غداً" قد لا يأتي، وإذا جاء "يومئذ"، فلا {يَنْقَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتَهُمْ}.
· أهمية التوبة النصوح: تب الآن توبة نصوحاً، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم. {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} يعني أن فرصة إرضاء الله وإزالة العتب قد انتهت. فابحث عن رضا الله اليوم، واطلب منه العفو والمغفرة.

المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيات في حياتنا العملية؟

١. مفهوم "قصر الحياة" - إعادة تعريف الزمن

الآيات تعيد تعريف مفهوم الزمن في ذهنك. لا تنظر إلى عمرك بعدد السنين، بل بما قدمت فيه. "الساعة" التي يعيشها المؤمن في طاعة الله، خير من عمر طويل في معصيته.

· كيف تطبقه؟

· اجعل شعارك: "يومي هذا هو عمري". عش كل يوم وكأنه يومك الأخير. لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد. ففي ميزان الآخرة، كل عمرك ساعة.

٢. مفهوم "العلم النافع" - علم يورث الإيمان والعمل

العلم الذي مدح الله أهله هنا هو {الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ}. إنه العلم الذي يقود إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، ويثمر العمل الصالح.

· كيف تطبقه؟

· احرص على طلب العلم الشرعي الذي يعرفك بربك ودينك. واقرن العلم بالعمل والإيمان. ولا تكن من الذين يعلمون ولا يعملون.

٣. مفهوم "سقوط الأعدار" - تحمل المسؤولية الآن

في الآخرة، لا أعدار. كل حججك التي تتعلل بها الآن (ظروفي، المجتمع، الشيطان...) ستسقط. ستبقى وحيداً مع عملك.

· كيف تطبقه؟

· توقف عن اختلاق الأعدار لنفسك. اعترف بتقصيرك، وتب إلى الله. لا تقل: "سأتوب عندما أكبر"، أو "عندما أتفرغ". فالموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً.
**الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآيات؟

1. حكاية قصة العمر القصير: احك لطفلك قصة رجل عاش مائة سنة في ملذات الدنيا، ثم مات. وعندما بعث، سأله: "كم لبثت في الدنيا؟" قال: "يوماً أو بعض يوم!". اقرأ عليه الآية: {مَا لِيُثْوَا غَيْرَ سَاعَةٍ}. قل له: "الدنيا كلها قصيرة جداً يا حبيبي. فلنستثمرها في طاعة الله".

2. تعليمهم قيمة الوقت: استخدم ساعة رملية صغيرة (ساعة رملية (في البيت. عندما تنتهي الرمال، قل له: "انظروا! مرت ساعة. هكذا سيمر عمرنا كله بسرعة. هل فعلنا في هذه الساعة ما يرضي الله؟".

3. تدريبهم على عدم التسويف: إذا قال لك طفلك: "سأصلي الغد"، أو "سأحفظ القرآن غداً"، ذكره: "يا

حبيبي، في يوم القيامة، لا يَنْقَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتَهُمْ. {لا تَوَجَلْ. افعل الخير الآن".
وقفات عملية: لنعش الوعي بالزمن

. وقفة مع ساعة يدك: انظر إلى عقارب الساعة وهي تتحرك. كل ثانية تمضي هي جزء من {ساعة} عمرك. قل: "اللهم بارك لي في وقتي، واجعلني ممن يستثمرون أعمارهم في طاعتك".
. وقفة مع نهاية يومك: قبل أن تنام، راجع يومك. اسأل نفسك: "ماذا قدمت في ساعتني التي مضت؟ هل اقتربت بها من الله أم ابتعدت؟". هذه المراجعة تجعلك لا تغفل عن حقيقة الزمن.
. وقفة مع توبة صادقة: الآن، في هذه اللحظة، جدد توبتك. لا تقل: "سأتوب غداً". تذكر أن {يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ}، سيسقط كل عذر. قل: "اللهم إني تبت إليك الآن، فلا تجعلني ممن لا ينفَعهم معذرتهم يوم القيامة".
الخاتمة: الساعة آتية لا ريب فيها

يا من يقرأ هذه السطور، إن الساعة آتية لا ريب فيها. وإنك ستقف بين يدي الله. وفي ذلك اليوم، ستري الدنيا كلها كأنها ساعة من نهار. فهل أعددت لهذه الساعة ما ينجيك؟ هل طلبت من العلم والإيمان ما يجعلك من الشاهدين بالحق، لا من المشهود عليهم؟ بادر اليوم قبل أن يأتي يوم {لا يَنْقَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتَهُمْ} ولا هم يُسْتَعْتَبُونَ}. اعمل صالحًا، وتب إلى الله، واستثمر كل لحظة من عمرك. ف العمر الحقيقي ليس طوله، بل بركته. وبركته في طاعة الله.

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۗ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝٨} وَقَالَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ۗ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٩} فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتَهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم اجعل حياتي كلها في طاعتك، واجعل خير أعمالي خواتيمها، واجعل خير أيامي يوم لقاك. واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم". جعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. آمين.

المبحث الثالث

أيها الإنسان الذي ألقى السمع وهو شهيد، لقد طوفت بك سورة الروم في ميادين الفطرة والعقل، وأسمعتك حجج التوحيد، وأرتك آيات الله في الأنفس والأفاق. وها نحن نقف على ختام السورة، حيث تكشف لنا الآيتان الخاتمتان عن طبيعة الموقف البشري من الحق، وعن المانع الحقيقي الذي يحول بين القلب وبين الهداية. إنهما آيتان تجيبان على سؤال لطالما راود الدعاة والمصلحين: لماذا لا يؤمن هؤلاء رغم وضوح الحجة؟ لماذا يصرون على الباطل ويرفضون الحق؟ الجواب: إنها قسوة القلوب والطبع عليها نتيجة للإعراض المتكرر والجهل المتراكم.

فلنعش معاً هاتين الآيتين، ولنضرب لهما أمثلة واقعية تجعل المعنى حياً في قلوبنا وعقولنا، ولنستخرج منهما دروساً تربوية لأنفسنا ولمن حولنا.

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۗ وَلَئِنْ جِشْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُنْظَلُونَ} (الروم: 58)

{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم: 59)

{. ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل -} منتهى البيان والتنوع في الإقناع

تبدأ الآية بتوكيدات متعددة: الواو (واو القسم)، واللام (لام التوكيد)، وقد (حرف التحقيق). {ولقد ضربنا}. هذا التوكيد المضاعف يلفت انتباهك إلى عظمة ما سيذكر، وإلى تمام الحجة التي أقامها الله على الناس.

. {ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل}: المثل هو الصورة المعنوية التي تقرب المعنى العقلي البعيد، وتجسده في صورة حسية قريبة. والله تعالى لم يضرب مثلاً واحداً أو اثنين، بل {من كل مثل}. أي من كل نوع من أنواع الأمثال. أمثال للتوحيد، وأمثال للشرك، وأمثال للبعث، وأمثال للدنيا، وأمثال للأخرة... لقد نوع الله الأمثال لتصل إلى كل عقل، وتخطب كل فطرة، وتقع كل ذي لب. فمن أمثال الماء الذي يحيي الأرض، إلى أمثال النور والظلمات، إلى أمثال العبيد والشركاء، إلى أمثال الحياة الدنيا... كلها أمثال باهرة.

. اللمسة البيانية: لاحظ قوله {في هذا القرآن}. القرآن كله مملوء بالأمثال. وهذا يدل على سعة علم الله وتعام رحمته. إنه يعلم أن النفوس تميل إلى الأمثلة المحسوسة، فيضربها لها لتقريب المعاني. قال تعالى: {وَلِكِ الْأَمْثَالَ تَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ ۗ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}. فالأمثال هي مفاتيح العقول.

مثال واقعي تقريبي) قوة المثل):

تخيل معلمًا يريد أن يشرح لتلاميذه الصغار مفهوم "النية الصادقة". لو قال لهم: "النية هي قصد القلب وعزمته"، فربما لا يفهمون جيدًا. لكنه عندما يقول: "النية مثل البذرة، إن كانت صالحة طيبة، نبت منها زرع طيب. وإن كانت خبيثة، لم ينبت إلا الشوك والحنظل". عندها يفهمون مباشرة! هذا هو سحر المثل. والله تعالى، المعلم الأعظم، ضرب لنا في القرآن من كل مثل لفهمهم.

{ ٢. وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ }- العناد بعد وضوح الحجة

بعد أن بين أنه ضرب للناس من كل مثل، ينتقل إلى النتيجة الصادمة. إنه قسم آخر: {وَلَئِن جِئْتَهُمْ} (اللام موطئة للقسم). أي والله لئن جئتهم.

. {بِآيَةٍ}: أي بمعجزة حسية واضحة، كذلك التي اقترحوها: {لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا}. أو أي آية كانت.

. {لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}: اللام واقعة في جواب القسم، والنون للتوكيد الثقيل. أي ليقولن قطعًا ويقينًا. وهذا يفيد أن قولهم هذا محتوم، وهو طبع فيهم لا يتغير.

. {إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ}: أي ما أنتم - يا محمد ومن اتبعك - إلا مبطلون، أي أهل باطل وسحر وكذب. فمهما جئتهم من آية، فسيرمونك بهذه التهمة الجاهزة. إنهم لا يبحثون عن الحق، بل يبحثون عن أعداء لرفض الحق. وهذا هو المرض العضال: مرض العناد والإلفال بالباطل.

مثال واقعي تقريبي) طالب العلم والحجة الواضحة):

تخيل طالبًا كسولًا "رسب في الامتحان. أستاذه، من شدة حرصه، يعطيه الأسئلة المتوقعة بالتفصيل، ويشرح له الإجابات النموذجية، بل ويعطيه كتابًا مفتوحًا في الامتحان. كل هذا من باب "المثل" و "الحجة". ثم يأتي الامتحان، فإذا بالطالب لا يزال يرسب! لماذا؟ ليس لأنه لم يفهم الأسئلة، ولا لأنه لم يجد الإجابات. بل لأنه في قرارة نفسه لا يريد النجاح، أو لأنه متكبر على الأستاذ، أو لأنه مصر على أن طريقته الخاطئة هي الصواب. هذا هو حال الكافر. القرآن مليء بـ {من كلِّ مَثَلٍ} (الأسئلة وا لإجابات النموذجية)، ولكنهم مصرون على الكفر.

٣. كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }- العاقبة الطبيعية للجهل والإعراض

هذه هي الخاتمة التي تفسر كل شيء. بعد أن بين عنادهم واتهامهم للنبي ﷺ بالباطل رغم وضوح الحق، يبين السبب الجذري والعاقبة النهائية.

. {كَذَلِكَ}: أي مثل هذا الطبع الشديد الذي جعلهم لا يفقهون الأمثال ولا يؤمنون بالآيات.

. {يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}: الطبع هو الختم والتغطية. عندما يطبع على القلب، يصبح ك الوعاء المختم، لا يدخله نور الهداية، ولا يخرج منه ظلام الضلال. والطبع هنا ليس ظلمًا من الله، بل هو عقوبة عادلة ونتيجة طبيعية لإعراضهم المتكرر وعدم استعدادهم للعلم. لقد جاءتهم الأمثال فأعرضوا، وجاءتهم الآيات فكذبوا، فأعقبهم الله الطبع على القلوب. {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}. وهذه هي سنة الله فيمن يصر على الباطل ويرفض الهدى.

مثال واقعي تقريبي) الطبع على القلب كالصدأ على الحديد):

تخيل مرآة صافية نقية. كلما تعرضت للغبار والأوساخ، تراكمت عليها طبقة. إن لم تنظفها، تتحول هذه الطبقة إلى صدأ يغطيها بالكامل، فتعكس الصورة مشوهة، ثم تفقد القدرة على العكس تمامًا. كذلك القلب: الفطرة الأصلية صافية، ولكن الذنوب والشبهات والإعراض المتكرر عن الحق هو غبار وأوساخ. إن لم ينظف القلب بالتوبة والإنابة، يتحول هذا الغبار إلى صدأ، ثم إلى طبع يختم عليه، فلا يعود يميز الحق من الباطل. هذا هو معنى {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}. المفاهيم المركزية: كيف نعيش الآيتين في حياتنا العملية؟

١. مفهوم "التنوع في أساليب الدعوة والتعليم" - اقتداء بالقرآن

الله ضرب {من كلِّ مَثَلٍ}. هذا يعلمنا أن نلوع أساليبنا في دعوة الناس وتعليمهم. فالناس مختلفون في مداركهم وأمزجتهم.

. كيف تطبقه؟

. إذا دعوت أحداً، فلا تستعمل أسلوباً واحداً. مرة بالموعظة، ومرة بالقصة، ومرة بالمثل الواقعي، ومرة بالحجة العقلية. كن متنوعاً كالقرآن.

٢. مفهوم "خطر العناد والاستكبار" - ألا نكون من الجاحدين

الكفار لم ينقصهم الدليل، بل كان داؤهم العناد. احذر أن تكون معانداً للحق عندما تعرفه. كن متواضعاً ، وقابل الحق بالقبول.

. كيف تطبقه؟

. إذا نصحك أحد، أو سمعت آية تخالف هواك، فلا ترفضها فوراً. اسأل نفسك: "هل أنا أرفضها لأنها باطل حقاً، أم لأنها تخالف هواي؟". اتهم نفسك قبل أن تتهم الناصح.

٣. مفهوم "الوقاية من الطبع على القلب" - دوام التوبة والإنابة

الطبع على القلب هو أخطر مرض. وعلاجه هو دوام العلم النافع والتوبة المستمرة. فالعلم يزيل الجهل، والتوبة تزيل الصدأ.

. كيف تطبقه؟

. أكثر من دعاء: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".

. اجعل لك ورداً يومية من القرآن والذكر، فهو جلاء القلوب.

. تب إلى الله كلما شعرت بقسوة في قلبك. {وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} هو داء، وعلاجه العلم. {يَطْبَعُ الله} هو نتيجة، والوقاية منه التوبة.

الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآيات؟

1. استخدام الأمثال في التربية: عندما تريد أن تعلم طفلك خلقاً، استخدم المثل. لا تقل له: "الكذب سيء". بل قل: "الكذب مثل النار، قد يدفئك للحظة، لكنه سيحرق بيتك كله". هذا الأسلوب هو تطبيق عملي لقوله: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}.

2. تعليمهم مرونة القلب: أسأل طفلك: "هل تحب أن يكون قلبك مثل الإسفنجة تمتص الخير، أم مثل الحجر لا يدخله الماء؟". قل له: "القلب اللين هو الذي يقبل النصيحة. والقلب القاسي هو الذي يرفض الحق. كن لين القلب يا حبيبي".

3. تدريبهم على قبول النقد: إذا أخطأ طفلك ونصحتة، فاقبل نصيحتك، فامدحه: "ما شاء الله! هذا هو المؤمن. قلبه حي يقبل الحق. ليس مثل الذين قالوا: {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ}." هذا يجعله يفتخر بمرونة قلبه.

وقفات عملية: لنفتح قلوبنا للأمثال والآيات

. وقفة مع القرآن: عندما تقرأ القرآن وتصادف مثلاً، قف عنده. لا تمر عليه مرور الكرام. تفكر فيه. اسأل نفسك: "ما الذي يريد الله أن يعلمني إياه من خلال هذا المثل؟". هذه الوقفة تحول قراءتك إلى تدبر حي.

. وقفة مع نقد الآخرين: إذا وجه إليك أحد نقداً، ووجدت نفسك ترفضه بسرعة، تذكر: {لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ}. هذا هو رد فعل الكافرين. فكن مؤمناً، واستمع للنقد، وفكر فيه بتجرد.

. وقفة مع قسوة القلب: إذا شعرت بجفاف في عبادتك، أو عدم تأثر بالقرآن، فاعلم أن هذه بداية الطبع. سارع إلى التوبة، وأكثر من الاستغفار، واطلب من الله أن يلين قلبك. الخاتمة: افهم المثل، وافتح قلبك

يا من تسمع هذه الأمثال والآيات، لقد ختم الله سورة الروم بهذا التحذير المبين. إنها دعوة لك أن تكون من {الَّذِينَ يَعْلَمُونَ}، الذين تفتح قلوبهم للأمثال، وتهتدي بالآيات. لا تكن من الذين {لَا يَعْلَمُونَ}، الذين أعرضوا عن الحق بعد ما تبين، فطبع الله على قلوبهم.

القرآن مليء بـ {من كلِّ مَثَلٍ}. فهل أنت من العالمين الذين يعقلونها؟ أم أنك ستمر عليها مرور الكرام ، ثم تقول: "لماذا لم أهتم؟" يوم لا ينفع الندم؟ افتح قلبك اليوم. اقبل الحق. تب إلى الله. جدد إيمانك. فإن أبواب الرحمة مفتوحة، وقلبك بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء. فأسأله الثبات، وأسأله العلم النافع، واستعذ به من القلب المطبوع.

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} ^٥ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ * كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم يا من ضربت لنا الأمثال، افتح قلوبنا لفهمها. واهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك. واصرف عنا طبع القلوب، واجعلنا من العالمين العاملين. إنك سميع الدعاء." جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويفتحون قلوبهم لنور الوحي. آمين..

المبحث الرابع والآخر

أيها المؤمن الصابر، يا من تمضي في طريق الدعوة، وتواجه من الجحود والعناد ما يربط الهمم ويوهن العزائم. لقد وصلنا إلى ختام سورة الروم، ذلك الختام الذي يشع نوراً وأملاً وثباتاً. إنها الآية التي تخاطب قلب النبي ﷺ وقلب كل داعية من بعده، تثبته وتقوي عزمه. بعد أن بينت السورة إعراض الكافرين واتهامهم للنبي ﷺ بأنه مبطل، وأن الله يطبع على قلوب الذين لا يعلمون، يأتي الأمر الإلهي الحاسم الذي يضع الأمور في نصابها: اصبر، واثبت، ولا تلتفت إلى المكذبين، وليملاً اليقين قلبك بأن وعد الله حق.

إنها آية تضع منهجاً متكاملًا للثبات في وجه العواصف، وتزرع في النفس قوة لا تلين، وتفتح أمام العقل آفاق الأمل الاستراتيجي. إنها وصية الله لرسوله وللمؤمنين إلى يوم الدين.

فلنعش معاً هذه الآية العظيمة، ولنستلهم منها قواعد الثبات وأسرار اليقين:

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} {الروم: 60}

تبدأ الآية بفاء التعقيب {ف} التي تربط هذا الأمر بكل ما سبق في السورة من بيان لإعراض الكافرين واتهامهم للنبي ﷺ وطبع الله على قلوبهم. وكأن الله يقول لنبيه: "ما دام هذا هو حالهم، وما داموا قد قالوا ما قالوا، فاصبر". إنها وصية إلهية لمواجهة كل أشكال الأذى والتكذيب.

{فَاصْبِرْ}: الأمر بالصبر يتكرر في القرآن الكريم كثيراً، وهو توجيه للنبي ﷺ ولأمته. والصبر هنا ليس مجرد تحمل للأذى، بل هو ثبات على المبدأ واستمرار في الدعوة وتجسد في وجه العقبات. إنه صبر إيجابي فاعل، وليس صبراً سلبياً قانطاً.
• اللبسة البلاغية: صيغة الأمر {اصْبِرْ} تفيد الإلزام والوجوب. فالصبر ليس خياراً للمؤمن، بل هو واجب وضرورة. وهو مشتق من "الصبر" بمعنى الحبس والمنع. فالصبر يحبس نفسه عن الجزع، ويمنعها من اليأس. وهذا يحتاج إلى قوة نفسية عظيمة.

مثال واقعي (تقريبي) صبر المزارع):

تخيل مزارعاً ألقى بذوره في الأرض، ثم سقاها وتعهدها. لكن الرياح العاتية تهب، والأعشاب الضارة تثبت، والطيور تحاول النقاظ البذور. لو أن المزارع جزع وترك حقله، لمات الزرع وخسر كل شيء. لكنه يصبر. يثبت في أرضه، ويستمر في السقي والرعاية وإزالة الأعشاب، واثقاً بأن وعد الحصاد حق لا محالة. هذا هو {فَاصْبِرْ} الذي يأمر به الله الداعية. الطريق طويل، والعقبات كثيرة، ولكن الحصاد قادم بإذن الله.

٢. {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} - أساس الصبر وقاعدة اليقين

هذه الجملة هي التعليل للأمر بالصبر، وهي الركيزة التي يقوم عليها صرح الثبات. لماذا نصبر؟ {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}.

{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ}: "إن" للتوكيد. ووعد الله يشمل كل ما وعد به المؤمنين: النصر في الدنيا، والتمكين في الأرض، والجنة في الآخرة، وحسن العاقبة في كل حال. هذا الوعد ليس خاصاً بالآخرة فقط، بل هو شامل للدنيا والآخرة. وقد تكرر في السورة هذا المعنى: {وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ} {الآية 6} ، {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} {الآية 47}

{حَقٌّ}: أي ثابت يقيني، لا شك فيه ولا مرية. إنه ليس مجرد أمل أو تمن، بل هو حقيقة واقعة في علم الله وقضائه. فأنت أيها الصابر، لا تصبر على فراغ، بل تصبر على يقين جازم بأن ما وعدك الله به هو آتٍ لا محالة. وهذا اليقين هو الذي يخفف وطأة الصبر، ويجعله حلواً في الفؤاد.

مثال واقعي (تقريبي) يقين المسافر):

تخيل مسافراً يسير في صحراء قاحلة موحشة. الشمس حارقة، والطريق طويل، والعطش شديد. لكنه يحمل في يده خريطة دقيقة وبوصلة، وقد أخبره دليل صادق لا يكذب أن هناك واحة خضراء على

بعد مسافة معينة. هذا المسافر يصبر على مشقة السفر، ليس لأنه يحب العذاب، بل لأنه موقن بأن الواحة قادمة. يقينه بالخبر الصادق هو الذي يهون عليه الصعاب. هذا هو حال المؤمن. الدنيا صحراء، والطريق إلى الله طويل، ولكن {وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا}. فالصبر يصبح ممتعاً لأن نهايته الجنة.
٣. وَتِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ - التحذير من تأثير المكذبين على النفس

بعد الأمر بالصبر والتعليل بوعد الله الحق، يأتي النهي عن الاستخفاف. وهذا هو الجانب الوقائي في الآية. فالصبر قد يضعف إذا تسرب اليأس إلى القلب، واليأس يأتي من الاستماع إلى المشككين والتأثر بهم.

٤. وَتِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ: الاستخفاف هو حمل الغير على الخفة والطيش وترك الثبات. والمراد هنا: لا يحملنك هؤلاء المكذبون الذين لا يوقنون على خفة الحلم وضعف العزيمة، فتترك الصبر، أو تستعجل النصر، أو تشك في وعد الله. "لا يستخفنك" أي لا يزعجنك ولا يقلقنك قولهم وفعلهم، ولا يحملنك على ترك ما أنت عليه من الحق.

٥. الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ: هذا هو وصف المكذبين. إنهم} لا يوقنون، أي ليس لديهم يقين بوعد الله ولا بالآخرة. قلوبهم فارغة من الإيمان، ممتلئة بالشك والريب. ولأنهم كذلك، فإنهم يستعجلون العذاب، ويستهنئون بالمؤمنين، ويحاولون زعزعة يقينهم. فإياك أن تستمع إليهم، أو تتأثر بكلامهم، فيدب الشك إلى قلبك.

• اللسنة البلاغية: النهي ب-} لا {الناهية، وتأكيده بنون التوكيد الثقيلة} يَسْتَخَفُّكَ، يفيد التحذير الشديد والمنع الباتح. لا تدع مجالاً لأي تأثير من هؤلاء. ووصفهم ب-} الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ {يبين سبب خطرهم: إنهم خالون من اليقين، فلا تقبل منهم شيئاً، ولا تجعل لكلامهم في نفسك وزناً.

مثال واقعي تقريبي (العداء والمتفرجون):

تخيل عداءً في سباق طويل (ماراثون). هو متعب، منهك القوى، يكاد يسقط. على جانبي الطريق، يقف متفرجون. بعضهم يشجعه ويهتف له، وبعضهم يسخر منه ويقول له: "لن تصل! استسلم!". هؤلاء هم {الذين لا يوقنون} بقدرته أو بعدالة السباق. لو أن العداء استمع إليهم وتأثر بهم، لخقت عزمته، وربما استسلم وسقط. لكنه لا يستخفهم. يضع سماعات في أذنيه تعزله عنهم، ويركز بصره على خط النهاية، ويستمتع فقط لصوت مدربه الذي وعده بالنصر. هذا هو {وَتِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ}. أغلق أذنيك عن كلام المثبطين، وركز على وعد الله.

دلالة ختم السورة بهذه الآية: رسالة شاملة للثبات واليقين

إن ختم سورة الروم بهذه الآية {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} ^٥ وتِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ {ليس أمراً عابراً، بل هو توجيه استراتيجي له دلالات عميقة:

1. الربط بين أول السورة وآخرها: بدأت السورة بالوعد بنصر الروم: {وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}، وانتهت بالأمر بالصبر لأن: {وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا}. {فَكأن السورة كلها تدور حول محور اليقين بوعد الله و الصبر حتى يتحقق. إنها دورة تدريبية للمؤمن على الثقة في موعود الله.
2. بناء شخصية المؤمن الاستراتيجية: الآية تبني في المؤمن عقلية استراتيجية طويلة المدى. فهو لا ينهار عند أول هزة، ولا يستعجل النتائج، ولا يتأثر بالمشككين. لديه رؤية واضحة) وعد الله حق، (وصبر جميل) فاصبر، (ومناعة نفسية) ولا يستخفك.
3. تحويل الطاقة السلبية إلى إيجابية: بدلاً من أن يصرف المؤمن طاقته في الرد على المكذبين و الجدل معهم، توجهه الآية إلى الصبر ومواصلة العمل. هذا التوجيه يحافظ على الطاقة النفسية للمؤمن، ويوجهها نحو البناء والعمل، بدلاً من هدرها في الصراع الجانبي.
4. رسالة لكل الأزمنة: هذه الآية ليست خاصة بزمان النبي ﷺ، بل هي دستور لكل داعية ومصلح في كل زمان ومكان. ما دام هناك حق وباطل، وما دام هناك مكذبون} لا يوقنون، فستبقى هذه الآية نبراساً يضيء الطريق.

الرسائل المستفادة من الآية

١. الرسالة النفسية: بناء الصلابة النفسية والمناعة ضد الإحباط

الآية تقدم جرعة نفسية عالية التركيز. إنها تقول لك: "لا تحزن، لا تيأس، لا تتراجع. اصبر، فوعد الله حق. وتجاهل المثبطين". هذا يبني في نفسك الصلابة والمناعة ضد الإحباط والاكتماب.

• كيف تطبقه؟ عندما تشعر بالإحباط، ردد هذه الآية. تذكر أن وعد الله حق. واعزل نفسك عن مصادر الإحباط (الأخبار السلبية، المثبطين).

٢. الرسالة العقلية: ترسيخ مبدأ السببية والسنية

الآية تربط بين الصبر (السبب) وتحقيق الوعد (النتيجة). {فَاصْبِرْ} لأن {وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا}. هذا يعلم العقل أن النتائج العظيمة لا تأتي دون صبر وثبات. إنها سنة كونية: النصر مع الصبر.

. كيف تطبقه؟ في أي مشروع تقوم به، لا تستعجل النتائج. اعمل بجد، واصبر، وثق بأن النتيجة ستأتي وفق وعد الله وسننه.

٣. الرسالة التربوية: تربية النفس على الطاعة والثبات

الآية تربى فيك الانضباط والالتزام. "اصبر" أي أزم نفسك بطاعة الله والثبات على الحق، مهما كانت المعريات والمصاعب.

. كيف تطبقه؟ ضع لنفسك برنامجًا يوميًا للطاعة، والتزم به. إذا فترت همتك، تذكر: {فَاصْبِرْ}. هذا الأمر من الله، فاستجب له.

٤. الرسالة التنموية: الصبر أساس النهضة والبناء

لا يمكن أن تقوم نهضة أو تنمية حقيقية بدون صبر. بناء الحضارة يحتاج إلى نفس طويل وعمل دؤوب وتجاهل للمشككين. الآية تقدم روح التنمية المستدامة: العمل بصبر وثقة بوعد الله.

. كيف تطبقه؟ إذا كنت تعمل في مشروع تنموي، فتسلح بـ الصبر الاستراتيجي. لا تلتفت إلى الأصوات المحيطة. ثق بأن جهودك ستؤتي ثمارها بإذن الله. الدور التربوي: كيف نربي أبناءنا على هذه الآية؟

1. تعليمهم الصبر بالممارسة: أعط طفلك مهمة تحتاج إلى صبر) مثل زراعة نبتة والعناية بها حتى تنمو. (ذكره بقول الله: {فَاصْبِرْ}. عندما يرى النبتة تكبر، قل له: "انظر! صبرك أثمر. هكذا وعد الله حق لمن صبر".

2. تحصينهم ضد كلام المثبطين: إذا جاء طفلك حزينًا لأن صديقه سخر منه، قل له: "لا تجعله يستخفك. تذكر أن الله أمرنا: {وَلَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ}. كن قويًا، ولا تتأثر بكلام من لا يعرف قيمة الحق".

3. بناء يقينهم بوعد الله: احك له قصصًا عن أنبياء صبروا فنصرهم الله. قصة نوح، قصة إبراهيم، قصة موسى. اربط كل قصة بالآية: {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}. {هذا يبني في قلبه يقينًا تاريخيًا.} وقفات عملية: لنعش الصبر واليقين

. وقفة الصباح: في بداية يومك، عاهد نفسك على الصبر. قل: "اللهم إني أسألك صبرًا جميلًا، وبيقينًا لا يتزعزع بوعدك الحق".

. وقفة مع الأخبار: عندما تسمع أخبارًا تثبط الهمم، أو ترى تعليقات ساخرة من الدين وأهله، تذكر: {وَلَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ}. (لا تجعلها تؤثر فيك. أغلقها، وافتح المصحف.

. وقفة مع الانتظار: في كل مرة تنتظر فيها نتيجة أمر ما) امتحان، وظيفة، شفاء، تذكر أن {وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا}. {اصبر واطمئن، فالله لا يخلف الميعاد.} الخاتمة: الطريق إلى النصر يمر بالصبر

يا من تسير على درب الأنبياء، وتحمل هم الدعوة والإصلاح، لقد أنهى الله إليك في هذه الآية خلاصة الطريق وزبدة المنهج. الطريق طويل، والعقبات كثيرة، والمشككون كثرة. ولكن سلاحك هو الصبر، وزادك هو اليقين بأن {وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا}. فامض في طريقك، ولا تلتفت. استمع لصوت ربك، وأغلق أذنيك عن أصوات {الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ}. وكن على ثقة بأن العاقبة للمتقين، وأن النصر آتٍ لا محالة.

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} ^ط {وَلَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ}

فليكن شعارك: "اللهم إني أسألك صبرًا لا ينفد، وبيقينًا لا يتزعزع. اللهم ثبتني على الحق حتى ألقاك، واجعلني ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أنت ولي ذلك والقادر عليه". جعلنا الله وإياكم من الصابرين الموقنين، الذين لا يستخفهم المكذوبون، ويهديهم ربهم بنور يقينهم. آمين.

وهكذا نختم رحلتنا مع سورة الروم، سائلين الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته. والحمد لله رب العالمين
واخيرا : أود أن أشكر اخى الاستاذ منير عبده عثمان الصلوى الذى ساعدنا في إخراج هذا الكتاب على هذا النحو حيث قام بمراجعة محتويات الكتاب لغويا وفنيا وموضوعيا أرجوا أن يجعل الله ذلك فى ميزان حسناتنا وحسناته
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامرى

بسم الله الرحمن الرحيم
أهم المراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها
أولاً: مصادر التفسير الأساسية (أمام الكتب)

تمثل هذه المصادر العمود الفقري للتحليل، حيث اعتمد عليها في شرح المعاني الظاهرة والباطنة للآيات، وبيان أسباب النزول، والأحكام الفقهية):

- جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري(: يُعتبر المرجع الأساس في فهم أقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين. تم الاعتماد عليه بشكل رئيسي في تفسير معاني المفردات مثل "أدنى الأرض"، و"بضع سنين"، وبيان أقوال المفسرين الأوائل في الحروف المقطعة "الم" وأسباب نزول الآيات.
- تفسير القرآن العظيم) تفسير ابن كثير(: مرجع أساسي آخر، تميز بالجمع بين التفسير بالمأثور) القرآن والسنة وأقوال السلف (مع ترجيح بعض الأقوال. تم الاستفادة منه في تأكيد أسباب النزول المتعلقة بالصراع بين الروم والفرس، وربط فرح المؤمنين بانتصار الروم بنصر المسلمين في غزوة بدر.
- الجامع لأحكام القرآن) تفسير القرطبي(: تم الاعتماد عليه في استنباط الأحكام والفوائد اللغوية الدقيقة، مثل بيان أوجه القراءات في كلمة "غلبت"، والتحليل اللغوي لمعنى "أدنى الأرض" وما يتعلق بها من دلالات.
- تيسير الكريم الرحمن) تفسير السعدي(: يتميز بسهولة العبارة ووضوحها مع التركيز على الجانب التربوي والإيماني. تم الاعتماد عليه بشكل كبير في استخلاص الدروس والعبر والمقاصد العامة للسورة، مثل الحث على التفكير في الأنفس والأفاق.
- تفسير الجلالين: تم الاستعانة به لبيان بعض المعاني اللغوية المختصرة، مثل بيان أن الفرس ليسوا أهل كتاب، مما يفسر فرح المسلمين بنصر الروم عليهم.
- في ظلال القرآن) سيد قطب(: تم الاستعانة بمنهج "التفسير الحركي" أو "التفسير الموضوعي" الذي يركز على استخراج سنن النهوض والهزيمة الحضارية من القصص القرآني، وهو ما يتناسب مع طبيعة التحليل المقدم.
- التفسير الوسيط) البغوي(: تم الرجوع إليه لبيان معاني المفردات وتوضيح السياق العام للآيات.
- التحرير والتنوير (ابن عاشور):** وهو المرجع الأساسي لفهم "المقاصد" والروابط الحضارية والسياسية في الآيات.
- * **تفسير المنار (محمد رشيد رضا):** للربط بين الآيات وسنن الاجتماع البشري ونقد الواقع..
- ثانياً: مصادر البلاغة واللغة العربية

تعنى هذه المصادر بتحليل الجوانب الجمالية والإعجازية في نظم القرآن الكريم، والتي أثرت التحليل بشكل كبير:

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) تفسير الزمخشري(: يُعتبر عمدة في البلاغة القرآنية. تم الاستعانة به في تحليل الأسرار البلاغية مثل: الإبهام في "بضع سنين" وتأثيره النفسي، والتقابلات البلاغية بين الجمل مثل { فهم في روضة يحبرون } و{ فأولئك في العذاب محضرون }، وأساليب الاستفهام الإنكاري مثل { أولم يتفكروا }.
- التحرير والتنوير) ابن عاشور(: تم الرجوع إليه لبيان دلالات الألفاظ، وأسرار التقديم والتأخير، وعلاوة الآيات ببعضها البعض، وخصائص النظم القرآني في السورة.
- مفاتيح الغيب) التفسير الكبير للرازي(: موسوعة تجمع بين التفسير وعلم الكلام والحكمة والبلاغة.
- ثالثاً: مصادر الإعجاز العلمي والتاريخي
- تعنت هذه المصادر الجانب الإعجازي في الآيات، سواء ما يتعلق بالإخبار بالغيب أو الحقائق العلمية:
- الإعجاز الغيبي والتاريخي: تم الاعتماد على ما هو مقرر في كتب التفسير) مثل تفسير ابن كثير و القرطبي (من أن الآيات تضمنت خبراً غيبياً مستقبلياً تحقق بعد سنوات، وهو انتصار الروم على الفرس في الوقت الذي أخبر به القرآن.
- الإعجاز العلمي والجغرافي: تم الاستناد إلى الأبحاث والدراسات العلمية الحديثة التي تعنت أن منطقة البحر الميت) وهي مسرح المعركة (هي أخفض بقعة على سطح اليابسة على وجه الأرض. هذا التفسير العلمي يعد وجهاً من وجوه الإعجاز في قوله تعالى: { في أدنى الأرض }، حيث تجمع الآية بين معنى "الأقرب" جغرافياً للعرب و"الأخفض" طبوغرافياً.
- * **الموسوعة العلمية في الإعجاز (زغلول النجار):** حول دلالة "أدنى الأرض" في منطقة الأغوار وعلاقتها بالدراسات الجيولوجية الحديثة.
- * **أبحاث الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة:** للوثيق الدقيق لمواقع الأحداث جغرافياً
- رابعاً: مصادر التربية وعلم النفس والدعوة

هذه المصادر لم تكن نصوصاً بقدر ما كانت أطراً ومناهج فكرية في التحليل:
· التحليل التربوي والنفسي: الأفكار المتعلقة ببناء "الصلابة النفسية" (Resilience) ، و"الصدمة" (Trauma) و"التصور الإيجابي" (Positive Visualization) و"الأمل الاستراتيجي"، هي خلاصة مفاهيم في علم النفس الحديث وعلم التربية، تم إسقاطها على فهم النصوص الشرعية. ومن المصادر التي تناولت هذا التكامل:

· "القرآن أصل التربية وعلم النفس" لأحمد الفورتية: يناقش الكتاب كيف يمكن استنباط مبادئ التربية وعلم النفس من القرآن الكريم.
· "مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم وتطبيقاتها المعاصرة" لعزة بنت عابس الشهومي: دراسة متخصصة في استخراج المبادئ النفسية من القرآن وكيفية تطبيقها.
· "تربية النفس لدى الناشئة في القرآن الكريم": مقالات وأبحاث تهتم بجانب التربية الإيمانية و النفسية للنشء من منظور قرآني.
· التزكية والتصوف العلمي: الحديث عن "التفكير في الأنفس والأفاق" بصفته طريقاً لليقين ومعرفة الله ، مستفاد من كتب التزكية والرقائق، وأقوال العلماء في شرح معنى التفكير، مثل "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي و"مدارج السالكين" لابن القيم.
كما تم الاستعانة بدراسات معاصرة حول مقاصد التزكية في القرآن، مثل "من مقاصد القرآن: الدعوة إلى تزكية النفس البشرية" للدكتور علي الصلابي، و"تطوير الذات وتزكية النفس في القرآن والسنة" التي تناقش هذا الموضوع من منظور تنموي.

خامساً: مصادر الحضارة والبناء والتنمية
· كتب البناء الحضاري: تم الاعتماد على مفهوم "دورة الحضارات" وسنن النهوض والانحطاط، وهي أفكار مستمدة من تحليل قصص القرآن للأمم السابقة. من المصادر التي تناولت ذلك:
· "دراسة في البناء الحضاري - محنة المسلم مع حضارة عصره" للدكتور محمود محمد سفر: يتناول الكتاب التحديات التي تواجه المسلم في بناء حضارته في العصر الحديث.
· "الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة" لشوقي أبو خليل: يستعرض الكتاب تاريخ الحضارة الإسلامية ويقارنها بالحضارات الأخرى.
* **مقدمة ابن خلدون: لفهم منطق "الغلبة" وصعود الدول وسقوطها، وكيفية تطبيق مفهوم (سَيِّغْلِيُون) على الأمم.
* **مشكلات الحضارة (مالك بن نبي):** وتحديداً كتابه "الظاهرة القرآنية" لفهم كيفية بناء الوعي بـ الواقع (أدنى الأرض) والارتباط بالعالم.
* **سلسلة "سنن الله في المجتمع" (د. مجدي الهاللي):** لربط الآيات بالسلوك الاجتماعي القويم
مصادر التزكية وعلم النفس والسلوك**
* **مدارج السالكين (ابن القيم):** لفهم أبعاد "لله الأمر من قبل ومن بعد" وأثرها في سكينه النفس المسلمة (البعد النفسي).
* **في ظلال القرآن (سيد قطب):** للجانب الوجداني والتربوي الذي يبعث الأمل في النفوس المستضعفة.
* **تفسير "البحر المديد" (ابن عجيبة):** للمشارب الروحية والإشارات الإيمانية الدقيقة في الآيات.
###5** مصادر التنمية البشرية والإدارة**
* **كتب الإدارة الاستراتيجية (مثل ستيفن كوفي):** لاستلهام مفهوم "الرؤية المستقبلية" وكيفية تطبيقها على مافي الآيه مثل (سَيِّغْلِيُون).
* **القيادة الإيجابية: لفهم دور "بشرى النصر" في تحفيز الفرق والمجتمعات وقت الأزمات.
سادساً: المواقع الإلكترونية والموسوعات
· الموسوعة الشاملة (shamela.ws) : لمراجعة النصوص التراثية.
· موقع إسلام ويب (islamweb.net) : للمقارنة بين أقوال المفسرين.
· موقع الدرر السنية (dorar.net) : للتعرف على التفسير الموضوعي للسورة.
· موقع جامعة الملك سعود (quran.ksu.edu.sa) : لتصفح نصوص التفاسير المعتمدة.
* **موقع "تفسير" (مركز تفسير للدراسات القرآنية):** للوصول للمقالات الأكاديمية والمقارنات التفسيرية الحديثة.
* **المكتبة الشاملة: لاستحضار النصوص اللغوية والمعاجم (كالمحيط والمقاييس) لضبط معاني (غُلبت، بضع، أدنى).
* **منصة "تدبر" والمجلس العلمي: للاطلاع على الوقفات التدبرية والتربوية المعاصرة.
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش العامري